المجلة الجديدة

يناير ١٩٣٧

الثمن ٣ قروش

اقرأ فى هذا العدد

الملوك والديمقراطية فى القرن العشرين	للدكتور أمير بقطر
الوصايا العشر الجديدة للعلم	لنظمى شحاته
حاجتنا الى رأي عام مستنير	لسلامه موسى
قريتنا الكبرى	لنقولا يوسف
الغرض من التربية	لمحمد حسين المخزنجى
بناء الكون	لرمسيس شحاته
السبرماز	لحبيب عوض الفيومى
الازمة الدينية فى العالم	
كو يصف الصين الجديدة	

مطبعة المجلة الجديدة

The Aga Khan Fund
for Islamic Art and Architecture

Harvard College Library

OL25065.750

521700

المجلة الجديدة

يناير ١٩٣٧

الثمن ٣ قروش

اقرأ فى هذا العدد

الملوك والديمقراطية فى القرن العشرين للدكتور أمير بقطر

الوصايا العشر الجديدة للعلم لنظمى شحاته

حاجتنا الى رأي عام مستنير لسلامه موسى

قريتنا الكبرى لنقولا يوسف

الغرض من التربية لمحمد حسين المخزنجى

بناء الكون لرمسيس شحاته

السبرماز لحبيب عوض الفيومى

الازمة الدينية فى العالم

كو يصف الصين الجديدة

مطبعة المجلة الجديدة

الاشتراك فى هذه المجلة

نرجو من قرائنا أن يفهموا أن هـذه المجلة لاتنال أية مساعدة من تلك المساعدات المختلفة التى تنالها المجلات من الحكومة . فان وزارة المعارف تشترك فى ٢٩ مجلة ولا تشترك فيها . والحكومة تساعد المجلات الأخرى باعلانات المصالح أو بالاعلانات القضائية ونحن محرومون من هذه الاعلانات جميعها

فازاء ذلك نطمع فى قرائنا والعاطفين على مجهودنا والراغبين فى أن تبقى الدعوة الى الاصلاح والحرية حية أن يجتهدوا فى زيادة المشتركين ونحن نجعل الاشتراك فى هـذه المجلة لمصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشا وسنتين ٦٥ قرشا و٣ سنوات ٩٠ قرشا . أما خارج القطر فالاشتراك (داخل الاتحاد البريدى) ١١ شلنا للسنة و ٢٠ شلنا لسنتين و ٣٠ شلنا لثلاث سنوات

ويجب اضافة ١٠ قروش (شلنين) فى السنة لكل مشترك خارج الاتحاد البريدى

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين) مصر

فهرست

يناير سنة ١٩٣٧

ص

٣ سير الحوادث

٩ لبس القبعة فى العراق

١٢ الملوك والديموقراطية فى القرن العشرين للدكتور أمير بقطر

١٧ حاجتنا إلى رأى عام مستنير لسلامة موسى

٢٥ الأزمة الدينية فى العالم

٢٩ الوصايا العشر الجديدة للعلم تلخيص الأستاذ نظمى شحاتة

٥٢ الحياة تبدأ فى الخمسين س . م

٥٣ السبرمان لحبيب عوض الفيومى

٥٥ قريتنا الكبرى لنقولا يوسف

ص

٦٣ شخصية المرأة س . م

٦٤ كو يصف الصين الجديدة

٦٧ بناء الكون لرمسيس شحاتة

٧٤ التليباثية س . م

٧٥ الروح والجسم لهذا الاستقلال لتوفيق الحكيم

٧٨ الغرض من التربية لمحمد حسين الخزنجى

٨١ الكتب الجديدة

٨٥ فى الحياة والعمل لسلامة موسى

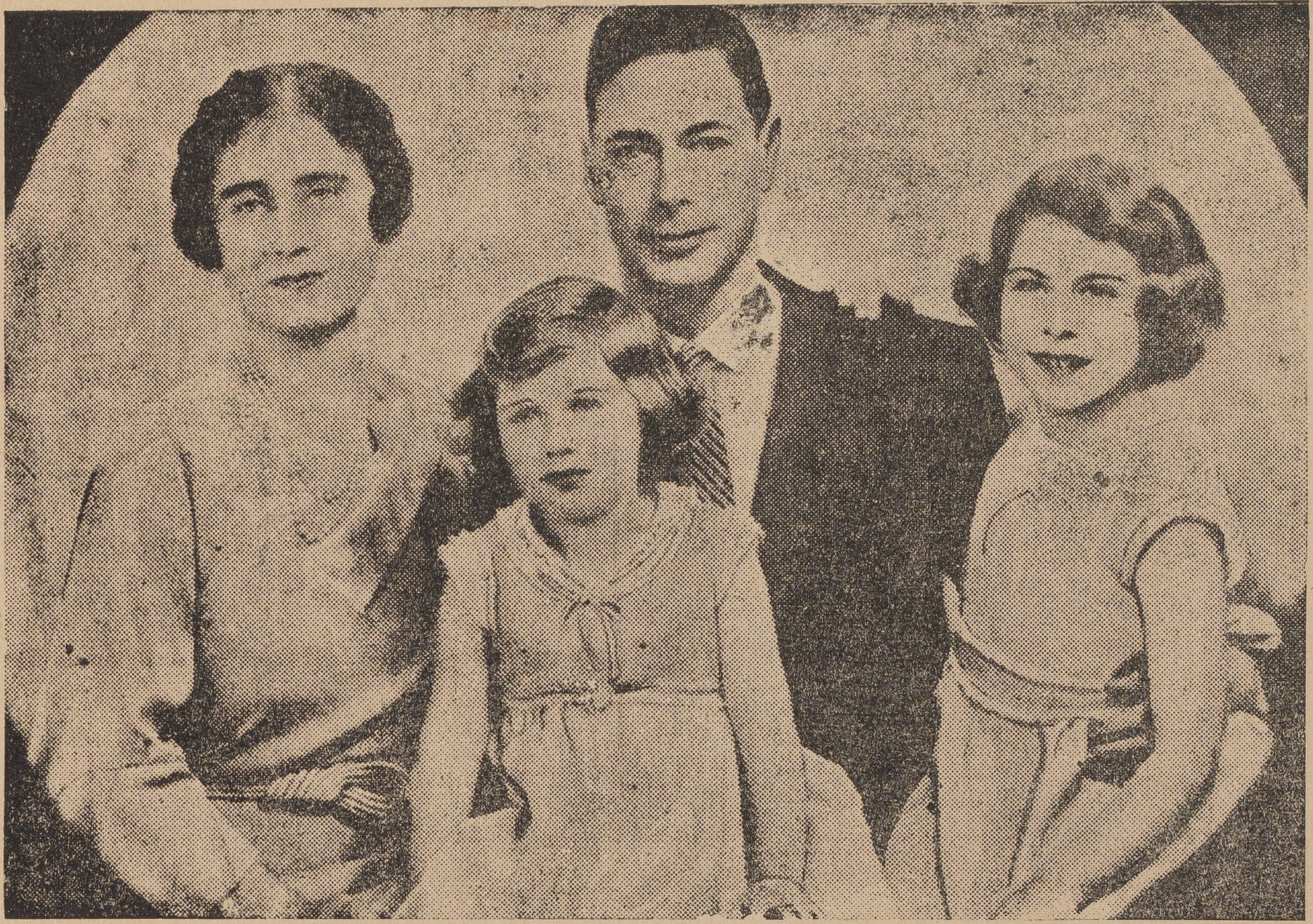

صاحب الجلالة الملك جورج السادس الذى تولى العرش البريطانى فى الشهر الماضى - مع أسرته

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الاول

المجلة الجديدة

العدد الاول
من
السنة السادسة

يناير ١٩٣٧

سير الحوادث

أزمة العرش البريطانى

نزل الملك ادوارد الثامن ملك بريطانيا عن العرش وتولى أخوه الملك جورج السادس. والسبب لنزول الأول هو حبه للمسز سمبسون ورغبته فى التزوج بها . ولكن الوزارة والكنيسة عارضتا هذا الزواج وأجبرتاه على ترك العرش

ويرى القارىء للصحف الانجليزية الأخيرة من التفاصيل ما يستحق أن يدرس سواء من الوجهة السياسية أم من الوجهة الاجتماعية

وأول ذلك أن هذا الزعيم اليقظ دى فاليرا قد انتهز هذه الفرصة فرصة الاختلاط والهرج عن العرش والملك وأعلن إلغاء منصب الحاكم العام البريطانى لأرلندا . كما أعلن أن بلاده قد أصبحت جمهورية . وقد حلمت ارلندا بهذا الحلم الجميل منذ أكثر من ٤٠٠ سنة . وها هو ذا الحلم يتحقق الآن

المستر سمبسون

وقد وثبت الكنيسة الانجليزية وثبة قوية نحو الاشتراك فى شئون الدولة باعتبار أنها عضو خطير فيها . فان كل انجليزى يعرف الآن ان الكنيسة هى التى أخرجت ادوارد عن عرشه لأنها رفضت أن [تع]قد له زواجا بامرأة مطلقة . وقد زادت بذلك وقد[را]. ولكن كراهية الجمهور لها قد زادت أيضا [بال]فرزت الجارحة التى استعملها الأصاقفة فى التعليق [على] وأصم الملك ادوارد وفى إسرارها على موقفها اشتر[ا] نحوه . وكل انجليزي مستنير يذكر ان

هذه الكنيسة انما بنيت على طلاق فكيف ترفض الآن قبول الطلاق . وذلك ان الملك هنرى الثامن قبل نحو ٤٠٠ سنة كان قد طلب من بابا رومية أن يصدق على طلاقه من زوجته . فأبى البابا .

المسز سمبسون

فانفصلت الكنيسة الانجليزية من الكنيسة البابوية . وليس الملك ادوارد الثامن دون الملك الثامن فى الأخلاق أو فى النظر إلى الزوجات

وأعظم ما يؤخذ على الملك ادوارد انه عاشر المسز سمبسون وهى لا تزال متزوجة نحو عام . ولو أنه انتظر حتى طلقت ثم تزوجها لما اكتسب غضب الجمهور وكان عندئذ يمكنه أن يقف فى وجه الكنيسة ولا يبالى الاصطدام بها ، ولكن الواقع أن الكنيسة اكتسبت معظم الجمهور فى صفها عند ما عرف أنه كان يعاشرها وهى متزوجة لم تطلب الطلاق بعد . ولا يمكن جمهورا عرف الملكة مارى أن يقعد مكانها السيدة سمبسون

وقد أظهر المستر سمبسون من الوطنية ما جعله ينسى نفسه ويلغى شخصيته . فانه رضى بأن تدبر له عشيقة وهمية تجتمع به فى فندق ويشهد الشهود على رؤيتها خارجة من غرفته ثم تستشهد المسز سمبسون بهؤلاء الشهود لطلب الطلاق . وتم تمثيل هذه الدرامة القذرة لكى تستطيع المسز سمبسون نيل الطلاق من المحكمة باتهام زوجها البريء بأنه قد ارتكب جريمة الزنا . وكان الملك ادوارد الثامن عارفا كل ذلك

وقد أصبح الملك ادوارد الدوق وندسور وغادر انجلترا . ولا يمكن من حيث الاعتبارات الشخصية أن نعده خاسراً فان عبء الملوكية متعب بل مرهق . وهو رجل غنى يمكنه أن يعيش الآن حراً يستمتع بحرية شخصية لم يكن يحلم بها وهو على العرش

ولكن هذا العرش قد تزعزع لهذه الصدمة . فان الملوكية كانت فى أذهان الانجليز أو أوهامهم مقدسة . وقد انقشع هذا الوهم وعاد الجمهور وإذا بالملك يشبه سائر الناس يخطىء ويضع الهوى فوق العقل . بل تحدث كثيرون عن الجمهورية ولا يزالون يتحدثون عنها

اسبانيا والخطر القادم

مضى على فرانكو ٥٤ يوما وهو يحاول عبثا الاستيلاء على مدريد . وجيش هذا القائد الثائر مؤلف فى الأغلب من المغاربة ومن غير هؤلاء نحو ثلاثين الف جندى من الألمان والايطاليين والفرنسيين . أما جنوده الاسبان فقليلو العدد

وعند الحكومة نحو ثلاثين الف جندى أجنبى أيضا من الفرنسيين والألمان والايطاليين والروس . وقد كان التفوق لفرانكو فى بداية القتال من حيث الذخائر والطائرات والمدافع . ولكن روسيا وفرنسا كلتاهما أسعفت الحكومة فلم تعد تشكو قلة هذه الأشياء . ولذلك أصبحت القوتان متعادلتين وأصبح من المستبعد أن تتغلب احداهما على الاخرى . وأرجح الظن ان اسبانيا ستقسم قسمين أحدهما اشتراكى والآخر فاشى

وإذا وقفت المشكلة عند هذا الحد فان السلام يبقى سائداً لأوربا . ولكن يخشى كثيرا أن يؤدي التصادم بين القوات الاجنبية وخاصة بين الألمان والروس فى اسبانيا الى اشتعال الحرب بين روسيا وألمانيا فى أوربا . فقد باتت اسبانيا بمثابة الميدان الحربي تجرب فيه الاسلحة ويمتحن النظام وتدرس الخطط . كما ان التصادم بين البواخر والبوارج على سواحل اسبانيا يبعث من وقت لآخر شرراً قد يلهب الحريق المنتظر

فى الصين

حدثت فى خلال الشهر الماضى أزمة فى الصين كانت توشك أن تحدث حربا أهليـة تعد الثورة الاسبانية الى جنبها لعب أطفال . ولـكن حـكمة شيانج كاي شيك هدأت هذه الثورة

ويرى القارىء فى هذا العدد كلمتين منيرتين عن الصين احداهما محاضرة القاها المستر كو الصينى فى القاهرة والاخرى فى كلماتنا الموجزة فى «الحياة والعمل»

وشيانج كاى شيك هو رئيس الوزارة الصينية ووزير الحربية . وكان قد أسره قائد أحد الجيوش الصينية فى سيانفو بتهمة تسامحه مع اليابان و كراهته لعقد محالفة مع روسيا الشيوعية ضدها واعلان الحرب عليها . والحقيقة ان جميع الصينيين يطلبون الحرب على اليـابان للاعتداءات المتكررة من هذه الدولة عليها . ولـكن شيانج كاى شيك يعلل أمته بالصبر حتى يكون لديها من المدافع وسائر الذخائر ما يـكفى للمصادمة القادمة . وقد أصبح لهذا القائد من السلطان على بلاده وتعلقها به مثلما كان لسون يات سون مؤسس الجمهورية . وبعد أن بقى مأسورا نحو أسبوع فى سيانفو أفرج عنه وعاد الى نانـكين . وعاد خلفه القائد الذى أسره وهو يعتذر ويقدم نفسه للمحاكمة

نحو الاستقـلال

تمت الاجراءات الاخيرة لتوقيع المعاهدة بين مصر وبريطانيا . وسيعـين حافظ عفيفى باشا سفيراً لمصر فى لندن . وسيعين على الشمسى باشا مندوبا لمصر فى عصبة الامم

وستصبح دار المندوب السامى سفارة بريطانية يحرسها جنود مصريون

وتدرس مشروعات القوانين للعمال . ونرجو أن يـكون فى مقدمتها قانون النقابات كما نرجو الا تهمل الوزارة الوفدية فى التغلب على المعارضة القائمة ضده

وقد شرع فى درس استغلال المياه الساقطة فى اسوان وعن قريب نستطيع أن نستغل القوة

الكهربائية هناك لايجاد حركة صناعية

صاحب السعادة على الشمسى باشا

رجل اوربى

يرى القارىء هنا صورة لرجل من رجال اوربا هؤلاء الغربيين الذين يعرفون الخدمة ويكرهون الابهة. هذا الرجل هو اللورد نوفيلد صاحب الاتومبيل المعروف باسم موريس . وقد جمع ثروة كبيرة من مصانعه التى تصنع هذا الاتومبيل ولكنه يعيش فى بساطة بل تقشف ويلتذ ركوب البسكليت . وقد وهب أمته الى الآن سبعة ملايين ونصف مليون جنيه أى مايقرب من ربع الميزانية للدولة المصرية . وهبها لانشاء المستشفيات ومساعدة الجامعات ونحو ذلك

وهذا هو الانسان الجديد . أما الانسان القديم فهو الذي يمثله راجوات الهند الذين يقتنون الجواهر من الألماس واللؤلؤ ويركبون الفيلة ويعيشون فى قصور كل قصر يصح أن يكون فندقا يؤوى الف سائح وأكثر . هذا الرجل الأوربى هو الذى نحب أن نرى مثالا له بين أغنيائنا فى مصر والشرق العربى كله

اللورد نوفيلد

الاشتراك فى هذه المجلة

نرجو من قرائنا أن يفهموا أن هذه المجلة لاتنال أية مساعدة من تلك المساعدات المختلفة التى تنالها المجلات من الحكومة . فان وزارة المعارف تشترك فى ٢٩ مجلة ولاتشترك فيها . والحكومة تساعد المجلات الأخرى باعلانات المصالح أو بالاعلانات القضائية ونحن محرومون من هذه الاعلانات جميعها

فازاء ذلك نطمع فى قرائنا والعاطفين على مجهودنا والراغبين فى أن تبقى الدعوة الى الاصلاح والحرية حية أن يجتهدوا فى زيادة المشتركين

ونحن نجعل الاشتراك فى هذه المجلة لمصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشا وسنتين ٦٥ قرشا و٣ سنوات ٩٠ قرشا . أما خارج القطر فالاشتراك (داخل الاتحاد البريدى) ١١ شلنا للسنة و ٢٠ شلنا للسنتين و ٣٠ شلنا لثلاث سنوات

ويجب اضافة ١٠ قروش (شلنين) فى السنة لكل مشترك خارج الاتحاد البريدى

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين) مصر

لبس القبعة في العراق

صاحب الجلالة الملك غازى الذي يسعى لتوجيه العراق نحو الحضارة الاوربية الحديثة

بغداد فى ٢٣ ديسمبر - ظهر في أيام عيد الفطر المبارك جماعة من الشبان والموظفين وعلى رؤوسهم القبعات واخذوا يدعون الى الاستعاضة عن السدائر بالقبعات يؤيدهم في دعوتهم هذه بعض المسؤولين فى الحكومة وحجة اصحاب هذه الدعوة ان لبس القبعة هو من مظاهر المدنية الحاضرة التى يجب ان يقتبسها العراق . وان القبعة اكثر ملائمة للشروط الصحية من السدارة

ألمانيا تكافح الشتاء

صورة رمزية تنشرها وزارة الدعاية فى ألمانيا هذا العام
وهي تعنى أن ألمانيا تكافح الفقر والجوع فى الشتاء
وتدعو الالمان الى التبرع لمساعدة الفقراء

ألمانيا تجمع المواد الخامة

يقضى برنامج السنوات الاربع أن تبحث ألمانيا عن المواد الخامة داخل بلادها وأن
تستغنى بقدر امكانها عن الواردات الأجنبية . وهنا يرى بعض الصبيان من فرق
الشباب الهتلريين وهم يجوبون الغابات لجمع مايتساقط من ثمار الاشجار
لاستخراج الزيوت منها

الملوك والديموقراطية

فى القرن العشرين

للدكتور أمير بقطر

غريب جدا أن نتحدث عن الملوك والديموقراطية ، ونحن نعلم ان الملوك أشد أعداء الديموقراطية كما لايغيب عن الاذهان ، سياسية واجتماعية . فالاولى هي التى تتناول نوع الحكم ، الذى يكون فى كثير من الاحوال جمهوريا ، أو مماثلا للجمهورى ، أو الذى يكون عماده على الاقل برلمان ، يمثل أعضاؤه الامة خير تمثيل . والثانية هي التى تتناول جميع مظاهر الحياة اليومية . وسيكون بحثنا فى هذه المجالة مقصوراً على الثانية

كان الملوك إلى عهد قريب ، ولا يزال بعضهم ، يترفعون عن عامة الشعب ، ويجعلون بينهم وبين الرعية ، حتي الطبقة الارستقراطية منهم ، حائلا كثيفاً ، فلا يتنازلون للتقرب منهم إلا بكل حذر واحتراس وتردد وأنفة ، وذلك فى حالات استثنائية نادرة ، تستلزمها الرسميات الجامدة . وكان الملوك فى الشرق خاصة يعتبرون أبناء الرعية بمثابة الخدم ، حتى الوزراء وكبار الموظفين منهم ، وكان الوزراء يتلقون الاوامر فى كثير من الاحوال على أيدي خدام الملوك وعبيدهم ، ولم يكونوا ومن هم دون الوزراء من طبقات الشعب فى نظر الاسر المالكة سوى نعام وأبقار وأغنام ، يرمقون بعيون المهانة والاحتقار

بيد ان الملوك والامراء كانوا لا يرتاحون بطبيعتهم إلى هذه التقاليد فى جميع الاحايين ، ولكنهم كانوا يخضعون لسلطانها أحيانا ، رغم ارادتهم ، جريا على العرف واتباعا للعادة ، ونزولا على رغبات الرعية ذاتها . فقد كان كبار أفراد الرعية والمسئولين منهم يقاومون ملوكهم ويوجهون اللوم الى أمرائهم ، اذا خالفوا هذه التقاليد ، ونزلوا الى مستوى الرعية ، ولو ساعة واحدة ، وكثيرا ما كان يتوق أولئك الامراء أن يتذوقوا طعم الحرية والديموقراطية كسائر البشر ، فيسيرون فى شوارع المدن لمشاهدة المخازن الكبرى وواجهاتها ، ويتناولون الطعام فى احدى فنادقها ، ويشربون كأساً من الخمر فى احدى حاناتها ، ويلعبون الورق فى احدى أنديتها ،

و الكرة فى احدى ملاعبها ، ويغازلون فتاة فى احدى طرقاتها ، بغير رقابة ، أو تحية ، أو معية ، أو جنود ، أو رسميات ، جافة ميكانيكية — كانت تتوق نفوسهم الى ذلك ، ولكن بغير جدوى ، خشية من الديموقراطية ، وصيانة لهيبتهم ، ومكانتهم ، من أن تمتهن

هذه كانت حالة الملوك والامراء الى عهد قريب . بيد ان الحرب العالمية الكبري قضت على الكثير من هذه التقاليد ، وأحدثت ثورات اجتماعية هائلة ، قذفت براكينها من فوهاتها الفائرة المتقدة ، كمية وافرة من حمم الماضى ، واكتسحت أمامها عدداً ليس بقليل من أعز ما لدينا من عادة وعرف ، وما لم تبق على أحد فى هذا السبيل حتى الملوك والامراء

ولعل انجلترا كانت فى مقدمة البلدان التى اعتنق أمراؤها وأعضاء أسرتها المالكة مبادىء الديموقراطية الاجتماعية ، فنزلوا الى الميدان أفراداً وجماعات ، يبتاعون الملابس والقبعات بأيديهم ، وينتقون هدايا عيد الميلاد من الحوانيت كسائر الناس ، ويزورون المستشفيات والمؤسسات ، ويركبون الخيل ويلعبون التنس مع أفراد الرعية ، ويخلعون ملابسهم للسياحة والعوم فى حمامات البحر العامة ، ويتناولون الاكل فى المطاعم والفنادق ، ويزورون البلدان الاجنبية كأفراد الناس ، وينزلون الى قاعات الرقص بملابسهم المعتادة

وقد لاحظ السياح الذين زاروا انجلترا هذا العام ، وبينهم عدد يذكر من المصريين ، ان أفراد الاسرة الانجليزية المالكة كادوا يكونون فى كل مكان — فى الملاهي ، والمتنزهات ، وشواطىء البحار ، والفنادق ، والارياف ، وسائر الاماكن العامة . وأذكر أن البرنس أوف ويلز « قبل أن يكون الملك ادوارد الثامن » قبل توليه الملك ببضعة شهور كان يزور أحياء الفقراء فى الناحية الشرقية من لندن ، فصاح أحد العمال « هذا هو أحد الاغنياء الكسالى » مشيرا الي ولى العهد ، فأجاب الثانى مبتسما « قد أكون غنياً حقيقة يا صديقى ، ولكنى أؤكد لك اننى لست كسولا » ولم يصب الرجل أذى أو لوم أو تأنيب

وقد زار البرنس أوف ويلز أيضا القاهرة بصفه غير رسمية منذ سنوات قليلة وحضر حفلة رقص متواضعة فى نادى الجزيرة للالعاب الرياضية ، وقضى شطراً من تلك الليلة الساهرة يرقص مع ممرضة فقيرة ساذجة ، وكانت أولى من طلب يدها للرقص . وتصادف مرة أن كان كاتب هذه السطور فى بيارتز « المصيف المعروف فى فرنسا » عند قدوم هذا الامير فى مساء ذلك اليوم الى قاعة السهرة بسترة زرقاء وسروال أبيض ، حتي لا يحمل المصيفين مشقة البذلة الرسمية

وحسبي أن أذكر الذين زاروا مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا فى عهد مليكها الراحل ، أن يرجعوا بذاكرتهم الى شوارعها وحدائق النزهة فيها ، ليذكروا كيف كان ذلك الملك العظيم يخترقها عدة مرات كل يوم فوق دراجته المتواضعة ، وكان لا يعيره الناس اهتماما كبيراً ، كأنه أحد أفراد الناس وهذا ملك أسوج كان يقضى شهور الراحة فى الريفيرا يلعب التنس مع من يتقن هـذه اللعبة من أفراد الشعب ، بغض النظر من مقامهم الاجتماعي

هذه هي معجزة الحرب العظمى ، التي قبل أن تضع أوزارها ، دكت عروش ، وثلت تيجان ، وقامت حكومات على انقاض حكومات ، فتسربت الآراء الديموقراطية من عامة الشعب وطبقات الرعية الى قصور الملوك ، وذوي الجلالة والسلطان

وهذه الاميرة جوليانا ، كريمة الملكة ولهلمينا وولية عهد هولندا ، فى مقدمة أعضاء الاسر المالكة التى اعتنقت المبادىء الديموقراطية ، وهامت حباً بها منذ نعومة أظفارها ، حتى أصبح مثلها فى التواضع والبساطة والنزول الى مستوى شعبها ، تلهج بذكره الركبان . ولعل أكبر مظهر من مظاهر الديموقراطية فى حياتها ، كانت تلك الفترة الجامعية التى قضتها فى جامعة «ليدن» تتلقى العلم جنبا الى جنب ذلك العدد الغفير من الشبان والفتيات من بنات الطبقة المتوسطة من الشعب الهولندي وأبنائها . هناك عكفت على طلب العلم ، وجواز الامتحانات الشديدة الوطأة ، فى العلوم الاقتصادية والسياسية والقانونية ، حتى حازت الدكتوراه فى القانون . وفى خلال تلك السنوات التى قضتها بين الكتب والاوراق كان الناظر اليها لا يفرق بينها وبين أية طالبة جامعية أخرى ، فى سيرها ، وهندامها ، وحركاتها ، ولعلها كانت تتميز عن سائر زميلاتها ، بقضاء شطر يذكر من أوقات راحتها فى أشغال الابرة وحياكة الثياب . والغريب انها فى خلال زمن التلمذة اختارت مسكنها فى قرية صغيرة على مقربة من الجامعة ، يقطنها طبقه فقيرة من الناس ، صناعتهم صيد الاسماك

وفضلا عن فوقانها فى العلوم القانونيه خصوصا القانون الدولى ، فانها طاهيه ماهرة ، وتحسن الرقص الى درجه مدهشه ، وتلعب التنس رغم انها لا تحسنه ، وتدخن ، ولكن الملكة والدتها لا تسمح لها بذلك داخل السراى الملكيه

ولا يتسربن الى ذهن القارىء ان الاسرة المالكة الهولنديه ليست ذات مال وفير . انها على النقيض من ذلك من اغنى الاسر المالكة فى العالم ، فلو شاءت عاشت عيشه ارستقراطيه لا تدانيها فيها أسرة ملكيه سواها

والاميرة جوليانا تبلغ من العمر ٢٧ عاما وقد طلب يدها أمير ألمانى عمره ٢٥ عاما فقبلتها . ومتى تربعت على أريكة الملك قدم لها ٥٧ مليونا من الانفس يمين الطاعة ، منهم سبعة ملايين فى هولندا

الدوق وندسو وهو ادوارد الثامن ملك بريطانيا السابق

ذاتها والباقون فى المستعمرات . وسيكون عرشها من أشد العروش رسوخا وثباتا لانه لايعقل أن تقوم ثورات أو قلاقل فى بلد كهولاندا ، يستطيع شعبها أن يروا بعيونهم ملكتهم جالسة فى النافذة تخيط ثيابها بيدها

وقد كان لكاتب هذه السطور حظ زيارة قصر الملكة ولهلمينا فى مدينة الهاى منذ سنوات وقد وصفته بتفصيل فى مقالة نشرتها فى جريدة كوكب الشرق ، وكان مما شاهدت فيه الملعب « جمنازيوم » الذي كانت تقضى فيه الاميرة شطرا كبيرا من وقتها فى التدرب على الالعاب والرياضة

وقد بلغت الديمقراطية فى ذلك القصر أنى زرته بغير أن يضرب لى موعد ، وكنت ألبس حينئذ بذلة رمادية ذات بنطلون قصير ، فقادنى أحد رجال التشريفات الى جميع زوايا القصر وخباياه بما فى ذلك قاعة الرقص الكبرى وقاعات الاستقبال وغرف المائدة ، والكراسى المخصصة للملكة فى جميع هذه الغرف . وأشار التشريفاتى الى الهدايا الثمينة التى قدمها ملوك العالم الى الملكة ولهلمينا يوم زفافها وبينها تحفة عظيمة القيمة من اسماعيل باشا خديوى مصر

* * *

ولايحتاج القراء الى التنويه بذلك النوع من الديموقراطية الذى يتجلى فى مليكنا الشاب فاروق الاول ، فحسب جلالته أن انتظم فى سلك الكشافة منذ عهد قريب ، وحسبنا ماتوالى الصحف نشره عن ميله لشعبه وحبه لمبادىء الديموقراطيه التى يمتاز بها هذا العصر

وقد حظى كاتب هذه السطور مرة بمقابلة جلالة والده الراحل الملك فؤاد الاول لتقديم مؤلف فلقى من جلالته فى زهاء عشرين دقيقة كاملة رعاية كادت تنسيه أنه فى حضرة مليك البلاد

أمير بقطر

حاجتنا الى رأى عام مستنير

لسلامه موسى

فى هذا العهد الجديد عهد الاستقلال نرانا محتاجين الى رأي عام مستنير أكثر من قبل . فاننا قبل الآن لم تكن أمورنا فى أيدينا فلم يكن للرأى العام قيمة أو أثر فى توجيه الحكومة . لأن الحكومة كانت تسترشد بنواح أخري غير الشعب . بل كانت فى بعض الوزارات تعمل ليس على غير ارادة الرأي العام فقط بل ضدها

أما الآن وفى المستقبل فان الحكومة مضطرة الى الخضوع للرأى العام ومضطرة الى أن تذعن لسيطرته واكتساب ثقة الشعب . بل هى لا يمكنها أن تزكى وجودها الا بان الرأي العام يرضى عنها . ولم تكن هذه حال حكوماتنا فى الخمسين من السنين الماضية . بل كانت الحكومة تعنى أكبر العناية ببعض النواحى وتهمل الرأي العام اهمالا تاما

وحاجتنا لهذا السبب كبيرة لأن يكون الرأى العام مستنيرا يدرك النزعات العصرية ويتشبع بها ويتحمس لها . كما يدرك النزعات الرجعية ويخشاها ويعمل للوقاية منها . فان فى عصرنا هذا نزعات تعمل للرقى العام بحيث أن الأمة الشرقية المنحطة عند ما تتخذها تنقلب كما لو كان هذا الانقلاب بقوة سحرية من الضعف الى القوة ومن الانحطاط الى الرقى ومن الحقارة الى الكرامة . وهذه النزعات العصرية كثيرة متعددة لو شئنا ان نذكر أهمها وأعمها لقلنا انها من حيث الثقافة النظر العلمى بدلا من النظر الصوفى . ومن حيث الحضارة النزوع الى الصناعة بدلا من الركون الى الزراعة

* * *

ولكى نجعل الرأى العام مستنيرا يجب أن نشيع بين الشعب العدة الذهنية التى تخدم النور والحضارة والرقى أى تخدم النزعات العصرية . ولا يمكننا أن ننشد هذه العدة الذهنية من الشرق ولا من الكتب العربية القديمة . فان الشرق بجميع اقطاره ومع اختلاف سرعته يحاول أن يتغرب وأما الثقافة العربية القديمة فقد انقطعت الصلة الذهنية بيننا وبينها أو كادت . واحياء هذه الثقافة الآن لا يمكن أن تكون له من الفوائد غير الفائدة التاريخية ، وحسبنا أن نذكر ماكان يفهمه ابن

سينا من لفظه « نفس » وما يفهمه الشاب المصرى المثقف الذي قرأ فرويد من هذه اللفظة . فان الفرق هنا فرق مابين العقيدة الموروثة والرأي المستنبط

وحسبنا أن نذكر ان الخصاء أو التعقيم قد استعمل فى الشرق وهو يستعمل الآن فى الغرب . ولكن لغايتين مختلفتين اختلاف الشرق من الغرب او اختلاف النزعات القديمة من النزعات الحديثة . فقد استعمل فى الشرق لهيئة اجتماعية منحطة لخدمة القصور . وهو يستعمل الآن فى الغرب لخدمة السلالة البشرية ويلحظ فيه التطور ونظرية داروين

ولا يمكن لهذا السبب ان ننير الرأى العام بالدعوة الى عادات الشرق او الى الثقافة العربية القديمة . ولا يمكن ان نهيىء للأمة عدة ذهنية مستنبطة من الشرق او من الثقافة العربية القديمة

« * »

فى أوربا الآن صراع واضح بين فريقين لكل منهما علم كأنهما الجيشان المتقاتلان . احدهما فريق الاشتراكيين والآخر فريق الانفراديين . اولئك يطلبون رقابة الدولة لجميع الاعمال الحرة . وهؤلاء يطلبون استبقاء حريتهم بعيدة عن هذه الرقابة . وهذا الصراع قد يكون مضمرا هادئا مطمئنا كما هى الحال فى بريطانيا او الولايات المتحدة او الأمم الاسكندناوية . وقد يكون صريحا تطاح فيه الرءوس بحماسة كما هى الحال الآن فى اسبانيا . فاذا كان لنا رأى عام مستنير فيجب أن ندرى العوامل المختلفة لهذا الصراع وان نعتبر بما ترتكب فيه من اغلاط . فان مسرح اوربا السياسى تمثل عليه درامات مختلفة بعضها يصل الى حد المأساة . فاذا كنا مستنيرين فهمنا العبرة وتوقينا الوقوع فيما يرتكب من اغلاط . واستطعنا أن نسير بأمتنا فى مثل الطريق المطمئن الذى يسير فيه الانجليز او الاسكندناويون او الامريكيون . واذا لم نفهم العبرة وبقى الرأى العام جاهلا للتطورات الحديثة بشأن العمل والعمال فاننا سوف ننحدر الى هوة مظلمة ننساق اليها ولا نخرج منها الا بعد تضحيات كبيرة . ويجب لهذا ان ننير الرأى العام عن الآراء السياسية والاجتماعية الحديثة

فهل جمهورنا الذي يتابع اخبار هذا الصراع فى اوربا يدرك اسبابه وتطوراته وعواقبه ؟ وهل صحفنا او مدارسنا او انديتنا الثقافية او هل المؤلفون ينيرون الجمهور عن هذا النضال ؟

« * »

وقد ذكرت هذا الصراع كمثال بارز للتيارات الأوربية تى تتنازع السياسة والاجتماع . ولكن أوربا تتنازعها تيارات أخرى . فانها وان كانت بعيدة مثلا فى مجموعها عن الروح العلمى فهى سائرة فى طريقة ولا بد منتهية إلى نهايته . ومن الخطر الكبير أن نجهل أن نتجاهل هذه الحقيقة . فاذا

كان الرأى العام ليس على يقظة تامة لخطورة النزعة العلمية المادية فى أوربا فانه يجب علينا أن ننيره عن نتائجها . وعندي انه لو كان رأينا العام مستنيرا لكان لنا الآن بدلا من المجمع اللغوى مجمع لدرس الكيمياء الصناعية — هذه الكيمياء التى جعلت ألمانيا تزرع الجو وجعلت ايطاليا تتخذ ملابسها من الخشب

وأوربا وان كانت بعيدة عن الأخلاق البيولوجية فانها سائرة فى سبيلها ولا بد منتهية إلى غايتها فان قيمة الاخلاق والقوانين والعادات تتغير وينظر فيها إلى مصلحة السلالة واستخراج مادة انسانية أرقى وأصح من المواد الحاضرة . فاذا نحن أهملنا هذا النظر ولم ننر الرأى العام عن قيمته فان خطر هذه الأعمال يعود علينا عاجلا قاسيا

* * *

والآن يجب أن نسأل ما هى الشروط أو ما هو الشرط الأساسى لتنوير الرأى العام ؟

الشرط الأساسى هو الحرية المطلقة للتفكير . وهذه الحرية قد فقدناها وما زلنا نفقدها . فنحن لا نستطيع أن نفكر فى الدين أو فى السياسة أو فى الاجتماع تفكيراً حرا . ويكفى أن نرجع إلى تاريخنا فى السنوات العشر الماضية لكى نعرف أننا غير أحرار . فان دعاة الاستبداد فى السياسة رأوا أن خير ما يؤيدهم فى هذا الاستبداد هو الدعوة إلى الرجعية وتقييد الحرية الفكرية فصرنا نرى مثلا ان الدكتور طه حسين يؤتى به إلى النيابة العمومية فيعترف وهو صاغر بأنه يؤمن بالملائكة واليوم الآخر . ورأينا الدكتور فخرى يقدم لمحكمة الجنايات لأنه قال بوجوب المساواة فى الميراث بين المرأة والرجل . ورأينا كتابا يؤلفه أحد الاسكندريين عن الحديث النبوى فيمنع ويصادر . ورأينا الدكتور زكى أبو شادى على وشك أن يفقد وسيلة عيشه لأنه أكبر من شأن فرويد السيكلوجى النمسوى . ورأينا كتاب الابطال الذى ترجمه السباعى قبل ٢٥ سنة يطلب منعه عن الجمهور

وليس هذا الجو مما يشجع المفكرين على التفكير الحر . بل الى هذه المناوأة للمفكرين رأينا شيخا يكتب المقالات سنة ١٩٣٠ بعنوان « الملك فؤاد ظل الله على الأرض » فينال الترقيات المتوالية العاجلة . ورأينا وزراء فى وزارة المعارف يطاردون المجلات التى لا تزال بها بقية ضئيلة من التفكير الحر . ورأينا وزراء آخرين يتحدثون عن تقاليدنا الشرقية

والواقع ان المناوأة للحرية السياسية فى السنوات الخمس عشرة الماضية قد استحالت إلى مناوأة للتفكير الحر كله للشعور الخفى بأن حرية الفكر ولو فى الأدب هى نفسها أداة لحرية الفكر فى السياسة . ولذلك انحرف الرأي العام عن طريق الحرية بالدعاية المتواصلة ضد المجددين والاحرار

وقد استطعنا ان نحطم السلاسل التى وضعها المستبدون على أبواب البرلمان . ولكننا الى الآن لم نحطم السلاسل التى وضعوها على العقول الحرة . وهذه الدعوة التى دعا سا المستبدون لتقييد الحرية الفكرية لا تزال حية وهى تتخذ راية الدفاع عن الوقار والتقاليد فتحد من الجمهور الساذج قبولا وعطفا . فاذا كنا نطلب تنوير الرأى العام فيجب أن نوضح له وللحكومة هذه الحقيقة وهى أننا لم نتقدم فى الرقى الحديث إلا بمقدار تركنا لتقاليدنا . ولم تتقدم اليابان أو تركيا أو ايران الا بمقدار تركهن لتقاليدهن الشرقية

هذا هو ما يجب أن ننير الرأى العام عنه . يجب ألا نكف أن نبين له قيمة الحرية الفكرية فى الأدب والاجتماع والدين والاقتصاد وان هذه الحرية هى الضمان الحقيقى للحرية السياسية . فاذا شاء الجمهور ألا يجد السلاسل على أبواب البرلمان فليرفعها من الآن عن عقول المفكرين . فان هؤلاء المفكرين يقدمون له العدة الذهنية التى تجعل وثبة الواثب من المستبدين مستحيلة وتجعل الحنث بيمين الدستور خطرة

* * *

ما هى وسائل تنوير الرأى العام ؟

هى الصحف والكتب والمدارس والجمعيات الثقافية بل هى أيضا الراديو والسينما. وهذه الوسائل تتفاوت فى مدى تأثيرها ، وليس هذا التأثير قائما على سعة الانتشار فقط . فان هناك عوامل أخرى مثل مكانة الطبقة المتأثرة فى الأمة ونفوذها فى توجيه الخطط أو الأذواق

وليس شك فى أن الراديو من هذه الناحية كبير القيمة فى التهذيب والتربية اذا أريد هذا منه . وكذلك السينما فانه يشيع بيننا أذواقا والوانا من الذوق والسلوك لا مفر لنا من التأثر بها . ولكننا لا نستطيع ان نقول ان السينما والراديو قد أخذ احدهما مكان المدرسة او الصحيفة او الكتاب او الجمعية الثقافية فى التنوير وتكوين الرأى العام

* * *

ولنأخذ الجمعية الثقافية أولا . فانها تبدو لنا صغيرة الأثر قليلة الخطر لأننا لم نألفها فى بلادنا أو لأن الفتنا لها كانت متقطعة محدودة بل احيانا مهددة بالاستبداد

ولكن الجمعية بطبيعة تكونها من هواة ومحترفين تنبنى على الحماسة فى الدعاية والخدمة . كما يرضى اعضاؤها بالتضحية . فمن الجهة الواحدة نجد أن اعضاءها يتزعمون حركة فكرية خاصة ولهم بهذا التزعم مكانة التأثير فى الأمة . فاذا رأينا مثلا انه قد الفت فى انجلترا او فرنسا او المانيا جمعية تدعو الى « الفكر الحر » فان الذين ينضمون اليها ليسوا من العامة بل من الخاصة المثقفة

التى يدرى كل فرد منها قيمة هذه الحرية وتاريخ النضال الذى اقتضته قبل ان اعترف بها . ومن هنا قيمة تأثيرها فى الرأي العام بالتنوير والتهذيب . فان كل فرد من اعضائها يرضى بالتضحية مع القدرة الثقافية التى تجعل هذه التضحية مجدية ، وهو بمثابة العضو فى حزب سياسى تبعث فيه العضوية وحدها غيرة وتضحية

فهل لنا مثل هذه الجمعيات الثقافية ؟

لنا القليل منها للأسف ، وهى فى الاغلب تعتمد فى المبنى والمعنى على الاساليب الشرقية حتى انها لتفخر بأن رياستها قد سلمت لاحد الباشوات او الوزراء السابقين او نحو هؤلاء ، وعندئذ تذهب منها الغيرة والتضحية ويحل محلهما الخوف من المصادمة لأن الباشا أو الوزير السابق له علاقات تطالبه بالوقار . بل هذا الوقار احيانا قد يدعوهم الى طرد العضو النشيط لأنه مقلق من بعض نواحيه الاجتماعية او السياسية

وانا اذكر هنا « جمعية العقليين » فى انجلترا . وكيف انها طبعت مليونى نسخة من الكتب العلمية الاساسية التى يراد بها تنوير الرأى العام وهى تبيع النسخة من معظم هذه الكتب بنصف شلن . وازاء هذه الجمعية وضدها « جمعية نشر المعارف المسيحية » فان الاولى تدعو الى الايمان بالعلم وحده وهى حرب على الأديان . والثانية تدعو الى المسيحية وضرورة الدين . والجمهور البريطانى يستنير بقراءة كتب الجمعيتين . وكان يكون أقل استنارة – وبالتالى أقل كفاءة فى التمييز – لو أنه قرأ كتب احدى الجمعيتين فقط

ونحن فى مصر فى حاجة الى جمعيات ثقافية لها غاية دعائية يقوم بعضويتها افراد غيورون على المذهب الذى يؤمنون به . فان لهذه الجمعيات أكبر الأثر فى تنوير الرأى العام هذا الرأى العام الذى يستطيع ان يردينا فى هوة الجهالة والظلام والاستبداد أو يرفعنا الى مقام الامم العظيمة التى تخدم السمو والشرف والسعادة الانسانية

نريد جمعيات لدرس السياسة ودرس العلوم ودرس الدين تحتوى اعضاء ممتازين بالكفاءة والتضحية معا . يكون كل منهم بمثابة الديدبان اليقظ لحراسة الثقافة والاراء الاصلاحية الحرة من طغيان الجمود ووثبات الرجعية . ولا نريد عشر جمعيات ولا مائة جمعية فقط بل نريد الألاف من هذه الجمعيات التى تنتشر فى قرانا كما تؤلف فى مدننا لهذه الغاية ، جمعيات ديمقراطية فى تأليفها خالية من أبهة الشرق بعيدة عن الرياسات الباشوية والوزاريه ، جمعيات لاتبالى الوقار فى سبيل الخدمة العامة

« * »

وليس منا من ينتقص قيمة التعليم فى تكوين الرأي العام . فهل التعليم الحاضر مما يساعد على تكوين رأى عام مستنير ؟

ان أهم مراحل التعليم للناحية الاجتماعية فى الامة هى المرحلة التى يستوى فيها ابناء الامة جميعهم فالامة كلها لاتذهب الى كلية الحقوق او كلية الهندسة . ولكنها تذهب كلها الى المدرسة الالزامية او الابتدائية . او هذا على الأقل هو المفروض المأمول . فهاتان المدرستان هما القاسم المشترك الاعظم بيننا جميعا لأن ابناء المدن والقرى والفقراء والاغنياء يستوون فيه

ولكن من الواضح ان المدرسة الالزامية قد خصصت لابناء الفقراء . والمدرسة الابتدائية قد خصصت لأبناء الاغنياء . مع أن الاثنين يستويان فى تكوين الرأي العام . وفى يوم الانتخاب لن نقول لأحد الفريقين انه يمتاز بصحة الحكم عن الفريق الآخر . بل نحن نقبل أو سوف نقبل حكمهما على السواء مع أن كلا منهما يختلف من حيث الاستنارة العامة من الآخر . أو بكلمة أخرى نقول ان أحدهما ينشأ شرقى المزاج والثقافة والميول والمعارف . والآخر ينشأ غربيا فى كل هذه الاشياء

فنحن عندما قسمنا التعليم فى المرحلة الأولى الى قسمين واحدا لابناء الاغنياء وآخر لابناء الفقراء قد قسمنا الأمة أمتين . ويجب ان ننتظر كل الشرور التى سوف تنشأ من هذه القسمة

ولنعد الى الكلمة التى سبق أن ذكرناها وهى « ان الملك فؤاد ظل الله على الأرض » ماذا يقول فيها خريج المدرسة الالزامية هذا الشرقى الذى حرصنا على أن ينشأ شرقيا من جميع الوجوه وماذا يقول فيها خريج المدرسة الابتدائية الذى عاشر معلمين يدرون النزعات الحديثة ولعلهم قد حادثوهم عن البرلمان والديمقراطية

ان كلا منهم يقول شيئا مخالفا لما يقوله الآخر . وهنا الخطر فان حاجتنا الى رأي عام مستنير تعنى الا يكون فى انحاء القطر غير مدرسة واحدة تجمعنا كلنا نستوى فى هذه المبادىء الأولى مبادىء النظام والدستور وحرية الفكر

لا بل نزيد على ذلك ونسأل هل التعليم الثانوي مما يؤدى الى الاستنارة العامة فى الرأى العام ؟ لابل نزيد أيضا ونسأل هل وزارة المعارف تشعر بخطورة التبعة الملقاة عليها فى تنوير الرأي العام واخراج شبان صالحين لصيانة الدستور وللدعوة الى الاصلاح الاجتماعى وللبعد عن ابهة الشرق واليقظة نحو وثبات الاستبداد ؟ نعنى الاستبداد فى الحكومة والاستبداد فى الاجتماع والاستبداد فى الاسرة ؟

« * »

لقد قلنا ان وسائل التنوير للرأى العام عديدة . وفى مقدمتها الصحف والكتب . والصحيفة التى تطالعنا كل يوم او كل أسبوع باراء عن الشئون العامة الحاضرة لابد أن تؤثر فينا وتوجه ميولنا وأذواقنا ان خيراً وأن شرا . وليست الصحيفة كبيرة الاثر بمدى انتشارها . فان الديلى اكسبرس تطبع فى اليوم أكثر من مليونى نسخة ومع ذلك ليس لها الاثر الذى يحدثه فى الرأى مقال من مجلة سبكتاتور الاسبوعية وهى لاتطبع أكثرمن عشرين الف نسخة او من مقال من جريدة التيمس وهى لاتطبع أكثر من مائتى الف نسخة . وانما ذلك لأن طبقة القراء التى تقرأ الديلى اكسبرس لاتطلب من هذه الجريدة غير التسلية . أما قراء التيمس او الاسبكتاتور فانهم يستمدون اراءهم السياسية منهما

والصحافة فى العالم كله هى اداة سيئة لتنوير الرأى العام . وهى تستحيل يوما بعد يوم حتى فى مصر الى ان تكون صحافة ارجافية تعيش وتنمو على الاستثارة للعواطف . وليس للخبر الصادق قيمة اذا لم يستفز ويبعث هذه الاستثارة ، ولذلك يمتاز عليه الخبر الأرجافى الكاذب . والرأى العام مضلل بهذه الصحافة التى لاتنشد تربيته او تنويره

وكلنا يعرف ماذا قام به المسيو بلوم فى فرنسا وكيف انه يريد اصدار قانون يحتم به على الصحف ان تعلن مواردها المالية ، وذلك لأن رشوة الصحف من بعض الجهات قد اصبحت مألوفة ، بل اصبحت كبيرة الخطر لان مصانع الاسلحة والذخائر كانت ترشوها لاثارة القلق والمخاوف حتى تضطر الحكومات الى شراء مصنوعاتها وتستعد للحروب فى غير حاجة معقولة الى الخوف منها

والصحف معذورة فى نشدانها الكسب بالخبر الارجافى ، وهى فى مزاحمة حرة تفوز فيها الصحيفة التى تكسب اكثر من غيرها . وأسوأ مافى الصحافة أن الجريده التى تنشد الكسب تضطر الى الارجاف فى السياسة او فى العلاقات الجنسية وأخبار الطلاق والزنا . فتعود أسوأ مرشد للرأي العام . والجريدة التى ترفض هذه الوسائل للكسب تضعف فلا يقرأها أحد . ثم هى فى الوقت نفسه لهذا الضعف تعود عرضة لأن تغريها أية ناحية من النواحى القوية لكى تسير فى خطة معينة ولو كان فيها الضرر الأكبر للرأى العام

وهذه الرغبة فى الكسب ليس لها علاج الا بان تعود الصحافة كلها كالقضاء هيئة حكومية (مستقلة كالقضاء من الحكومة) ولكنها فى الوقت نفسه مكفولة الكسب بالطرق المأمونة . وهذا أمل لايمكن ان يتحقق فى الوقت الحاضر

وقبل هذا الوقت يجب ان نسعى جهدنا لأن نتيح للجريدة او المجلة الحرة الرزينة عيشا الى جنب الجرائد والمجلات الارجافية

* * *

لقد أشرت الى أثر الجمعيات الثقافية التى تخدم الآراء الحرة والاصلاح الاجتماعى ، هـذه الجمعيات الفدائية التى تطبع الـكتب وتبيعها باثمان هى دون التـكاليف بغية التنوير العام

ومع انى احض على تأليف هذه الجمعيات فانى اخشى الا يتسع لنا الوقت للتنوير عن سبيلها . ومن حقنا ان نعتمد على الحـكومة اى وزارة المعارف فى هذا التنوير . ولـكن مما يؤسف له كثيرا أن هذه الوزارة تنفق ألوف الجنيهات على احياء الثقافة العربية القديمة التى ليس لها غير القيمة التاريخية و تترك أمهات الـكتب الاوربية الحديثة وأصول الثقافة الحرة الاصلاحية . فكأن وزارة المعارف لاتدرك أن الحضارة الحديثة هى وليـدة ورفيقة الثقافة الحديثة واننا لايمـكننا أن نأخذ بهذه الحضارة اذا كانت ثقافتنا ستقتصر على الآداب التى كانت فاشية فى بغـداد قبل الف عام . ومائة الف من الجنيهات تـكفى لترجـة مائة كتاب أوربى مختار يصح أن يـكون كل منها أساسا لنهضة ثقافية حية

* * *

وخلاصة القول انى متشائم ومتفائل . فانى أتشاءم لأن موجة الرجعية التى رأيناها فى السياسة فى السنين الماضية قد انتقلت الى الثقافة . واننـا الآن ننفق من وقتنا وأموالنا شيئا كثيرا على احياء الآداب القديمة مع تقييد الحرية الفـكرية . وهذا كله لايعمل لايجاد رأي عام مستنير

ثم انى متشائم من ناحية الصحافة الضعيفة والقوية معا . وكـذلك حال التعليم الذى نأخذ به صبياننا . فانه يشق الرأى العام شقين

ولـكنى أتفاءل من ناحيـة بل من نواح أخر . فان الاستقلال الذى حققناه لبلادنا قد اثبت الرجولة فى اخلاقنا . وهذه الرجولة لن تتركنا حين نتأمل آفاق المستقبل وحين نوقن ان مصر لن تتقدم وترق بتنوير الرأي العام عن مؤلفات الجاحظ والقلقشندى بل ان هذا الرأى العام سيرقى وسيلجئنا الى ترقيتـه بان نقفه على التيارات الثقافية الحديثة التى جعلت لأوربا التفوق المادى والمعنوى على سائر العالم

الازمة الدينية فى العالم

يلقى الدين شدائد فى جميع أنحاء العالم هذه الايام . بل نستطيع أن نقول انه لم يمر بالناس عصر كعصرنا الحاضر لقى فيه الدين مثل هذه الشدائد : انكارا لحقائقه وسننه ومكافحة صريحة لهدمه ودعوة حماسية الى التخلص منه كأنه مما يعرقل التقدم البشرى ويؤخر من النهوض . وقد عرفنا فى التاريخ حروبا دينية . ولكنها لم تكن من أجل الغاء الدين عامة . بل كانت للاستبدال بالدين أو بالمذهب دينا أو مذهبا آخر . أما هذه الايام فاننا نجد حربا على الدين بلا دعوة الى دين آخر . ومن هنا الخطر العظيم

١ ـ الوطنية والدين

ففى الشرق الاقصى نجد أن النهضة الصينية مقترنة بالدعوة الي ترك ديانة بوذا التى عاشت أكثر من ٢٤٠٠ سنة . وشباب الصين يقصدون إلي معابدهم فيلوثونها ويهدمون أصنامها . وفى الهند قد ثار الهندوكيون على سنن الهندوكية ورفضوا الخضوع لها . وفى روسيا يحارب الشيوعيون الله وشعارهم كلمة ماركس « الدين أفيون الشعب » ولا يمكن أن يقال ان الاتراك هم الآن كما كانوا من ناحية الدين قبل عشرين عاما . وزعماؤهم لايبالون التصريح بالحملة على العرب والاسلام معا . هذا اذا فرضنا أن الشعب التركى لايزال مؤمنا . والوطنية الاشتراكية لاتنظر بعين الرضى إلى الكنيسة الالمانية والتصادم بين رجال الدين ورجال السياسة لاينقطع فى المانيا . وحرق الكنائس وتخريب الديورة فى أسبانيا على ساق وقدم . بل ايران نفسها قد شرعت تفكر فى المجوسية القديمة

والباعث على هذه الحركات هو الاعتقاد بأن الدين يعارض النهضة الوطنية . وقد لانجد رابطة مشتركة واضحة فى هذه المعارضة بين الامم التى ذكرناها . ولكن قليلا من التأمل يبين هذه الرابطة . فان جميع الاديان بطبيعتها قديمة ليس منها مايقل عمره عن الف سنة . وهى بالطبع مرتبطة بالعادات الاجتماعية والامتيازات الاقتصادية الشائعة فى الامة . ولذلك فانه عندما يفكر التركى

أو الصيني أو الروسي أو الاسباني في تغيير هذه العادات فانه يعمد قبل كل شيء الى الدين كأنه الاصل او الركن القوى لهذه العادات والامتيازات . ويطلب هدمه قبل كل شيء . فالهدم يأتي هنا من ناحية التنبه الوطني . وهو هدم للدين القائم فقط وأحيانا مع الردة الى دين وطني سابق وهذا على أوضحه في المانيا حيث تعادالاعياد الالمانية القديمة . وفي ايران حيث ينظر بعين الاحترام الى المجوسية القديمة

وواضح أن الوطنية هي على الدوام نقيضة الدين . لأنها هي تدعو إلى الحصر وتعيين الحدود للولاء وقصره على الوطن . في حين أن الدين يطلب ولاء يتجاوز الوطن الي العالم . فاذا كان الوطنيون الاشتراكيون في المانيا يدعون الى الدم الالماني والسلالة النوردية والوقاية من اليهود بل اذا كانوا يدعون الى أن تكفي المانيا نفسها بالحاصلات دون الحاجة الى استيراد البضائع الاجنبية فان من السهل علينا أن نفهم موقفهم من ناحية الكنيسة التي تطالبهم بولاء يتجاوز الحدود الالمانية

ويمكن أن نقول ان أعظم الشدائد التي يلقاها الدين هو هذه الوطنيات المتنبهة في آسيا وأوربا لأنها كلها حركات شعبية يدخل فيها سواد الامة وليست مقصورة على الطبقات المستنيرة الصغيرة كما كان الشأن في الأزمات السابقة . ولكن هذه الطبقات المستنيرة لاتزال تحدث من الازمات الدينية ماترى أثره في جميع الامم المتمدنة

٢ ـ الدين والعلم

وفي العالم الاوربي ظاهرة قد تعد شاذة بالقياس الى ما ذكرنا هي هذا الاهتمام العظيم بالدين . ويمكن كلا من المؤمنين وغير المؤمنين أن يستنجوا منها مايحلو لهم . فان المؤمنين يستطيعون أن يعدوا هذا الاهتمام برهانا على التنبه الديني وعلى أن الخاصة قد شعرت تحس بضرورة الدين وتزكي الايمان به وتتوسل الى ذلك بمختلف الوسائل . كما أن غير المؤمنين يمكنهم أن يعدوا هذا الاهتمام برهانا على القلق لتفشي الالحاد والشك وأن مئات الكتب التي تؤلف كل عام انما هي محاولات اليائس لرد الايمان الى القلوب

ونحن نرى أن هذا الرأى الثاني هو الرأى الراجح . فان المؤمن الواثق بايمانه لايحتاج الى أن يحلل نفسه ويشرح عقائده ويزكي موقفه بالبرهان حتي ولو كان البرهان علميا . لأن هذا الموقف

نفسه يدل على القلق والتردد

وأعظم مايلقي الدين من الصدمات هو تلك المكتشفات التاريخية التى ترد العقائد القائمة الى أحلام الانسان البدائى . فان هذا الطريق من البحث قد جهز العلماء بسلسلة متعددة الحلقات يمكنهم أن يعرفوا بها الأصول المتعددة لجميع الاديان الفاشية . وربما كانت مصر الفرعونية هى المسئولة عن ٩٩ ٪ من حلقات هذه السلسلة . فانها قد بسطت لنا الاصل فى الآلهة والغاية المادية الأولى من الصلاة والمعنى المادى للخلود كما أنها أرشدتنا الى كثير من أصل التوراة حتى هذه القصص الصغيرة التى قد لايلتفت اليها الباحث مثل قصة البقرات السمان والبقرات العجاف ولماذا هن سبع ؟ وعبارة « ابن الانسان » وقصة الطوفان وما إلى ذلك

وهنك صدمات أخرى يلقاها الدين من السيكلوجية الحديثة التى تعارض الأخلاق بل الشعائر الدينية بما لا نستطيع وصفه هنا لفظاعته عند القارىء الذى لم يألف مثل هذه الابحاث . وأقل ما يمكن أن يوضع هنا هو مايتساءله السيكلوجي حين يقول . هل الصلاة التى يؤديها المصلى عن اهتمام وايمان تزيده حبا للخير فى العالم أوايثاراً لشخصه على الهيئة الاجتماعية ؟ أوماهي العلاقة بين الشعائر الدينيه والحركات الجبرية فى بعض الامراض العصبية ؟

وبديهى أن هذه الصدمات التى يلقاها الدين من التاريخ والسيكلوجية لايعرفها غير الخاصة المتعلمة . ولكن هذه الخاصة هى التى تقرر للامة فى النهاية عقائدها

٣ ـ الدين والبشرية

وضعت لفظة البشرية لكى تدل على معنى يقابل الالهية . وترجع هذه اللفظة الي عصر النهضة منذ سنة ١٥٠٠ وكان يقصد منها وقتئذ أن يهتم جمهور المثقفين بدرس البشريات الى جانب الدينيات . أى المؤلفات البشرية العلمية والادبية والتاريخية ولو كان مؤلفوها من الوثنيين القدماء أو من غير رجال الدين فى موضوعات غير دينية . وكان يقصد من ذلك ألا يقتصر جمهور الدارسين على الدراسات الدينية . ولكن منذ نحو ١٠ أو ١٥ سنة شرع الامريكيون يلصقون بهذه اللفظة معنى آخر هو أن هذه « البشرية » هي دين بشرى قوامه الايمان بالتراث الثقافى الذى خلفه البشر من جميع الامم وجميع الازمنة . وتدخل الكتب الدينية فى هذا التراث كأنها من ضمن المجهود البشرى التسامي بالانسان ورفعه فوق مستواه الى آفاق من الاخلاق يقصد منها الخير والعدل والبر

والاخوة البشرية . ويمكن أن يسمى البشريون « ملحدين » من حيث انهم لايؤمنون بما يسمى « ماوراء الطبيعة »

وزعيم هذه الحركة هو والترليبمان الذي زار مصر فى العام الماضى . فان كتابه « مقدمة الاخلاق » يعد أنجيل البشريين . فانه يقول ان اعتماد الاخلاق على الاديان قد تزلزل وان المحاولات الحاضرة لرد الايمان الى أسسه القديمة انما هي محاولات خائبة . فاساس الاخلاق للمستقبل هو البشرية أو هو البحث العلمى النزيه . فاذا شئنا أن نربى الناس على الصلاح والبر أو نعاقب المجرم على جرائمه فلن نستطيع أن نلتمس بغيتنا فى الحالتين من الاديان القديمة وانما نلتمسها من البيولوجية واليوجنية والسيكلوجية والجريمولوجية الخ

٤ ـ التسويات

ومع هذا الصراع المتعدد فى معاركه نجد محاولات مختلفة للتسوية . كالتسوية بين العلم والدين يقوم بها عادة بعض علماء الفلك أو البيولوجية أو السيكلوجية . ولكن يجب ألا ننخدع او نتفاءل بلا حق . فانه لايقول بهذه التسويات غير واحد فى المائة من هؤلاء العلماء . ثم ان إيمانهم يجرد الدين من جميع شعائره ومن ٩٩ فى المائة مما يدخل فى « ماوراء الطبيعة »

ودين البهائيه هو واحد من هذه التسويات . وفشوه برهان على تزعزع العقائد القديمة فانه يستخلص عقيدة أو عقائد جديدة من جميع الاديان القديمة . وعلى هذا النحو نجد قسيسا عظيما مثل فوزديك فى الولايات المتحدة يبنى كنيسة ويرسم على جدرانها صوراً للمسيح ومحمد وموسى وبوذا وسائر الانبياء

وخلاصة القول ان فى العالم أزمة دينية متعددة الاصول . وهي كبيرة الخطر لان النزاع ينحو بالعالم الى محو الدين . ولم يعرف قط أن أمة عاشت بلا دين ولذلك نحن فى هذا النزاع نواجه مجهولا ونلقى بالضمير الانسانى أمام تجربة قاسية قد لا يتحملها

الوصايا العشر الجديدة للعلم

كتاب تأليف البرت ادوارد ويجام الامريكى

وتلخيص الاستاذ نظمى شحاته

ان الشعب الامريكى من أقدر الشعوب وأجرئها على الاقدام بتجربة كل جديد يطرأ على النظريات والآراء فى الحياة ، فالامريكيون لهم اليد الطولى فى ميادين التجارب الخاصة بعلم النفس ووسائل التعليم . وتجارب رئيسهم روزفلت فى الاقتصاد لها شهرة عالمية ، كما أن للابحاث الخاصة بعلوم الحياة « البيولوجيا » التى يقوم بها العلماء الامريكيون خاصة فى كاليفورنيا صيتا ذائعا فى الاوساط العلمية

وما أقوله إنما هو ملخص لمجموعة آراء . أراد بها الكاتب الامريكى ويجام فى كتابه عن الوصايا العشر للعلم أن ينتقد الاساليب التى تتبعها حكومة الولايات المتحدة وهيآتها الاجتماعية . ويبين أن سير الامور على هذا المنوال سيؤدى حتما الى هدم المدنيه ، ونظرته فى كل آرائه بيولوجية بحتة . ومعلوماته من حيث الاحصائيات والتجارب مأخوذة من أمريكا

ويعترف ويجام أن آراءه بعيدة التصور والادراك فى بلاده وهى كذلك بعيدة التحقيق ولكنه لايرى مناصا من لفت النظر اليها على أمل انها قد تكون ممكنة فى المستقبل

وان مجموعة من الآراء تكون بعيده التصور فى ذهنية الشعب الامريكى المخاطر لابد أن تكون فى حكم الخيال بالنسبة الينا . ولكننا نسردها ونعلق عليها لما فيها من معلومات طريفة تصلح لأن تكون غذاء فكريا نافعا

ولما كان مؤلف الكتاب مسيحيا فقد تعرض لما جاء فى التوراة والانجيل فى مواضع كثيرة دون التعرض لما جاء فى سائر الكتب الدينية

وغاية الدين جعل الناس أبراراً وتهيئتهم للحياة النعيم الأبدى . وقد وضع فى الدين لتحقيق هذه الغاية . كثير من الوصايا والمواعظ والامثلة . وعمل الوصايا الحديثة للعلم هو لجعل الوصايا

القديمة ذات تأثير فعلي فالدين يطلب من الناس أخلاقا فاضلة ، وعلم الحياة يرينا أي الناس يجب أن تمتلىء بهم الارض ويرشدنا إلى أخلاق كونية عامه « بروتوتلازميه » ويعرفنا سبل الوصول الى بر دائم . فاذا كانت الوصايا القديمة تقول بالطريق الوعر الشائك المؤدى الى الملكوت السماوى والنعيم الابدى ، إلا أنها لاتوضح بالتفصيل الكافى كيفية اختياره

والوصايا القديمة تحذرنا من الجحيم بينما العلم يرشدنا الى انه فى الامكان تجنب جحيم الارض وانارة العالم بالطهارة والذكاء والسعادة

والواقع ان الانسان لايزال فى العصر الحجري للاخلاق اذ انه لم يتقدم فى هذه الناحية كثيرا لاهماله دراسة الحياة والاجتماع دراسة علمية ، لانه ليس لدينا للآن ما يسمي Science of Society ولكن العلم على كل حال يقدم لنا فى الوقت الحاضر قواعد ذهبية جديدة ، ومواعظ جديدة وهو كالدين يحذر المجتمع من الفساد ويشجعه على البر ، وهو لتحقيق هذه الغاية يتقدم بتحذيراته ووصاياه

وسنبدأ بدراسة التحذيرات وعددها خمسة

التحذير الاول

السلالات البشرية الراقيه آخذة فى الانحطاط

الدراسة الطبية الاحصائية الدقيقة تدلنا على أن الاصابة بالامراض ، والضعف تزداد بينما القدرة على مقاومتها تضعف وكذا ينقص نسل الطبقات الممتازة من جيل الى جيل

ان أمراض القلب والكلي فى أمريكا آخذة فى الزيادة منذ سنة ١٨٨٠ كما أن عدد قليلى الذكاء يكثر باستمرار . واختبارات الذكاء التى أجريت فى الجيش الامريكى بينت بوضوح أن العناصر « النوردية » الممتازة قد تغلبت عليها عناصر الانحطاط

ان الطبيعه كانت تستخدم قوانينها « كقانون بقاء الاصلح » كوسيلة من وسائل الانتخاب لتقدم العنصرى ، ولكن الاجتماع عطل الى حد كبير عمل هذه القوانين فلماذا لاندع العلم ، يتدخل فى تقويه عناصر ووسائل الانتخاب ؟

ان الله مستعد أن يخلق قادة للعالم ولكنهم لايخلقون بالصلاة وانما من الخلايا الجنسية . الامر الذى غفلت عنه المدنيات القديمة فى عصورها الذهبية فاعقب ذلك انحطاطها . فاليونان لايمكن أن

يعود لها مجدها القديم لان عناصر الور ثة ، والدم الذى كان يجرى فى عروق عظمائها قد تغير .
وان عظمة أسبانيا قد اثبت العالم ودز Woods رياضيا أنها قد قبرت مع عظمائها الاقدمين
ولا شك أن كثيرين من قادة اليوم يقودون اممهم الي نفس المصير باهمالهم لمسألة اكثار نسل
الفئات الممتازة

قد يظن البعض أن مسألة الذكاء والنبوغ وروح القيادة والدقة العلمية فى تمييز الامور تأتى
للافراد من الوسط المحيط بهم ولكن الواقع يخالف ذلك اذ أن هذه الامور وراثية ١٠٠ ٪ ،
أما الوسط فيهيىء الفرص لظهورها فى أصحاب هذه الميزات وفى أنسالهم

ولقد اثبت العالم كاتل cattel انه لايوجد عامل واحد من فئة عمال المياومة انجب طفلا يمتاز
بالروح العلمية والدقة العلمية فى الحكم والتمييز

ويظهر أن المؤلف يريد من سرد هذه الحقائق لفت النظر الى وجوب بحث مسألة النسل
بحثا مستوفيا ، وهذا البحث ربما يتحقق مستقبلا على يد عصبة الامم فتسن القوانين التى تتدخل بها
فى حرية التناسل

ان الفقراء والمنحطين فى العالم كثيرون للغاية . وهذا ما دعا الرئيس لنكون الى القول بان الله
قد أحب هذه الفئات حبا كثيرا فخلق منهم عددا وفيرا

وان القول بوجوب المساواة بين جميع البشر فى كل الشؤون . قول نهاجمه بقولنا « ان أعظم
عدم مساواة فى الكون هو مساواة الغير المتساوين . فاذا ساوينا بين الفرص التى تمنح للناس نكون
قد أهملنا المساواة بين الاناس المختلفين

ولبيان أهمية هذا التحذير ووجوب العمل على رقى السلالات . بزيادة نسل العظماء ، نقول ان
فى أمريكا نحو ١٠ ملايين من الممتازين ومن هؤلاء فقط « دون بقية الشعب الذى يبلغ نحو ١٣٠
مليونا » سنحصل على ٩٠ ٪ أو أكثر من قادة امريكا فى المستقبل فان لم نحافظ عليهم ونهتم
بانسالهم فاننا سنصل الي حالة الهمجية الاولى ونخضع لقوانين الطبيعة القاسية وتتلاشى مدنية
امريكا . أما بقايا عظام قادتها فستكون مبعثا لدهشة وابتهاج المؤرخين القادمين فحسب !

التحذير الثانى

الوراثة هى العامل الاساسى فى خلق العظماء

الذكاء ، والقدرة على العمل ، وسمو العاطفة ، والخلق الداخلي الحقيقى كلها وراثية . أما شأن

الوسط فى الحصول عليها فضئيل يؤيد ذلك مايرى من اختلاف فى التقدم بين أناس وأخوة تحيط بهم ظروف واحدة

والتعليم واجب ، ولكن الاوجب منه أن يعطي لكل فرد حسب استعداده وذكائه لان الاذكياء يتقدمون بسرعة عن قليلى الذكاء فلا يلزم أن تعطي لهم فرص متساوية

وهاك احصاء يوضح ان الذكاء وعوامل الشهرة وراثية

ففى قاعة الشهرة نجد أن العشرة الاسماء الاولى بين ٥١ اسما تخص أبناء وعاظ ولاننس أن الوعاظ فى امريكا أذكياء ولهم القدرة على التفوق فى الدراسة العالية

وأن ٢٦ اسما من السته والاربعين اسما الاولى لكل منهم قريبان أو ثلاثة لهم شهرة اجتماعيه كبيرة

وان اسما من كل اثنى عشر اسما من الاسماء الموجودة فى كتاب مشاهير العظماء المسمى Who's Who صاحبه قسيس

فالوراثة هى التى توضح لنا النسل وطبيعته ومايحتمل ان يكون عليه من رقى أما الوسط فضعيف لأنه فاذا كان الرجال الطيبون يخلقون الكنائس فان الكنائس لاتخلق الرجال الطيبين

ومن الاقوال التى تؤيد مركز الوراثة مايلى :

« ليس مهما أن تكون قد ولدت فى جزيرة البط مادمت قد خرجت من بيضه أوزه »

« لاتشكر الهك لانك قد ولدت فى أثينا ، ولكن اشكره لان بذرتك كانت بها عناصر النبل والذكاء »

فاذا كان هذا هو شأن الوراثه في توضيح طبيعه الناس وذكائهم وخلقهم فلا عجب اذن فى قولنا

« ان الامم تبنى على وثيقة الزواج »

التحذير الثالث

الاحسان بصورته الحالية ضار بالبشرية

الشعار الذى تتوج به هذه النقطة هو

« إن الانسان لايلزمه أن تسوقه العاطفة والقلب ، وانما يجب أن يحكم العقل ويجعل طريقة مستقراً بالذكاء »

إن طرق الاحسان الحالية من شأنها أن تعاون المنحطين والقليلى الذكاء والكسالى على المعيشة والاكثار من النسل. وعلى ذلك فهذه الطرق لاتقلل عدد المحتاجين ولكنها تزيدهم . ومحاولة تهيئة النعيم لغير الجديرين بالحياة أو بالحرى لأنسالهم معناه خلق المشاكل والجحيم للجديرين بها . وهذه الحقيقة ملموسة لدى الكثيرين والاحسان بوسائله الحالية كما يقول بعضهم يسبب نصف تعاسة العالم ولا يمكنه رفع نصف ما يسببه من بؤس

نحن نعلم أن التبذير ، والقدرة على اقتناء الثروات وراثية مثل كثير من الصفات العقليه ، والخلقية ، والجسدية . وأن للمعوزين حق التناسل كغيرهم ولكنهم لو تركوا وشأنهم لقل نسلهم كثيراً لعجزه عن السير فى معترك الحياة . أما الممتازون فلهم القدرة على تربية أطفالهم حتى سن البلوغ فاذا سارت الامور سيراً طبيعيا دون أن ندخل الاحسان فان عنصرهم يتغلب فى السلالات البشرية . ولكن القاعدة الذهبيه كما هى مفهومة خطأ تهدم السلالة التى تتبعها

ماغاية الاحسان ؟ هل هى اطعام جميع الفقراء ، وايواء كل العجزة والمتشردين ؟ هذا مالا تقره الدراسة العلمية للحياه أى أن هذا لايقره البيولوجى الذى يدرك أنه على فرض وصولنا الى هذا الحد فانه سرعان مانجد أن الحلقه التى حاولنا اقفالها قد انفتحت ثانية لتتسع اتساعا شاسعا لايمكن بأى حال أن نقوى على معالجته لأن النسل يزداد فى سرعة ويصبح أضعاف أضعاف الأصل . إن الذين نعولهم اليوم لودققنا البحث لوجدنا أنهم أحفاد من كان يعولهم اجدادنا بالأمس ولكنهم اليوم أكثر منهم عددا

ومن الغريب أن نعلم أن جميع الجرائم التى ارتكبها الوطنيون فى الهند فى الجيل السالف ينتمى أصحابها الى ١٠٠ عائلة فقط

إن الطبيعة القاسية التى يقول عنها رجال الاحسان انها تميت الألوف لهي أخف ضرراً بالبشرية من طريقتهم فى الاحسان التى سوف تقضي على مئات الألوف

التحذير الرابع

كثير من الاجراءات الطبية يؤخر العنصر

إن معدل الوفيات بمرض السل كان ينقص تدريجيا فى القرون السابقة وذلك لوفاة المصابين

بهذا المرض فى سن مبكرة . أما بعد أخذ الاجراءات الطبية الحديثة للقضاء على هذا المرض فقد حدث العكس وازداد المعدل .

وقد أثبت حدوث هذه الزيادة فى انجلترا حتى سنة ١٩١٨ وإن كان عامل الحرب لايمكن اهماله فى هذه الزياده إلا أن الدارسين للموضوع يؤكدون أن هذه الزيادة كانت محققة على كل حال حتى لو لم تكن الحرب قد وقعت

ومسألة أخرى هى محاولة زيادة السكان بانقاص معدل وفيات الاطفال . ولكننا فى الواقع لم نحقق غايتنا اذ انه بانقاص معدل وفيات الاطفال . يزداد معدل وفيات الاطفال الكبار من سن سنتين إلى عشر سنوات . وقد حقق ذلك فى المانيا ، وانجلترا والغالب أنه حادث فعلا فى الولايات المتحدة وغيرها

وفى مصر حيث معدل وفيات الاطفال أكبر منه فى أى بلد فى الغرب نجد أن نسبة وفيات الشبان أقل من نصف نسبة وفيات معظم شبان أوربا

وقد تأكدت من هذا شركات مصر للتامين على الحياة

فالفكرة التى نريد أن نصل اليها هى أنه لافائدة ترجى لسلالة من نسل ضعيف المقاومة بالوراثه وعلى ذلك فالسلالة التي تريد أن تخلص نفسها يلزمها أن تفقد نفسها (على حد تعبير المسيح) أى تفقد غير اللائقين منها . والسلاله التى تضع نفسها (من حيث العدد فتحتفظ بالممتازين فقط) ترتفع . لأنها تكون بيولوجيا جوهرة فى تاج البشريه

انه من غير الممكن أن نجنى من الشوك عنبا ولا من الحسك تينا

التحذير الخامس

لاجتماع الحالى لايساعد على التطور

آدم الانسان الاول كانت فيه عدة عناصر متعددة أورثها على ممر الاجيال لذراريه وبعضها قوى عند بعض الناس بينما البعض الآخر قد ضعف ، ولولا ذلك لكانت الناس جميعا نسخا متشابهه من آدم نفسه . ففكرة التطور فى الانسان بعامل الوراثة واضحة . وقد أدرك موسى فكرة التطور فى سفر التكوين ولكن توضيح تفاصيلها من مهمة العلم

فاذا كانت البشرية تسعى نحو الرقى والتطور نحو الكمال فيجب أن نعرف أن العلم والفن

لاتأثير مباشر لهما فى تحسين السلالة . انما السلالة تتحسن بالاختيار المقصود (وذلك فى الزواج) لان البيئة ليس لها شأن خطير كما ذكرنا فاذا أكلت الجدود الحصرم فالاحفاد لا يضرسون . واذا كان النبي يقصد بهذا القول أن اجرام الوالدين تقع نتائجه على الابناء فهذا لايكون صادقا تماما فى أى حالة من الاحوال كما هو فى حالة ارتكاب جرم واحد خطير هو اختيار زوجة مجرمة أو زوج مجرم

وليعلم الجميع أن السيقان الخشبيه لاتورث وانما العقول الخشبية هى التى تورث
والى هنا تنتهى تحذيرات العلم ويعقبها الوصايا العشر التي نمهد لها بالكلمة القصيرة التالية

سينا الجديده (أى مكان الوحى) هى المعمل

الاديان تطالب الناس بادراك ماهو أدبي من الامور ، وما هو غير أدبي واتباع ما يرضى الله وتجنب مالا يرضيه . ولكنه ليس لدينا فى الواقع احصاءات أو ابحاث توضح ما هو مطلوب ، وما هو غير مطلوب . والعلم على العموم يضع لنا قاعدة عامة هي أن كل عمل يخدم الحياة يعتبر واجباً وكل عمل يؤذى الحياة ويعوق رقيها يعتبر غير أدبي . وأبحاث المعامل ستبحث لنا عن مقاييس خلقية جيدة واضحة يعرف بها أبسط الناس ، ماهو صالح وما هو غير صالح . لاننا الآن لسنا فى حاجة الى روح دينية كما نحن فى حاجة الى جعل هذه الروح فعالة

إن كلمة الضمير التي كثيرا ما يقال أنها الحكم الاهم فى مثل هذا الاشكال قد أثبتت المعامل أنها فى الغالب تبعدنا عن البر لانها تتأثر بالخرافات ، وتجهل السيكولوجية . والضمير فى الواقع اسم لجميع منازعات النفس الداخليه ممتزجة بضغط المجتمع والمركز الاقتصادى للفرد ، وبعظمته الشخصية

والرجل البار كما يرشدنا العلم هو الذى يعمل بذكاء ، ويخضع سلوكه للاختبارات النافعة مهما كانت قاسية

فمثلا الضمير الدينى يصرح دائما بوجوب عدم تشغيل العاملات الحاملات الا ساعات قليلة رفقاً بالاطفال الذين يولدون ضعافا دائما . ولكن العالمين بيرسون وجالتون أثبتا بابحاثهما أن موت أطفال العاملات اللاتى يشتغلن فى أثناء الحمل أوضعفهم انما ينشأ عن مسألة وراثية هى ضعف الزوج وكسله ،

الامر الذى يضطر الحامل الي الاشتغال . فضمير العلم يقول بأن مثل هذا الزواج يجب أن يمنع أو أن يكون بلا أطفال أى انه يضاد الفكرة الديمقراطية التي هى أحسن شكل لحكومة رديئة فى رأى المؤلف . لنختر أى صورة للحكم ولكن على شرط انتا نجعل العلم صالحا لخدمة السياسة (أى أننا Politicalize Science) .

الاوامر أو الواجبات العشرة للعلم

(١) واجب اليوجنية

اليوجنيه ليست هى — كما يفهم بعضهم خطأ — محبة خالصة ، أوهى علم الصحة الجنسى أو تجربة فى الزواج أو دعاية وحملة لصالح الرذيلة ، أو ثقافة والدية ، أو زواج اجبارى أو قتل للضعفاء ، أو مشروع لخلق الانسان الكامل ، أو لتوليد النوابغ . أو مشروع لنزع الخيال من الحب أو لتوليد وحدات انسانيه تشابه الحيوان . وهى ليست أيضا وسيلة للتخلص من المثل العليا للنوع ، والمبادىء الادبية ، والبيت والوالدية . ليست هى شيئا من هذا وانما هي محاولة لرقى الانسان عقليا وخلقيا وجسميا واجتماعيا وماديا وتوفير السعادة للنوع البشرى

من الأمور التى حققتها المشاهدة أن الحيوان فى البرية لا يظهر بينه الجنون إلا نادراً وذلك لأن الحيوان المجنون ينهزم بسرعة فى معركة الحياة . أما الحيوان المستأنس فكثيراً ما تظهر بينه المجانين . وهذه الظاهرة لها ما يشابهها فى الانسان فبينما نجد أن نسبة الغباوة قليلة جداً بين المتوحشين نجدها كبيرة بين المدنيين ، وما ذلك إلا لان قسوة الحياة بين المتوحشين تقضى على قليلى الذكاء أولا بأول ، بينما المدنية تتيح لهم العيش والتناسل ، ولكن كيف نستطيع أى تصرف فى حل مثل هذا الاشكال . المسألة ليست سهلة التحمل ولكن يلزمنا أن نعلم أنه عندما نبدأ فى القضاء على عوامل الانحطاط فى النوع البشرى فان تعاليمنا وأفكارنا سرعان ما تتحول وترضى بالتصرفات الجديدة واعتبار أن تصرفات الامس هي التى كانت قاسية

فالامل فى اليوجنية وهو أمل النوع البشرى بأجمعه حاضره ومستقبله معقود أولا على علماء الحياة لتزويدنا بالمعرفة التى لا بد منها ، وثانياً على الكتاب والفنانين والفلاسفة والدعاة إلي المثل العليا ليخدموا فى أعمالهم وجهة النظر البيولوجية لان العلميين يوجدون لنا الحقائق أما الفنانين فهم الذين يخلقون الحياة لهذه الحقائق

إن المصلحين فى عصرنا الحالى الذين يدعون إلى خدمة إخواننا فى الانسانية قد اكتشفوا نصف الدين فقط . أما علم الحياة فقد اكتشف النصف الآخر وهو اسعاد اخواننا الذين لم يولدوا بعد . فالقاعدة الذهبية الجديدة للعلم تقول اعمل لغيرك (ولد أم لم يولد بعد) ما تحب أن يعمله الغير معك

فالعلم لم يأت ليهدم مبادىء الدين ، ولكن ليكملها

(٢) واجب البحث العلمى

لقد اكتشف العلم أن الاذكيا حقاً هم فى نفس الوقت أصحاب المبادىء الخلقية القوية ، ونحن جميعاً يمكننا أن ندرك بسهولة انه لا يمكن أن يكون الانسان باراً ما لم يعرف ويفهم جيدا السبيل الى البر . والعلم الآن قد وصل إلى مكتشفات كثيرة ولكنه عاجز عن الاستفادة بها لخير المجتمع وتقدمه العضوى والفكرى والخلقى

(العالم الآن ينقصه التوفيق بين جميع المكتشفات وقد بحث ذلك الكاتب الكسيس كاريل رئيس مؤسسة روكفلر فى فرنسا فى كتابه « الانسان هذا المجهول »)

ان الاله فى العصر الحالى لا يقبل منا أن نجعله إلهاً للعبادة فحسب بل دعانا إلى معرفته فيجب أن نسلك الطريق القويم وذلك بالبحث العلمى لمعرفة الله معرفة حقه ، وواضح أن التعاون مع قوانين الطبيعة هو تعاون فعلى مع الخالق

(٣) جعل العلم اجتماعيا

الفكرة العلمية فى دماغ العالم لا يمكن أن تكون نافعة للمجتمع ما لم توضح له ، كما أن الفكرة الفنية فى دماغ الرسام لا يمكن أن يكون لها تأثير ما لم تطبع على القماش . والحادث الآن أن نظريات الاجتماع والسياسة الصادقه هما فى أدمغة أناس عاجزين عن تنفيذها ، لهم تمام العلم بهما وليس فى أيديهم قوة لتنفيذها . هذا فى حين ان القواد والحكام الفعليين فى ميدان السياسة والاجتماع لهم القدرة الكبيرة على التنفيذ ولكن بكل أسف معرفتهم ضئيلة نسبياً أو خاطئة

والادلة على أن هذه هى حال حكام اليوم هي أولا اختيارهم بواسطة جماهير العامة لا الخاصة من الاذكياء والعلماء وان صوت أكبر علماء الحياة ليعادل فى ميدان الانتخابات صوت فرد أبله أو عاجز ، فالملايين تختار الحكام لانهم منهم . وفى أمريكا أحصيت هيئة الحاكمين فى الربع الاول

من القرن العشرين ووجد أن سبعهم فقط حصل على دبلوم عال . ومعلوم من التحقيقات الدقيقة أن عدم الاقبال على الدراسات العالية وعدم توفر الظروف وسببه عدم التفوق فى القوة الذهنية « في المخ » والنقص في القوة والضعف فى المبادىء

واذا قيل ان كثيرا من الحكام وصلوا الى مراكزهم بالثورات فان هذا القول مردود عليه بأن أثر الثورات هو تبديل الرجال لا تبديل للحكمة التى فى الرجال . وإن دعاة الديموقراطية يقولون دعوا الشعب يحكم نفسه ، وهم على علم تام بأنه عاجز عن ذلك . وان تغذية الجماهير بمبادىء رنانه لها أهميتها فى الانتخابات . ولكن ليس لها أهمية مطلقا فى تحسين جوهر الحياة

يجب على العالم أن يفسح المجال للحكماء ، والعلميين ليحكموه . ان حكام اليوم قد اكتشفوا فى العلم انه وسيلة جديدة لاكتساب الثروة والقوة فقط ولكنهم لم يكتشفوا ما هو أخطر من ذلك وهو ان العلم سبيل الى اكتشاف الحق ، وانه حياة جديدة ، ووسيلة جديدة لاتصالنا بالكون اتصالا وثيقا

حقاً ان النابغين وحدهم هم الذين يخلقون العلم الجديد ، ولكن الناس أجمعين يمكنهم ادراك الروح العلمية لو حاول العلماء توجيههم اليها . وعلى ذلك نعلل عدم انتشار الروح العلمية الي أن الناس ضعفاء فى التعلم Pooor Learners إذ الواقع انه منذ أن اكتشفت نظرية التطور وهي من أوثق النظريات اتصالا بالحياة . والرجل المتوسط لا يعرف عنها أكثر من أنها تقول بأن سلف الانسان قرد أو شبيه بالقرد . وواضح ان الذنب فى ذلك يقع على العلماء الذين لم يقفوا الناس على أسرارهم بسبيل تحوطه الصداقة والاحترام لا النفور والتحقير

نحن نحمل الفنان مسؤولية اخراج القطع الفنية ، ومسؤولية اقبال الجمهور عليها . فلماذا نتساهل مع العالم مع أن مسؤوليته أعظم ؟ والنتيجة ان العلم لا يمكن أن يصيب مرماه من حيث توافر السعادة الحقة للبشرية ما دام منفصلا عن الناس ، والذكاء لا ينمو ولا يحافظ علي بقائه إلا بتنازله عن كبريائه . وفعلا جعل العلم اجتماعياً مهمة شاقة للغاية لا يمكن أن يؤديها الحاكم والعلمى وحدهما ولكن لا بد لذلك من تعاون الفنانين والروحيين والفلاسفة والمعلمين معهما . وكل هذا يأتي أولا عن طريق دفع الحكام لهم جميعاً

لقد نهض الغرب نهضات سياسية ، وفكرية كثيرة ، ولكن الخطوة بالذكاء بعد ذلك هي النهضة الروحية ، فاذا خطا الغرب هذه الخطوة فسرعان ما تعم هذه النهضة العالم كله عن طريق العلم

لا عن غير هـذا الطريق . فقد يمكن جعل الغرب شرقا والشرق غربا فى ميادين السياسة والاجتماع

واذا ربحنا العالم كله دون أن نتقاسمه مع بنى نوعنا فالمدنية ستخسر نفسها لان التنظيم الاجتماعى للعلم هو بكل بساطة التوجيه العلمى لمحبة الله

(٤) التغير، والملاءمة والانتخاب، والوراثة

هذه الالفاظ مألوفة لدى الدارسين لعلوم الحياة، وهى تدل على وسائل التطور ، واليوجنية عندما تسعى الى اتخاذ خطوات سريعة لتطور الانسان انما تقصد الى ترقية صحته وعقله وقدرته وعلى ذلك فنقد ويلز ، وشو للوسائل اليوجنية باعتبار أنها هى نفس الوسـائل المتبعه مع الحيوان لا محل له ، لان القصد من اتباع الوسائل الاخرى ، انما هو ترقيه ناحية واحدة فى الحيوان دون الاهتمام ببقية النواحي

ونقد هذه الوسائل باعتبار أن ما تسعى اليه ليس إلا مثلا عليا . لا محل له أيضا . فى ظل العلوم الحديثة التى تجعل هذه الامور ممكنة التحقيق ولو بصعوبة

وتدخل العلم لتعيين الاتجاه الصالح للتطور أمر واجب ، ويكون ذلك با كتشاف مقاييس للانسان قي المرا كز الصناعية ، والاقتصادية أولا ، وفى المرا كز السياسية والاجتماعية ثانيا

المقاييس للمرا كز الصناعية :

إن تعقد النظام الصناعى فى الجيل الاخير . يجعلنا نعتقد ان الفرد أصبح عديم القدرة على اسعاد نفسه الا فيما ندر ، وغالبا بطريق المصادفة

وان الافراد الذين لهم القدرة على مجاراة النظام الصناعى قلائل وقد تفقد انسالهم هذه الصفة بالتزاوج بالمصادفة لا بالاختبار الدقيق

وربما كان هذا الامر لحدوثه دائما فى الاجيال الماضية هو السبب فى جعل فئة العمال فى النوع البشرى أغلبية ساحقة

ولذلك فنحن الآن أمام أمرين ولا بد ان نساير أحدهما : فاما ان نجعل العلماء يشتغلون بجد فى ا كتشاف الوجود بالفعل فى النوع الانساني من نواحى القدرة لملائمة النظام الصناعى القائم ، ثم اعطاء كل فرد نصيبه من العمل المناسب لقدرته

وإما أن نترك المسألة كما هي عليه ونترك تعقد الآلات يسير فى سبيله ، فلا يقوى على مجاراة الحياة فى ظل هذا النظام ، إلا من يغلب . أى أننا نترك أنفسنا لعامل جديد من عوامل التطور ونخضع له وهو عامل النظام الصناعى ، وهـذا العامل بالاضافه الى الانتخاب الطبيعى كفيل بان يؤدى الى انهيار المدنية الصناعية با كلها ، فأى السبيلين أجدى للبشرية ؟

المقاييس السياسية والاجتماعية

الذكاء آلى واجتماعى ومطلق والوسائل العلمية الحديثة يمكنها قياس النوعين الاولين ، ولما كانت كل الانواع يرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا . فقياس بعضها يعطينا فكرة صادقة الى حد كبير عن الذكاء بوجه عام

ولتحقيق المثل العليا لليوجنية وهي نفس المثل العليا للبشرية يلزم أن نختبر الناس حتى يتيسر لنا أن ننتخب لكل فرد الصناعة والعمل الذى يلاءمه ، ومتى فعلنا ذلك فاننا نحصل على فائدة خطيرة بطريق غير مباشر ، اذ أننا بذلك نضم النساء والرجال المتحدى الميول فى محيط واحـد مما يسهل حدوث زواج مرغوب فيه يوجنياً . وهذا الاختبار ان أمكن الى حد ما فى الوقت الحاضر وفى المستقبل القريب ، فسيكون تقريبيا لانه ليس فى الامكان قياس الناس من حيث الجسم والعقل بدقة تامة

وعلى العموم فالخطوة الاولي تكون معاملة الناس دائما لا كمجموعات بل كأفراد غير متكافئين وأن نقيس كفاءتهم باسرع ما يمكن بقدر مايمدنا العلم من وسائل ولو تقريبية . ويكون تقديرنا للمركز السياسى أوالاجتماعي للفرد بعد ذلك متفقا مع مميزاته ، مع مراعاة ذلك عند اختيار زوجه له . وهذا الامر الاخير سيعرفه الناس بسهولة عند ماتتقدم معرفتهم بعلوم الحياة ، وهنا أذكر لكم أن بعض رجال الدين المستنيرين يقولون ان معرفة الشاب والشابة بعلوم الحيـاة أصبحت من ألزم الواجبات للتوفيق فى مسالة الزواج الخطيرة . أما ترك كل الامور كما هي عليه بدون مقاييس فالضرر منه واضح . خذ لذلك مثلا يحدث فى الحياة فى كل أمة فى هذا العصر . ماهو قدر الذكاء الواجب توافره فى الناخب ؟ لا اجابة مقنعة على ذلك غير أنه فى ظل الديمقراطية يكفى أى قدر . اننا نجعل جميع الناس تعطي أصواتها فى كل المسائل . فى الانتخاب للمجالس ، وعلى مسألة الديون الخارجية وعلى الدفاع الاهلى ، والسياسة الخارجية ، وعلى مسائل العمل والعمال وعلى كل أمر مع أن العلم قد أثبت بكل دقة أن الانسان له القدرة علي الانتخاب بجدارة وحسن تقدير ، فى بعض المسائل دون

غيرها . هذا واحد من الاخطاء التى نقع فيها ولانستفيد من العلم الحديث ، الذى يمدنا باختبارات تساعد بالفعل على تحديد القدرة السياسية والاجتماعية للافراد ، وتنشىء قيما حقيقيـة ومقاييس واضحة لزواج موفق الامر الذى هو الغاية العظمى لليوجنية

نحن الآن أكثر معرفة للطبيعة البشرية من الاجيال السابقة . فاذا كان السلف قد أخطأ لجهله بهذه الطبيعة . فليس لنا ، ولا للاجيال المقبلة عذر فى عدم القيام بالاصلاحات الواجبة . اذ أن الفرصة أصبحت تسهل النجاح . ولايمكن أن تقوم مدنية حقة أو مجتمع انسانى سام إلا عن طريق الانتخاب حسب الذكاء ، وجعل مهمة التعليم حفظ المزايا الحسنة ليمكن نقلها الى الورثة

(٥) جعل الصناعة ملائمة للروح الانسانية

ماذا يحدث للبشر لو أصبح العالم طوبيا أى دولة مثالية ؟ انه سرعان ماينقلب الى شيوعية قاسية لو قورنت بها شيوعية روسيا الحديثة لاعتبرت الاخيرة جمعية خيرية . اذاً فهذا الامل ليس من صالح البشر تحققه . فضلا عن استحالته

وماذا ننتظر أن يحدث للبشر لو أن قادته فى السياسة والاجتماع تتلمذوا على أيدى العلميين أمثال فرويد ، وديوى ، ولى ، وغيرهم ؟ أظن أن فى ذلك كل الخير لأننا نقاد بعد ذلك على أسس صحيحة تتمشى مع طبيعتنا الانسانية ، ولانتخبط فى سبل غير صالحة لنا . كما يحدث فى كثير من المسائل فى الوقت الحاضر ، وكما كان يحدث كثيرا جدا فى الماضى

فمثلا كان يظن فى القرن الماضى أنه بتخفيض ساعات العمل اليومي الى ٨ ساعات يتوافر من الفراغ مايساعد على سعادة العامل ، ولكن الواقع غير ذلك فقد أثبت العلم أن الانسان لايهمه العمل مهما كان قاسيا مادام فى الامكان إرضاء غرائزه . وقد أدرك فنانو اليونان وفلاسفتهم هذه الحقيقة ولذا فان آلهتهم لم يكن فيها سوى واحد فقط يعمل ، أما الباقون فانهم يلعبون أو يحبون النساء ، أو يمارسون الفنون

وزيادة الاجور لاتجدى نفعا ولاتوقف اضراب العاملات فى كثير من الحالات لانه كثيرا مايكون الاضراب بسبب نظام الصناعة ، والآلات المعينة التى قد تضطر النساء الي هندام خاص أو ترتيب شعورهن بشكل معين لايتفق وماتريده الأنثى من جمال

ويخيل الى الجميع أننا قد وفقنا الى انهاء أحد اضرابات العمال عند ماتطلع علينا الجرائد

ورءوسها تتحلى بالعنوانات ذات الخط الكبير العريض معلنة أن العمال يطلبون زيادة الاجور أو انقاص ساعات العمل . ولكن المسألة كثيرا ماتكون فى حقيقتها وجوهرها غير هذا . وقد درس أحدهم هذه المسألة بتدقيق . واتخذ موضوع تعدد الاضرابات بين العمال المهاجرين الى أمريكا مرشدا لبحثه . فوجد أنه فى سنة ١٩١٠ كان نحو ثلاثة ملايين ونصف المليون من العمال المهاجرين الى أمريكا لم تكن لهم عائلات أو حتى علاقات طبيعية مع نساء وأطفال وبيوت أو أى شىء مما يرضى غريزتهم الاجتماعية . وهذا يوجهنا الى السبب الواقعى للاضراب وهو آت من الغابة لا ماهو مذكور فى صدر الجرائد

وعلى ذلك فانه لا يمكن أن نقوم باصلاح نافع مالم يكن المتحكمون فى الصناعة والسياسة لهم دراية تامة بعلم السلوك البشرى والثورات

ولكن الواقع بالفعل لايحقق الاصلاح لأن الانسان لايفكر تماما ، وانما فقط يفكر أنه يفكر فيضيع معظم حياته فى انتحال أعذار معقولة لتصرفاته الغير المعقولة

والثورات الصناعية ليست هي مانحتاجه بالضبط ، وانما هي أمر طبيعى يتطلبه التطور الصناعى الذى نحن فى أشد الحاجة اليه . هذا التطور الذى يتمشى مع طبيعة البشر

ولنعلم الآن أن التردد على مدارس الاحد ليس فى طبيعة الانسان وانما هو يفعل ذلك مجبرا . أما الصيد والقنص والقفز والطيران فكلها أمور تتمشى مع طبيعته . ومن غرائز الانسان التى تلى فى الاهمية الغريزة الجنسية ، وغريزة طلب الطعام مباشرة هى غرائز عدم اراقة ماء الوجه والغضب من أجل التقدير الذاتى والاجتماعى

والواقع أنه لاتوجد مشكلة للعمال باعتبارهم مجموعات ، وانما كل عامل فى ذاته مشكلة يلزم حلها على انفراد من الوجهة النفسية والبيولوجية والفسيولوجية . فالناس فى علاجهم لا يمكن أخذهم كمجموعات وانما كأفراد لنتعرف مافى كل فرد من المزايا وخاصة الروحية فيها

والمجتمع لا يمكن أن يكون كاملا مادامت أفراده غير كاملين ، ولكنه فى الامكان أن يسير نحو الرقى لان فى طبيعة الانسان مايدفعه للسعى للوصول الى حال أحسن مما هو عليها ، ومع ذلك فالانسان نفسه يجهل أن هذه المكافحة لاجل التقدم هي المكان المنشود والمثل العالى للاجتماع

(٦) الانتاج المفضل

فى عام ١٩٢٠ عمل احصاء فى أمريكا يتضح منه أن نصف المدرسين فقط يقدم على الزواج

وأن لكل عائلة من عائلات المتزوجين منهم ٢،٢ من الاطفال في المتوسط . وهذا هو نفس متوسط عدد الاطفال فى عائلات المحامين ، والقضاة ، أما فى عائلات المؤلفين ، والاطباء فالمتوسط ٢،١ فقط واقل البيئات اطفالا هي عائلات الكيميائين حيث لايزيد متوسط عدد الاطفال لكل عائلة على ١،٨ . فى حين أن هذا المتوسط بين عائلات عمال المناجم والكناسين وماسحى الاحذية يرتفع الى ٣،٦ طفلا لكل عائلة

وطبعا يضع الدين المعلم ، وماسح الاحذية فى مستوى واحد وينظر اليهما باعتبارهما متساويين ولكن فى نظر الرقى البيولوجى ، والاخلاقى ، والاجتماعى نعتبرهما مختلفين تمام الاختلاف فالمعلم يهذب النفس ويبعث بالعقل الي مخاطرات نافعة . أما الآخر فيجعل الحذاء لامعا فحسب !

لقد سار الطهريون فى السبيل القويم عن هذا الموقف (وان كانوا لم يشعروا بذلك) فقد اقاموا الصلوات ناظرين الى الرب بعين واحدة ، أما العين الاخري فانفتحت للاستيلاء على الهند واستعمارها ، ومنهم من جعل الدنيا المجهولة القاحلة كالبرية دنيا جديدة هى امريكا ذات القوة العالمية ولكن ذريتهم الآن آخذة فى التناقص ، وهذا مما لاشك فيه بجر العالم الى التأخر

واذا سارت الأمور كما هى عليه الآن فان عدد سكان امريكا فى سنة ٢١٠٠ سيصبح ١٩٧ مليونا ، ولكن من أى نوع من السكان ستكون هذه الملايين ؟ هذا يتوقف على مانتخذه من اجراءات من الآن فصاعدا

واذا علمنا أن (ربع) الجيل الحاضر فقط ينشأ عنه (نصف) الجيل المقبل ، ومن هذا النصف ينشأ ٣/٤ الجيل الذى يليه وعن هؤلاء نحو ٩٨ ٪ من الجيل الرابع ادركنا السرعة التى تنتقل بها خواصنا إلى الاجيال المقبلة ، وأدركنا اهمية تشجيع الممتازين على التناسل والنمو

وهذه الفكرة كسائر الافكار البيولوجية ليست غايتها هدم المبادىء القائمة ، وانما غايتها جعلها متمشية مع أسس التطور ، لخلق السعادة الحقيقية ، وتهيئة فرص مقدسة لحياة متجددة ، سرورها أغزر واسمى ، والصدق والجمال متحققان فيها بفضل الوسائل الدائمة التجدد

٧ — واجب الاعتماد على الذكاء

لايمكن أن يكون مجتمع من المجتمعات فاضلا متقدما ، مالم يقدر للذكاء قدره ، وقيمته التى كانت له فى الغابة . إن التطور لم يستخلص من المعارك الدموية التى قامت لتحقيقه عن غير قصد

قوة عضلية ، وصوتا جهرا ، ووحشية قاسية وانما استخلص لنا اهم مافى طبيعتنا البشرية من الصفات الملائكيه وفى قمتها الذكاء

وليس تعلم الفرد فى جامعة هو كل شيء فان أفراداً لم يتعلموا فى الجامعات أظهروا قدرة عظيمة فى القيام باعباء عظيمة ، وكل ما اكتسبوه من خبرة حصلوا عليه من ادارة مزرعة صغيرة . فالذكاء والقدرة لاتعلم وانما تورث ، والعلماء الآن يكتشفون فى الاشخاص الذكاء وقوة الارادة ولكن لافائدة تعود على العالم من هذا مالم يزود أصحاب المواهب بالقوة اللازمة للتأثير فى المجتمع ، وهذا لايتحقق لهم الآن ، إلا عن طريق الحاكمين .

ولكننا الآن فى عصر لانحاول فيه حل المشاكل الاجتماعية بالفعل ، كما نحاول حل الكلمات مثل الديمقراطية ، والنجاح ، والأخاء ، والانسانية وأمثالها من الكلمات التى مكانتها فى السياسة والاجتماع الآن ، كمكانة كلمة الله فى الاديان . فنحن نعرف أن الايمان بها دون السعى الجدى ، للحصول على مزايا روحية من هذا الايمان ، كما هو الحادث ، كفيل لنا بالخلاص . وهذا طبعا لا يحدث

ورغما عن قلة الذكاء فى العالم ، فان الاذكياء لايعاملون المعاملة الواجبة ، ولعلنا على قلة الذكاء - أنه فى أكبر الاوساط تعلما (والتعليم كما نعرف يقلل شأن الاعتقاد بالخرافات) - نجد أن كثيرين يؤمنون بخرافات متعددة كالعلم بالغيب وغيرذلك فاذا كان هذا هو شأن شباب الجامعات فماذا يكون مدي ايمان الجماهير بامثال هذه الخرافة ؟

وعلى ذكر التعليم نقول انه من الواجب أن نوجد نواح جديدة للتفكير ، أما اتخاذ آراء الاغريق أو الرومان أو غيرهم من المفكرين القدماء كموضوعات للدراسة ، فليس أنفع لنا من محاولة خلق أفكار جديدة ، وتشجيع الحرية فى التفكير التى يجب أن تكون هى المثل العالى للتعليم . واذا كانت أهم علامات التعلم ، كما يقول بعضهم ، هى القدرة على الحكم على الاشخاص بمجرد رؤيتهم فعلي هذا الاعتبار فان جيلنا الحالى غير جدير بأن يوصف بالتعلم لأنه ليس فى مقدوره أن يحكم على الشخص إلا من حيث وجاهة ملبسه ومقدار ما فى جيبه من النقود . أما المكانة أو القيمة المعنوية للاشخاص فليست لنا فراسة تذكر فى معرفتها

وللتدليل على عدم رعاية الذكاء نقول :

(١) إن البحث العلمى وخاصة البحث البيولوجى لايجد التشجيع المادي من أولي الأمر كما تجد إحدى العاب الرياضة مثلا

(٢) إن أذكياء المتعلمين يطردون من مراكزهم لأنهم يدرسون مسائل التطور ، ويقولون أن الانسان تطور عن الحيوان وقد يكونون أخلص دينا من الدهماء

(٣) إن صوت العامل الذى كثيراً مايستجدى قوت عائلته منا يعادل صوت أذكى العلماء فى الانتخابات . وقد يكون لصوته أكبر شأن فى طرد العظماء من مراكزهم مع أن كل الديمقراطية فى العالم قد منحت له عن طريق المفكرين

ان الديمقراطية تحتاج الى القيادة الحكيمة ، ولا يظهر مسؤولية الارستقراطى سوى النزعة الديمقراطية فلا غنى لنا عنهما حسب المواقف والظروف

واذا أدركت الشعوب قدر المدنية والرفاهية التى يهيؤها لهم العلماء لجعلوا من العلماء ملوكا . واذا ثار العلماء فقل على المدنية والسلام

(٤) انا نجد فى هذا العصر بعضا من العلماء غير قادرين على طبع مؤلفاتهم أو تسجيل مخترعاتهم ونجد فى نفس الوقت شخصا حقيرا له القدرة على تحريك يديه أو رجليه بصورة هزلية فيكتسب من وراء هذا الهرج (لا الفن) السينمائي أموالا طائلة فالسينما فن للجمهور ولا يمكن اعتبارها فنا عظيما يرضى السادة الاذكياء مع أنه فى الامكان جعلها فناً ممتازا يوجه الجمهور نحو الجمال والفن وتقديرهما ويجعله دائما متطلعا نحو الحرية الحقه والسعادة المؤكدة ، فتحظي البشرية بعصر ذهبي لامن من ناحية المادة ولكن من الناحية الروحية

(ومن الامور التى تعطل نمو الذكاء الرشوة — والمحسوبيه — ونظام الاقدمية فى الترقية)

(٨)واجب الفن

قد يظن البعض ان الفن آخر ما يجب أن يفكر فيه البيولوجى ، ومما لا يجب أن يفكر فيه مطلقاً رجل الحكومة . ولكنه فى الواقع أعمق ما يجب أن يهتم به الاثنان . لان الفن هو الذى يعلمنا أىّ الامور طيب وأيها قبيح ويضع لنا مقياس الجمال والفضيلة . ولادراك خطورة الفن فى مستقبل البشرية نقول إنه يضع لنا المثل العليا ويشجع علي بقاء صور معينة دون سواها . فمن أثر الوجه اليوناني المثالى تغير وجه الناس تدريجيا من قرن إلى آخر حتى أصبحت وجوهنا أقرب إلى هذا الوجه من وجوه أسلافنا . وسبب التغير فى الوجه فى ايطاليا ابان عصر النهضة وبعده انما

يرجع الى اهتمام الفن بالوجه اليوناني وتحبيبه للناس مما شجعهم على الحرص على بقائه دون أن يشعروا ، فانتشر هذا الوجه فى الانسال سريعا

وإذا كان العلم يبحث فى المادة والطاقة فالفن يبحث في الحياة نفسها فى جمالها وأحلامها فعند ما يمدنا الفن بصور حسنة للحياة سمت عقولنا وأنتجت وأصبحت ولها القدرة على الاختيار الحسن ومن ثم تتفوق السلالة

ومن هنا تتضح لنا مسؤولية الفنان إذ عليه أن يعطينا صوراً صحيحة للحياة الحسنة ، ومثلا جديرة بأن نحذو حذوها ، وتؤدى بالبشرية الي دوام التقدم . وعلى ذلك يجب أن تكون معرفته للأمور التى يتعرض لها فنه معرفة صحيحة

فالروائى الذى يظهر لنا رجلا جاهلا وزوجته أجهل منه ويبين ان أولادهما أذكياء أتقياء رغم أن ذلك من الشواذ التي تكاد تكون مستحيلة الوقوع (وعندما تقع يجد العلم تفسيراً لهاطبعا) مثل هذا الفنان مؤذ لان مثل هذه الرواية لا تصلح أن تكون مثلا للجمهور

والرسام الماهر يراعى فى اختيار تقاطيع الوجه والجسم أن تكون من التقاطيع التى لا تظهر فى الاغبياء والبله والمرضى والا حبب الجمهور فى مثل هذه الصور المؤذية بالنوع . وهكذا . .

وليس معنى هذا أن نطلب من الفنان أن يكون عالما بيولوجيا كيمائيا تاريخيا الخ الخ لان الفنان أسمى من أن يكون عالما ولكننا نطالبه بالالمام بالقواعد الاساسية فى العلم للمسائل التى يتصل بها فنه وهذا أمر يسير علي متوسطى الذكاء

(٩) واجب العالمية

كما ان الانسان فى حالته البدائية وكذا الحيوان فى الغابة كان الموت لهما تراجيديا كذلك الحال في العصور المدنية اذ يتم الموت تراجيديا بسبب الحرب التى يعشقها البشر لاسباب بيولوجية أعمقها حفظ النفس . ويلى ذلك حفظ النسل ثم حفظ النوع . وفى العصور التاريخية قلّ حفظ النوع وأصبح الانسان يحارب ليشبع وليشبع طفله الذى يصرخ من الجوع . والحرب علي هذا الاساس لايمكن ابطالها لازدحام العالم بالسكان باضطراد وسرعة

ففى ملايين السنين التى مرت علي البشر منذ الخليقة حتى سنة ١٨٠٠ صار عددهم ٨٥٠ مليونا وبعد ذلك بمائة سنة فقط أي فى سنة ١٩٠٠ أصبح عددهم ٢٠٠٠ مليونا فالزيادة سريعة والعالم

لا يمكن أن يتسع لاكثر من ٥ بلايين نسمة وعلي ذلك فامتلاء الارض سيتم قريبا من أحفاد أحفادنا وربما يكون بعض الاحفاد على قيد الحياة في تلك الايام . وواضح انه من الامور التى تساعد على ازدحام السكان وامتلاء العالم تطور الصناعة — وتقدم الطب الوقائى — وتقدم الشعور الانسانى الدينى الذى يحمى الضعفاء

فماذا يجب أن يكون موقفنا امام الحرب . هل نقول ونعلم كما علم رجال سنه ١٩١٣ البشر ان يستعدوا للحرب فى وقت السلام . أم نعلم الناس ان يستعدوا في زمن السلم ليكون السلم دائما وذلك بتنميه الذكاء ، ورعاية الفلسفة ، والفن ، والدين حتى اذا ما حلت ساعة الغضب امكن للعقل وللانسانية الاحتفاظ بكرامتهما وعظمتهما

والطريق المضمون لمنع الحرب هو خضوع جميع شعوب الارض لحكومة عالمية واحدة ولكن هذا حلم لذيذ يستحيل أن يقع فى عالم الحقيقة كما يظن ولز نفسه وهو أكبر الدعاة للتقرب من هذا المثال البعيد المنال

ولكن هذا الكاتب المفكر يرى من بين الطرق الهامة لمنع الحرب القسوة فى معاملة الجماعات التى تقوم بها . فاذا كانت الحكومات فى سنة ١٩١٣ أعدمت الافراد القلائل الذين كانت نيتهم للحرب واضحة لما وقعت الحرب العظمى ، والآن يوجد من أمثال هؤلاء كثيرون ولكننا لانجرؤ على العلاج الحاسم ونكتفى بعقد مؤتمرات السلام واقامة الصلوات

والعالمية لاتتحقق بالقوة والمدافع وانما تأتى كنتيجة لرقى البشرية بالتعلم وتفهم النفسية الانسانية وتنمية الذكاء . وعلى ذلك فالخطوة الاولى فى هذا السبيل هى تشجيع الوطنية حتى يرقي كل شعب ويصبح العالم مجموعة من الشعوب الراقية فهذا أفضل من جعل الارض عالما واحدا خاليا من سبل التطور ، ولاتعتبر أمة على وجه الارض متمدينة مالم تكن سائر الامم حولها متمدينة أيضا

أما المدعون بأن الحرب وسيلة للانتخاب الطبيعى لتنفيذ قانون بقاء الاصلح فيجب أن يعرفوا أن هذه الوسيلة لاتزيد على وسيلة مثلها هى الزلازل وكما أن هذه الاخيرة أصبحت طرازا قديما فهكذا يجب أن تصبح الحرب

(١٠) واجب التكوين الفلسفى

ليس من السهل أن نجعل الحكام فلاسفة ، ولكنه من واجبهم الميسور تحقيقه أن يفهموا

الفلسفة وأن يدخلوا فى نظام الحكم التغيرات الاساسية التى يمدنا بها فلاسفة العلم الحديث فى نظام العالم والحياة لانه ليس فى مقدور الفيلسوف أن يصل بآرائه الى الناس مباشرة . ولكنه من السهل جدا أن ينقلها اليهم رجل الحكم . وكثيرون من حكام اليوم يسلكون فى مراكزهم وفي حل المشكلات كما لو لم يكن قد حدث فى العالم أمور جوهرية أثرت فى مجتمعاته ، وكأن كل ماجد فى العالم هو بعض المخترعات التى تدر الاموال فحسب . أما كون العلم والفلسفة قد أوجدا قيما جديدة للحياة ، للاخلاق والاجتماع ، والسياسة فهذا مما لم يدركه بعض الحكام ومما لم يتصرف معظمهم تبعا له

والسؤال الدقيق الذى يحتاج الى توضيح تام فى هذا الصدد هو : ما أساس المقاييس الخلقية للجيل الماضى وللجيل الحاضر ؟ وماذا يجب أن تكون هذه المقاييس بالنسبة للمستقبل ؟ وللاجابة على هذا السؤال نقول : إننا فى الجيل الحاضر نتبع نفس أساس الاجيال الماضية ، فيرضينا مثلا أن نعتبر جمهورية أفلاطون مثلا نموذجا للعالم مع أنها مثل معظم ماعدنا به الفلسفة القديمة لاتصلح لحياة سعيدة مطلقا . فجمهورية أفلاطون لاتصلح إلا لمعيشة سادة قلائل ومعهم عبيد كثيرون

ولكن الواجب يقتضى بأن يكون للاجيال المستقبلة ، فلسفة اساسها الذكاء ، نسير بها نحو الديمقراطية السليمة التى توفر للناس السعادة الحقيقية لا الوهمية . ولاصحاب الشأن الحق فى عدم الاعتماد على الفلسفه لانها لم تكن لتعتمد على العلم ، وكانت بعيدة عن الحق قليلة الفائدة ، فى معظم الظروف ، وعندما نتحقق من صدق بعضها نجده لايصلح لا كثر من التسلية الذهنية

وواضح أن الفيلسوف لايصلح لأن يكون حاكما لعدم امكانه تدبير الامور المتعلقه بمرافق الحياة المتنوعة ولكنه يصلح لما هو اسمى من ذلك ، اذ انه يمدنا باختراعات اجتماعيه تيسر لنا الاستفادة بالمال والوقت وتهيىء لنا السعادة التى ليست خبزا وزبدة فحسب

واذا كان لاولى الشأن حق فى اهمال الفلسفة القديمة فليس لهم عذر فى عدم الانتفاع بالفلسفة الحديثة التى تعتمد على العلم الحديث ، انهم يخشونها لانها تقصيهم عن كراسيهم ، وكذا لايؤمنون بذكاء الشبان الحديثين الذين يفكرون تفكيراً حراً

لقد خلق العلم للبشر كونا جديدا ، ولكن الكنيسة لم تخلق بعد دينا جديدا فهى مازالت تهدد بالجحيم كل الحريات الجريئة الذكية هذه الحريات التى أنتجت كل ما ينعم به الناس من رفاهيه (ورجال الدين من بين الناس طبعا)

انا كثيرا ما نكلف أنفسنا اقامة المباني الفخمة ، ولكننا نضع فيها وعاظا لايعرفون اختيار الكلام المناسب لتقدم البشرية ، وفي نفس الوقت نبني السجون للاحرار المفكرين . والواجب تشجيع المفكرين الصالحين على نشر مبادئهم ، والأخذ بتعاليمهم ، أما العقائد القديمة عقائد من ماتوا وهي لاتزال حية فيصح التساهل في جعلها باقية قابلة للانتشار

وطبعا لايمكن معرفة أي الفلسفات حق وأيها غير حق ، ولكن بوجه عام نقول إن كل فلسفة تبنى على الذكاء فيها الكثير من الحق والنفع ومثل هذه الفلسفات أفادتنا في أمور كثيرة أهمها ما يلي :

(١) طريق المعرفة . اذ ليست الحواس هي أبواب المعرفة وانما سلوك الكائن الحي هو رد فعل أو استجابة لما يحدث في الوسط المؤثر فيه

(٢) هذا التغير الذى طرأ على فهمنا لطريق المعرفة غير فهمنا لأمور كثيرة فأصبحت الحقائق المجردة كالمثل الافلاطونية الثابتة لا قيمة لها وانما الحقائق المادية المنتجة هي التي تستحق العناية

(٣) أصبحت الفلسفة تخدم المبادىء والاغراض الاجتماعية خدمة عملية بدل التعلق بأمور في دنيا غير التي نعيش فعلا فيها

ولايعرف الحق إلا من كافح في الحياة أما المؤمنون بالخلاص والفداء والعمل لعالم آخر ، دون اختبارهذا العالم أوالكفاح فيه . فهؤلاء قد جهلوا الحق

ونيتشه الفيلسوف الالماني يعتبر أشجع شخصية ظهرت منذ المسيح وهو يستحق كل تمجيد وذلك لأنه واجه الحياة ودرس بجراءة كل ما يتصل بها فسعى الى ادراك الحق بالمكافحة والمخاطرة

والفلسفة الطبيعية المادية تقول بأن كل ما يحدث في الكون يحدث آليا حتى الحياة نفسها بدأت بهذه الصورة وتطورت حتى أخذت شكلها الحالي وخلق الانسان على هذا الاساس يكون أعظم حادثة طبيعية وغيرهذا من الافكار المادية ونحن لانتعرض لكونها حق أو باطل ، ولكننا ندرك أن القائلين بها ليسوا من مستشفى المجاذيب وانما هم من كبار العقلاء فيجب أن نستفيد بمثل هذه الفلسفة ولا نهملها اهمالا تاما لأنها تتعارض مع بعض الافكار الدينية ، ان مثل هذه الفلسفة في امكاننا أن نتعلم منها الاعتماد على النفس لا على الملائكة والشياطين

ومما لا يمكن تحديده كون التعاليم الروحانية أدت الى خلق الروح الادبية ، أو الى عكس ذلك ، ولكن مما لاشك فيه أن بعض التعاليم اللامادية كالخلاص من الخطيئة دون عناء مناسب قد يؤدى بنا الى اهمال محاولة الخلاص الطبيعى . والعلم لا يعرف غير السبب والنتيجة ويعلمنا أن الاهمال فى الشؤون الصحية والتعليمية حتما يؤدى الى الانحطاط والبقاء فى الخطيئة دون خلاص

وواجب الفيلسوف والمعلم أن يوضحا للناس سبيل العيش فى العالم الجديد الذى خلقه العلم الحديث فان لم يوفقا فى هذا فلابد أن ينهار صرح المدنية ، لا بسبب الغباوة والجهل وانما للاعتقاد بأن جميع انتصارات الذكاء والعلم لم توفق فى اعطاء الانسان فكرة صادقة عن الحياة

نظرة اخلاقية : العادات العقلية للمستقبل

لا تئن البشرية من اختلال الميزانيات ولكنها تئن من عمليات عقلية خاطئة ، واذا سارت الامور كما هى عليه فى هذا العصر عصر الكهرباء والبارود فسوف تنسف المدنية مالم نسعفها باختراعات اجتماعية غير مألوفة فى الوقت الحاضر لنقضين على اخطاء هذا العصر

وهذه العمليات الخاطئة يصح أن نسميها عادات لا شروراً لانها ليست من أنواع الشرور المألوفة لنا اذ أنها لا تصلح لان تكون عنوانات فى رؤوس أعمدة الجرائد ، أو أسبابا للحكم فى نظر القضاة والمحلفين . ومنها :

١) قلة عدد الاذكياء وندرة تناسلهم مع أنهم مدبرو العالم

٢) زيادة عدد الغير القادرين على التفكير ، أومن يفتكرون فى أنفسهم أنهم مفكرون

٣) عدم رغبة الغير القادرين على التفكير فى تصديق المفكرين

٤) ندرة عدد الذين يعرفون بذكاء الحالات التى يلزمهم فيها أن يتركوا التفكير والتدبير لمن لهم خبرة كافية أى الاخصائيين

٥) كثرة من يظنون أنه يمكن اصلاح المجتمع بوسائل للجماهير فيحلون ألفاظا لامشاكل

٦) انتشار تجار لهم القدرة على الدعاية لبضائعهم الاجتماعية ، والروحية ، والاقتصادية ، والسياسية وغيرها من عصابات التأمين ، الى دعاة الديمقراطية والمسيحية (لا دين المسيح) والماركسية . كل هؤلاء وأمثالهم ينكرون عمليا فائدة الذكاء والتفكير الحر فى حل المشاكل الاجتماعية

٧) الذكاء والعلم لايسيران الحكومة وانما هى التى تهيمن عليهما

٨) الحكومة غالبا فى يد السياسيين مع أن كل مرفق من مرافق الحياة كالسياسة أو الفن أو الدين أو التعليم أو العمل أو الفلسفة أو الصحة يجب أن يكون فى يد اخصائي . ولهذه العادة مع سابقتها يعزى سبب عجز عصبة الامم عن خلق حكومة عالمية أو مايقرب من ذلك

٩) اخفاق التعليم كنتيجة للعوامل السابقة فى خلق نشىء مزود بمعرفة الحق الذي يحرر من العبودية

ليس فى مقدورنا أن نوجد فى كل معهد سقراط وسنيكا وباستير وهكسلى ونيتشه والمسيح وأمثالهم ممن لايختلفون عن الناس الا فى استقامة تفكيرهم ويندر وجود أمثالهم فى معظم الاجيال ، ولكن هذا لايمنع الآباء والمعلمين من تعليم النشء روح هؤلاء الافذاذ

١٠) قلة عدد الطامعين لا فى المنافع وانما فى القيم ، لا فى المال وانما فى الحياة ، أمثال بوذا وسقراط والمسيح وديوى وغيرهم والواجب أن نسعى للاكثار من أمثالهم واذا كانت اليوجنية تعجز عن ذلك كما هو حادث فيجب أن نسعي الى ملء العالم بمن لهم روح أمثال هؤلاء الممتازين

والآن ولكى يسهل تحقيق وصايا العلم العشر يلزمنا ثورة فى التعليم لافى وسائله وانما فى مناهجه فيجب اختيار مايناسب روح العصر من العلوم ، وان نتوخى الصدق والذكاء فى كل مايدرس ، وان نختار كل مايدفع المتعلم الي مواجهة الحق والحياة بجرأة لاتعرف الحياء المعطل للتقدم . ان مايجرى الآن يعتبر مؤامرة سرية ضد الاطفال غايتها غشهم وعدم اعطائهم مايجب أن يعطى لهم ، وأن لاينجو من هذه المؤامرة الا النزر اليسير من الشبان الذين أسعدهم الحظ فى جامعاتهم باساتذة جريئين أو بوالدين لايخشون التفكير الحر فى كل مسائل الحياة

آمل أن تكون هذه الآراء قد سببت لنا آلاما شديدة . أى زودتنا بفكرة جديدة . لان أشد الآلام هى التى تنتج الافكار الجديدة

نظمى شحاته

الحياة تبدأ فى الخمسين

يدير قسم المحاضرات العامة فى الجامعه الامريكية بالقاهرة رجل فى نحو الخامسة والخمسين من عمره هو الدكتور كليلاند . ويذكر الذين اتصلوا بهذه المحاضرات انه كان غائبا طول السنة الماضية . وسبب غيابه انه قصد الى الولايات المتحدة وعاد طالبا فى احدى الجامعات وتقدم للامتحان ونال لقب « دكتور » فى السيكلوجية

وفى هذا الخبر عبرة لنا . فان كثيرين منا يموتون عند الاربعين وان كانوا لايدفنون الا بعد عشرين أو ثلاثين سنة . وذلك لاننا لانكاد نترك المدرسة حتى نودع النشاط الذهنى فلا نقرأ ولا ندرس . أو نحن نقرأ مايسلى ويلهي فقط . ولا تمضى علينا بضع سنوات حتى تكون أذهاننا قد ترهلت فلا تطيق البحث والدرس . وعندئذ نموت . ومن علامات الموت فى هذه السن اننا نسمن ونستكرش وننام بعد الظهر ونقرأ من المجلات ماتغنينا رؤية الصورة فيها عن القراءة . وفى هذه الحال نحب حياة الدعة والركون الى التقاليد ونكره كل من يهزنا الى النشاط والتفكير

ولكن الدكتور كليلاند رجل أمريكى يعيش فى أمة غير مثقلة بعبء التقاليد ويبدأ تاريخها بثورة . وهو لم يسمن قط ولاينام القيلولة ابدا ولذلك ينشط الى طلب العلم ويعود تلميذا وهو فى الخامسة والخمسين من عمره ويخضع لامتحان الجامعة وينال شهادة . وهو بهذا الدرس الدائم يجدد نفسه ويستبقى شباب ذهنه . فهو ابدا متطلع ينظر الى هذه الدنيا كما ينظر الطفل الى لعبته يحب أن يتعرفها ويستكنه أسرارها

اننا نجدد ملابسنا وأثاث بيتنا كل عام تقريبا . ولكننا لانكاد نجدد أذهاننا ولو مرة كل خمس سنوات . ولهذا السبب نجمد جمود الموت فلا نطيق رأيا جديدا . حتى عندمانفكر فى الثقافه نعود الى الرأى « القديم » الذى لايعكر صفاء موتنا

ومن الكتب الحديثة كتاب لامريكى يدعى « الحياة تبدأ فى الاربعين » والمؤلف سيكلوجى أمريكى يدعي الدكتور بتكن . وهناك كتاب آخر يدعى « الحياة تبدأ فى الخمسين » لمؤلف انجليزى يدعى المستر كاسون . والمؤلفان يتسابقان فى ارشاد القارىء المسن عن الوسائل التى يمكنه أن يجدد بها شبابه الذهنى . ومتى احتفظ الانسان بشبابه الذهني فانه لايحس الكهولة أو الشيخوخة ولن يصدق انه سيموت الا عند مايوضع فى القبر

ولكننا نحن نموت قبل أن ندفن بنحو ٢٠ أو ٣٠ سنة

السبرمان

لو أتيح للقرد أن يتخيل الرقى النوعى لرأى أنه يشمل الجسد ولا يتناول الذهن ، فالرقىّ عنده كان يكون لاشك زيادة عظمى فى القوة وضخامة هائلة فى الاعضاء وإبعاداً فى الوثب . ولكن الانسان الذي يتمثل فيه الرقىّ قد جاء وليس فيه شيء من ذلك فهو بالقياس الى القرد دقيق الاعضاء هادئ وقور جميل بطيء الحركة كثير التفكير كبير الرأس واضح الملامح والقسمات حاد النظر . فهو يخالفه كل المخالفة لامن حيث قوة البدن بل من حيث شدة الوعى وحدة الذهن . ومن أجل ذلك يمكن القول بأن تصور الانسان للرقى المنتظر فيه مشابه من تصور القرد لهذا الرقى الحاضر . فهو كما عند القرد فى قوة الجسد أيضا وفى العلوم الرياضية التى تتعلق بالجسد من قدرة على الطيران الي نبوغ فى الاختراعات المادية والكيمياء الى تفوق فى الهندسة والطب . وهو تصور خاطئ ولا ريب . فهذه الآلات والمركبات التى يتوقعها الانسان هى من لوازم الجسد وليس لها ادنى اتصال بالطباع ولا المزايا والمواهب التى هى سبيل الطبيعة الى التسامى والكمال . لأن تقدم الأنواع يأتى من تنمية المدارك لامن تغذية الشهوات وهو يتجه الى خلق السجايا والسمات النفسانية لاخلق النزعات والدوافع الجسمانية

فالرقى النوعى لايبدو فى الألياف والعضل ولكنه ينتظم المجموع العصبي وحده . فقادة البشرية الذين وصلوا بها الى هذا المستوى لم يكونوا من المصارعين ولا من المحاربين ولم يكونوا من أهل الاختراعات والعلوم الرياضية ولكنهم كانوا فلاسفة ومشرعين وأنبياء وأدباء . ولقد كان القرد أقوى وأنشط من الانسان وربما كان يتصور — لو تصور — ان الانسان يكون أقوى وأنشط منه . فلما ظهر الانسان اذا به ذلك الرزين الساكن المتأمل . وإذ جاء دور الانسان وجدناه يتخيل ابن المستقبل على الطريقة عينها فالمستقبل عنده أبنية وأجهزة وضوضاء تملأ الأرض والسماء . وعندي ان الانسان زائغ النظر منحرف التصور لأن ابن المستقبل سيكون هائل الرأس . والرأس موضع الادراك والوحى لاموضع المطامع والشهوات ويكون جميلا جداً نير الطلعة براق العينين أخاذاً ممشوق القوام لين المفاصل والاوصال نقى الجسد واضح القسمات نفاذ النظر لايتكلم أبداً بلسانه لأن نطقه سيخرج من رأسه بقوة حية يكون لها ذبذبة وتردد فى الأثير . لايفخر بملبس أو مأكل اذ يعيش عارىء الجسد معدم اليد لايملك شيئا لأن ثروته فى رأسه فله كل شيء ويكون عيوفا قليل الأكل لايأكل الا فاكهة سينشئها هو بالتوليد من هذه الفاكهة ويسيطر على الانسان

بقوة حقيقية هادئة حكيمة هى أشبه شىء بالسحر تخرج من رأسه وعينيه فتغير الأوضاع والمعالم كلها . وهو ينظر إلى هذا التنازع المادي والى آلة الحرب المحشودة اليوم فى العالم كما ننظر نحن الآن الى المخلب والناب ويرى هذه المظاهر ومافيها من بذخ ودعوى كما ننظر نحن الى ريش الدندي والطاوس .ويرى من آثار الفنون الجميلة فقراً وعدما فى التصور وجمال النفس ينبىء عن همجية بائدة وتوحش زائل لأن الفن الصحيح عنده جانب من النفس كبير لايلجىء صاحبه لكى يشعر به أن يعكسه على الحيطان والأحجار وسيرى فى اختراع الانسان الآلات نكوبا منه عن سواء الطبع وانحرافا مهلكا له مخسرا لموازين الأقدار والكفايات لأن هذه الآلات عرضة لان توضع فى يد الناقص فيتهضم بها حق الفاضل وبذلك ينهدم نظام الانسان من أساسه فتكون نكسة فى نوعه لايعلم أحد كيف تكون عقباها . وهذه العلوم التى نقطع أعمارنا فى تفهمها وحفظها ونحظى لاجلها بالبراآت والمراتب هى عنده من البديهيات بل هى جزء قليل جداً من مواهبه اللدنية التى تتم له مع الطفولة ولايحتاج فى اكتسابها الى تفهيم معلم أو تحفيظ ملقن . وعلومه تتوفر على الاصغاء لوحى النفس والاخلاد السعيد الى صفائها وهذه مرتبة الالوهية . لانه مستكمل الخلق مكفى شر البطن مقموع الشهوة الجسمانية . ورياضته سياحات فلكية بين اجرام الوجود وأشخاصه النيرة الثاقبة إذ هو متصل بالقوة التى تربط اجزاء الوجود بعضها بالبعض فيستخدمها فى حله وترحاله ويذهب بها الى أى مكان يشاء وهو بها مستطيع أن يرى ويسمع ويعرف الاشياء البعيدة القاصية التى لايعرف الانسان بعلومه ومداركه شيئا عنها ولا يعلم طرفا منها

وأول مايظهر يكون معتل الصحة شيئا ما لانه ينشأ فى غير بيئته ويدرج على غير طبيعته ويكون محتقراً من الناس منبوذا مهزوءا به منهم لانقطاعه عنهم وتوفره على غير شؤونهم ودواعى فخرهم وانصرافه عن معاشرتهم وملابستهم وسيرتابون فيه لانفراده بشكله وغرابته فى مسلكه فيكون الاستهزاء والسخر فالحسد فالايذاء من جانبهم يقابله السكون والصبر والمصانعة من جانبه حتى يتكاثر نوعه ويتوطد أساسه ثم تكون دهشة فيها جلاء الشك وتسير الامور كما قدر لها لان التطور لايقف ولا ينتهى عند حد

حبيب عوض الفيومى

قريتنا الكبرى

للاستاذ نقولا يوسف

هذا اسم أطلقه ولز على كرتنا الارضية التي ندعوها بالدنيا ، وكنا الى عهد غير بعيد بل مازلنا نتغنى بعظمها واتساعها ، وتذهب بعض المخيلات بلا نهايتها

غير أن تطور العلوم وتوالى المكتشفات وتقدم المواصلات قد انزلت هذا الكوكب الارضى عن عرشه القديم واذا به قرية كبري تسكنها قبيلة واحدة من الارضيين الذين سيحملهم ارتقاء العلوم على الاتصال يوما بالقبائل الاخري الساكنة فى المريخ وغيره من الكواكب

وهكذا لم تعد أرضنا تلك الدنيا الهائلة الغير المحدودة والتى حيرت مخيلات الاقدمين ، وهى بالطبع لم تصغر فى الجرم أو تنكمش فى الحجم فى هذه القرون الاخيرة وانما نحن الذين كبرنا أى ازدادت معارفنا وزالت بعض الغشاوة عن عيوننا فبدت لنا هذه الكرة من عليائنا صغيرة ونحن كلما ارتقينا اقتربنا من الحقائق

كان الناس فى القديم ولم تزل بعض القبائل المنحطة الى اليوم تذهب فى أمر هذه الكرة الارضية شتى المذاهب المبنية على الحدس والتخمين . وخلاصة هذه المذاهب أن هذه الارض هى كما تراها العين قرص مسطح منبسط تعلوه قبة أو سقف من المعدن الازرق أو من مادة أخرى ، وهذه القبة تتصل بالارض عند اطرافها ويتسلقها قرص الشمس كل صباح

غير أن اجماع الناس فى القديم على هذه الآراء حتى امتزجت بالأديان وسارت مع مدنيات الشعوب لم يمنع نفراً من الاذكياء منذ نحو خمسة وعشرين قرنا عن ادراك كروية الأرض ودورانها . ففى القرن السادس قبل الميلاد قال فيثاغورس ومن بعده فيلولاوس أن الارض والسيارات تدور حول نار مركزية . وكان افلاطون وأرسطو يعتقدان بكروية الارض ثم جاء ارسطارخس فقرر هذه الحقائق ، وظهر بالاسكندرية العالم اراتوستينس الذى مات عام ١٤٩ ق.م فألف كتابا قاس فيه محيط الارض وقطرها بما يقرب من أقيستنا الحديثة

ولكن اذا استثنينا هذا النفر من فلاسفة اليونان والاسكندرية فان الناس منذ فجر التاريخ حتى القرن السادس عشر للميلاد كانوا على وجه عام مجمعين على ثبوت الارض ودوران

الشمس حولها مرة كل يوم ، بل لقد رموا كل قائل بغير ذلك بالكفر أو الجنون ولم يترددوا فى محاكمته أو احراقه حيا

ومنذ بضعة الوف من السنين كانت المخيلة المصرية العجيبة قد كست كعادتها تلك الآراء فى مسألة الارض والسماء بثوب شعرى غريب مالبث أن صار عقيدة دينية اختلفت بتباين العصور والبلدان . أما الكهنة فكانوا يسترون علومهم عن العامة لأسباب عدة . فهذا اعتقاد بان الارض منبسطة مستطيلة تبدأ حيث يبدأ النيل من المحيط اللانهائى الواقع فى الجنوب وتنتهى حيث يصب النيل فى الشمال . أما السماء فقبة من المعدن الازرق الصافى تحملها عمد أو جبال عالية قائمة فى جهات الارض الأربع . وفوق هذا السقف مياه متلاطمة تنساب على الارض مطرا اذا فتحت نوافذه . أما النجوم فمصابيح صغيرة مدلاة فى السطح الاسفل لهذه القبة .. ويجرى حول هذه الدنيا نهر سماوى عظيم يسير فيه قارب يحمل قرص الشمس من الشرق وينحدر به نحو عالم الظلمة فلا تراها العيون . فاذا غابت الشمس أقبل القمر سابحا فى قاربه تحرسه عينان خوفا من ذلك العدو الهائل الذى يهاجمه حين يكتمل بدرا فيشطر منه جزءا يلقيه فى النهر السماوى

وتصور آخرون أن القبة السماوية التى تظل الأرض أشبه ببقرة كبيرة رأسها فى الغرب ووادى النيل بين ارجلها والنجوم زينة يتحلى بها بطنها : وزعم غيرهم ان السماء على شكل امرأة منحنية ، رأسها فى الغرب وقدماها فى الشرق ، والنجوم تزين صدرها أما تحت الأرض فالعالم السفلى الذي تنحدر الشمس الى ظلماته ويذهب الميت بعد وفاته

وظهر فى النقوش الاشورية القديمة مايمثل الاله مردوخ وقد بدأ يخلق السموات والارض . أما الأرض فيحيط بها لج عظيم من الماء وفى جوفها وادى الموت ومن فوقها قبة السماء القائمة على دعائم وفوق تلك القبة بحر متلاطم من الماء تملوه السموات العليا وفى شرق هذه القبة باب تدخل منه الشمس صباحا وفى غربها باب آخر تخرج منه عند المساء .. وفى هذا الخيال الاشوري أثر مصرى لابد أنه انتقل اليهم كما انتقل إلى غيرهم من الشعوب القديمة لاسيما العبرانيون الذين ورثوا عنهم آراءهم فى الارض والسماء وغيرها من العقائد والطقوس والآداب . وكانت كتب العبرانيين السبب الأكبر فى تعصب لاهوتى أوربا فى القرون الوسطى لتلك النظريات واضطهادهم لكل من قال بدوران الارض حول الشمس أو حول نفسها

وهناك فى الهند ظهر اعتقاد بان الأرض قائمة على ظهر سلحفاة ، وهناك رأي بعض البراهمة أن الارض زهرة من أزهار النيلوفر طافية على سطح الماء

وشاع بين العامة أن الأرض محمولة على قرن ثور . وقال آخرون إنها طافية على وجه الماء ،

واعتقد لاهوتيو القرون الاول للميلاد انها سهل منبسط محوط باربع جدران تعلوها قبة صلبة. ورأي ابن الاثير فى اخوان الصفا . « ان الارض نصفها مغطى بالبحر المحيط والنصف الآخر مكشوف مثلها مثل بيضة غائصة نصفها فى الماء والنصف الآخر ناقىء من الماء » وتبعه ابن خلدون الذى توفى عام ١٤٠٦ فقال فى مقدمته « ان شكل الارض كروي وانها محفوفة بعنصر الماء كأنها عنبة طافية عليه »

وكان أسلافنا الى عهد غير بعيد يزعمون أن هذه الأرض هى مركز الكون وأن الله قد شرفها عن سائر الكواكب والنجوم وأسكن فيها الانسان سيد المخلوقات . فكان الفضاء فى رأيهم دائرة عظمى مركزها الارض ، وحول هذا المركز تدور الشمس والسيارات والنجوم والعوالم كلها . وان أهل الأرض هم سادة الكون الذين خلقت الشمس لخدمتهم نهاراً والقمر والنجوم لتضىء لهم فى الليل كما أن الحيوان والنبات وكل المخلوقات لم تكن إلا لمنفعتهم الخاصة

وكان بطليموس العالم اليونانى الذى نشأ بالاسكندرية بين سنة ١٠٠ و ١٧٠ للميلاد قد تحقق أن الأرض كرة معلقة فى الفضاء لكنه زعم أن الارض مركز ثابت يدور حوله القمر والشمس والسيارات والنجوم والثوابت وكلها تدور حول الارض دورة كاملة كل يوم من الشرق الى الغرب كما تراها العين

ولما جاء دور العرب نقلوا كتاب بطليموس الى العربية واشتغل بعض علمائهم بالفلك لم يخرجوا عن رأي بطليموس وبقوا معتقدين كغيرهم ان الأرض مركز تدور حوله الشمس والسيارات. وذكر أبو الفداء فى جغرافيته « ان الأرض كروية وانها فى الوسط »

وظلت نظرية بطليموس شائعة يؤمن بها أهل الشرق والغرب نحو خمسة عشر قرنا ، وكانت كلما زادت قدما زادت قداسة وزاد بها رجال الدين تشبثا لا سيما ان العين تؤيدها وكتب العبرانيين تشير اليها . وأصبح مركز الأرض ونظام الكون كما ذكرها بطليموس مسألة لا تقبل التعديل وأصبح نقدها كفر وهرطقة !

وهنا تكتظ صفحات التاريخ بعدد لا يحصى من الكتب والمقالات فى تأييد هذا الرأى وما يتفرع عنه ، وبالمجادلات والمناقشات والمحاكمات التى قامت بسببه ثم راجت فى القرون الأولى للميلاد كما راجت فى القرون الوسطى أخيلة فكرية لاهوتية مختلفة منها أن أرضنا كرة تتوسط الكون لأن الكون لم يخلق الا من أجل الانسان ، ولم يخلق الانسان الا لخدمة الله ، ومن تحت هذه الأرض تقوم جهنم مسكن الشياطين ، ويحيط بالأرض أفلاك كروية شفافة تديرها الملائكة وفى كل فلك جرم من أجرام السماء ووراء تلك الأفلاك يستوى العرش الالهى . . الى غير ذلك من الأخيلة التى كان ينشرها الكتاب ويسهبون فيها !

ولما جاء كوبرنيكوس وقال بحركة الأرض حول محورها من الغرب الى الشرق وبدورتها مع السيارات حول الشمس لم يجرؤ على نشر رأيه خشية الاضطهاد والمحاكمة فأخفاه ستاً وثلاثين سنة حتى وجد من يطبع كتابه سنة ١٤٥٣ ويعتذر له فى مقدمته أنه مجرد فرض لاحقيقة. ورأى كتابه مطبوعا وهو فى فراش الموت

ولكن رأى كوبرنيكوس الذى يعده أطفال اليوم بديهية لقى من رجال الدين ومن رجال العلم أشد المقاومة وأنزلت اللعنات على كوبرنيكوس بعد موته ثم على كبلر وجاليل وكل من قال بدوران الأرض . أما اضطهاد جاليل ومحاكمته أمام محكمة التفتيش فمشهورة

ثم انتقل النقاش من موضوع الأرض ودورانها الى مسألة « الانتيبود » أو وجود سكان فى الجهة المقابلة من الأرض ما دامت كروية ، وهل يمكن الوصول الى الهند اذا سار الانسان غرباً. فقبل كولمبوس أي منذ أربعة قرون فقط كان الناس يزعمون أن دنياهم تنتهى بالحدود التى يعرفونها ولم تكن الأمريكتان ولا أستراليا ولا القطبان ولا جهات أخرى فسيحة قد كشف عنها . وكانت معرفتهم بوصف الأرض لا سيما حجمها محدودة غريبة وكانت سبل المواصلات عاجزة ساذجة . وكانت أوربا قبل كشف الأمريكتين لا تعلم عما وراء المحيط الاطلنطى غير ما صوره لها الخيال والوهم فهناك بحار مخيفة ملأى بالتيارات والدوامات والأمواج . وهناك أراض مظلمة مكتظة بالجن والوحوش . وهناك فى المحيط الاطلنطى على مسافة غير معروفة باب جهنم تنعكس منه نارها الهائلة على الشمس فتكسوها حمرة قبل الغروب

فاذا سار الانسان جنوبا فى بحر الظلمات صادف نطاقا لا يمكن اجتيازه من نار خط الاستواء أما وسط افريقيا أو القارة السوداء ففيه أعجب المخلوقات والوحوش ولا يمكن لانسان أن يصل اليه . بل منذ مائة سنة كانت افريقية على الخارطة بقعة سوداء مجهولة تحفها أجزاء بيضاء ضيقة هى الشواطىء التى وصلت اليها بعض السفن

وفى سنة ١٤٩٢ وصل خرستوف كولمبوس الى شواطىء الامريكتين، ومنذ ذلك الحين بدأ الناس يعلمون بوجود الدنيا الجديدة ويهرعون الى النصف المجهول من كرة الأرض

وفى القرن الخامس عشر أيضا شرع البرتغاليون وغيرهم يكتشفون سواحل افريقيا ويطوفون حولها رغبة منهم فى الوصول إلى الهند والشرق الأقصى بغير طريق السويس . وقد أثبت فاسكودى جاما فى طوافه حول افريقيا يقصد الهند ان افريقيا لا تتصل فى الجنوب بالقارة المجهولة التى أشار اليها بطليموس

ومع كل هذا فان القسم المعروف من اليابسة كان فى سنة ١٨٠٠ لا يزيد على خمس اليابسة

كلها . وفى القرن التاسع عشر كان لفنجستون وستانلى وبيكر وسبيك وغيرهم قد كشفوا المجاهل الافريقية ولم تأت سنة ١٩٠٠ حتى كان المكتشف من اليابسة عشرة أجزاء من أحد عشر جزءاً تقريبا

ثم أخذ الرواد يكتشفون مجاهل برازيل وأواسط آسيا وراد امندسن ثم بيرد القطب الشمالى وطار بيرد إلى القطب الجنوبى وغاص بيب إلى ربع ميل تحت سطح البحر وصعد بيكار لاكتشاف الفضاء . ولم يعد فى قريتنا الكبيرة اليوم ما نجهل أمره ولو أن هناك ألوف الأسرار الكافية فى الطبيعة مما لم نكشف عنه بعد

ويدلنا هذا المجمل الضئيل أننا عرفنا اليوم عن قريتنا أكثر مما كان يعرفه أسلافنا إلا أن قصة أرضنا أو تاريخ حياتها لم يزل غير معروف تماما على الرغم من تقدم العلوم وما زال عمر الأرض وأصلها فى دور التخمين . وما يصل اليه علمنا اليوم أن هذه الأرض لم تكن كما نراها اليوم . ولكن يقول بعض العلماء أن الأرض قد صار لها وجود مستقل كسيارة تدور حول نفسها وحول الشمس منذ مدة تزيد كثيراً على ألفى مليون سنة فى كون أزلى لا عمر له اما قبل هذا الوقت الذى يفوق خيالنا فيرجح العلماء ان الأرض والشمس وبقية السيارات التى تدور حول الشمس كانت دوامة هائلة من مادة مبعثرة فى الفضاء أشبه بتلك السدم التى نراها بالمنظار كأنها سحب مضيئة فى عرض الفضاء. ثم تميزت الأرض وقمرها وكانت تدور حول نفسها وحول شمسها أسرع مما تدور الآن كما كانت اقرب الى الشمس منها الآن . وكانت الشمس أعظم ضوءاً وكان القمر يسرع كشعلة مضيئة

أى ان هذه الكرة التى نسكنها كانت يوما قطعة من الشمس وكانت فى أول أمرها كرة نارية سائلة أشبه بتنور مشتعل تغلى فيه مادة صخرية ذائبة وتتصاعد منه أبخرة المعادن والمواد الكبريتية - ونحن اذا حللنا اليوم الطيف الشمسى لضوء الشمس لرأينا ان جميع العناصر الموجودة فى الشمس موجودة كلها بالأرض

وتعاقبت مليون سنة بعد مليون سنة أخرى حين أخذت هذه الكتلة النارية الدائرة تبرد ببطء وأخذت الغازات تتحول الى سوائل والأبخرة تتكاثف وتصير بحارا ومحيطات ذات ماء عذب ، وكانت قطع الصخور تتجمد وتظهر على وجه البحار ثم تغوص . وأخذ سطح الأرض يبرد ولكن باطنها ما برح حتى اليوم شديد الحرارة ولا يعرف كنهه ، وربما وصلت حرارة الباطن إلى ١٥٠٠ درجة على عمق ٢٨ ميلا

ثم أخذت القشرة الارضية تتكمش كما يحدث لقشرة التفاحة حين تجف فظهرت بها نتوءات نسميها جبالا وهضابا . ومنخفضات نسميها محيطات وبحارا . الا أن هذه الجبال والمحيطات هى بالنسبة

الى حجم الارض بمثابة خدوش لا تذكر . ولا تبلغ أعلى قمم أرضنا مثل مثل افرست خمسة أميال ونصف ميل بينما تعلو بعض جبال القمر أكثر من ذلك بكثير

وهذه القشرة هى التى تمثل عليها درامة الحياة وعليها نشيد مدننا ونزرع حقولنا وفيها نحفر مناجمنا ، وعليها نتنازع على البقاء ونتقاتل لنستولى على أوسع ما نستطيعه منها وهذه الحياة لا تتغلغل الى أكثر من ثلاثة أميال من الاربعة آلاف ميل التى تفصلنا عن مركز الكرة ، ولا تعلوا كثر من خمسة اميال فوق سطحها حيث لا يستطيع طير او حشرة ان تعيش ولا تعلو الطائرات اليوم اكثر من اربعة اميال ولم تصل بعض البالونات الا الى سبعة أميال . . وهذه القشرة لا تتجاوز فى سمكها ٢٨ ميلا ومثلها مثل قشرة البيضة للبيضة نفسها . . وتتركب القشرة من نحو ٧٨ مادة من العناصر الكيماوية من معادن وغازات وهى مركبة من صخور مختلفة الأنواع والأعمار تتراكم طبقاتها بعضها فوق بعض

وكانت الحياة الاولى قد ظهرت منذ ملايين السنين فى السواحل الضحلة وكان دبيبها فى الجماد ولم يزل سراً غامضاً . ويقص علماء التطور كيف ظهرت الخلية الحية الاولى على شكل الاموبه او نحوها وكيف ارتقى الانسان، وتطور الى ان وصل الى حالته الراهنة وما زال التطور يعمل ليصل بالانسان الى درجة عليا من سلم الارتقاء

وخلاصة ما نعلمه اليوم عن قريتنا الكبرى انها كروية الشكل مفرطحه عند القطبين كالبرتقالة قطرها يقرب من ثمانية آلاف ميل اى قطر الشمس اكبر من قطر ارضنا ١١٠ مرة . ومحيط الارض ٢٤ الف ميل وهى تدور بنا فى فضاء مظلم صامت حول نفسها من الغرب الى الشرق مرة كل يوم اى اننا نتحرك معها بمعدل الف ميل فى الساعة او ١٦ ميلا فى الدقيقة . وهى تدور بنا حول الشمس فى مدار بيضاوى متغير يبلغ محيطه نحو ٥٨٠ مليون ميل فنحن نسافر معها حول الشمس ونتمم معها دورة كل سنة ومعدل سرعتنا معها نحو الف ميل فى الدقيقة وتتبدل علينا بسبب هذه الدورة اربعة فصول مختلفة

هذه الكرة التى نسكنها ان هى الا سيارة صغيرة تائهة فى محيط لا نهائى نثرت فيه ربوات النجوم والشموس الاقمار والسيارات والمذنبات والسدم كما تنثر ذرات الرمال على شواطىء المحيطات . وحجم شمسنا اكبر من حجم الارض بمليون و ٣٣١ الف مرة اى لو قسمت الشمس الي كرات كل كرة منها بحجم ارضنا لتكون منها مليون و ٣٣١ الف كرة ارضية . وجرم الشمس اي مادتها اكبر من مجموع اجرام كل السيارات والاقمار التى تدور حولها بنحو سبعمائة مرة . ونحن نبعد عن هذه الشمس بنحو ٩٣ مليون ميل فاذا فرضنا ان طائرة تسير بسرعة مائة ميل فى الساعة خرجت من الارض فى

رحلة الى الشمس وظلت تطير بلا توقف فانها لا تصل الى الشمس فى اقل من مائة سنة وست سنوات ولا تصل الى السيار نبتون بهذه السرعة الا بعد ٣١٨٦ سنة وتصل الى نجم الفا أقرب النجوم الثوابت الينا فى ٢٥ مليون سنة . وهذه الشمس العظيمة التى يبهرنا نورها وعظمها والتى هى مصدر حياتنا ومحور نظامنا السيارى ما هى الا نقطة صغيرة على شواطىء هذا العالم الفسيح . فقد تمكن الفلكيون حتى اليوم على قول احدهم من رؤية مليارين من الشموس وكلها اكبر حجما من شمسنا وكل منها مركز لعالم آخر مكون من عدد لا يحصى من الكواكب والنجوم والأجرام الصغيرة والكبيرة وقد استطاع العلماء من حصر عدد عظيم من العوالم يبلغ المليون تقريبا فى كل واحد منها شموس وكواكب ونجوم . وشمسنا تسير بنا ومعها الكواكب والارض بسرعة عشرين كيلو مترا فى الثانية نحو نقطة معينة فى الفضاء اللانهائى

ولقريبتنا هذه ضاحية يحاول العلماء اليوم الوصول اليها بالصاروخ أو نحوه ، وهذه الضاحية هى القمر الذي يدور حولنا ١٢ مرة فى السنة ويبدو لنا فى أوجه مختلفة كل شهر وهو لا يبعد عنا اكثر من ٢٣٩ الف ميل ويؤدى لنا خدمات هامة فهو يعكس نور الشمس كالمرآة لينير لنا السبيل فى الليل وهو يساعد فى حدوث المد والجزر وهو يلهم الشعراء بجماله . ونحن لنا قمر واحد أما المريخ فله قمران وللمشترى أربعة ولزحل أكثر من ثمانية أقمار

يقول ولز « اذا مثلنا أرضنا بكرة صغيرة قطرها بوصة فان الشمس على هذه النسبة تكون كرة قطرها تسعه اقدام وتبعد عنا ٣٢٣ ياردة أى خمس ميل نقطعه مشيا فى خمس دقائق ويكون القمر على هذا القياس حمصة تبعد عنا قدمين ونصف ثم نجد بين الارض والشمس سيارتين هما عطارد والزهرة على مسافة ١٢٥ و ٢٥٠ ياردة من الشمس وحول هذه الاجسام يكون فراغ حتى تصل الى المريخ على مسافة ١٧٥ قدما من الارض ثم نلقى المشترى وقطره قدم ويبعد عنها نحو ميل ثم زحل على بعد ميلين ثم اورانوس على بعد أربعة أميال ثم نبتون على مسافة ستة أميال ويلى ذلك فراغ لا يخلو من سيارات حتى نصادف أقرب النجوم الى الارض فيكون على هذا القياس الفرضى على بعد اربعين الف ميل منا »

فى عام ١٥١٩ أى منذ أربعة قرون فقط خرج ماجلان من اسبانيا ومعه خمس مراكب شراعية ليطوف حول الارض لأول مرة فى تاريخ البشر ، فعبر المحيط الاطلنطى ودار حول امريكا الجنوبية ودخل المحيط الهادى ومات فى الطريق نخلفة من اكمل الرحلة فى ثلاث سنوات ولم يبق من السفن الخمسة غير مركب واحد ومن الرجال غير ثمانية عشر رجلا من مائتين وسبعة وثلاثين . واثبتت هذه الرحلة أن الأرض كروية وأنها اكبر مما كان يظن الناس يومئذ

وفى عام ١٨٨٩ طافت فتاة امريكية تدعى تللى بلاي حول العالم فى ٧٢ يوما بالسكك الحديدية والسفن البخارية وفى السنة التالية قام بمثل هذه الرحلة من اتم طوافه فى ٦٨ يوما

وفى عام ١٩٠٧ طاف رحالة انجليزى حول الأرض فى اربعين يوما وبعد اربع سنين قام رحالة فرنسى بهذا الطواف فى ٣٩ يوما

وجاء دور الطيران وأصبحت الأرض بعده اصغر مما كانت وفى ١٩٢٩ طاف البالون زبلن حول العالم وأنجز رحلته فى ٢١ يوما فقط

وفى ١٩٣١ قام الطياران بوست وجاتى برحلة حول الارض فى طيارة خاصة فأتماها فى ثمانية أيام وخمس عشرة ساعة . وبعد سنتين سافر ويلى بوست وحده وانجز الرحلة حول العالم فى سبعة ايام وثمانى عشرة ساعة

ويستطيع اليوم اى انسان ان يتم رحلته حول كرتنا الأرضية فى ثلاثة اسابيع إذا سافر مع غيره من المسافرين فى البواخر والطائرات

وفى نوفمبر ١٩٣٦ قطعت الطائرة المائية كانوبوس المسافة من ايطاليا الى الاسكندرية فى سبع ساعات ونزلت فى اثناء رحلتها مرتين ، وفى كل يوم تقطع احدي طائرات شركة هولندية المسافة بين امستردام والقاهرة فى يوم واحد

وسيتقدم العلم وسنسير الى الأمام وما زالت قريتنا الكبري تصغر ، ونحن اليوم نسمع فى القاهرة محاضرة من امريكا أو من الصين فى اللحظة التى تلقى بها وبعد قليل سنري بواسطة التليفيزيون بالقاهرة صورة ذلك المحاضر فى امريكا وهو يتحدث

مثل هذه المعلومات المجلة التى يجدها اليوم أبناؤنا مفصلة فى مختلف الكتب الحديثة تعيننا على فهم مركز قريتنا بين العوالم الاخرى ، وتبعد انظارنا المحصورة بين البيئات الضيقة إلى آفاق اوسع فعلى الارض ملايين من البشر لا يرفعون ابصارهم عن تراب الارض ولا يعرفون منها غير بلد واحد صغير يولدون فيه ويعيشون ويموتون ، وعلى الارض ملايين الناس لا يعترفون بوطن غير وطنهم ولا بلغة غير لغتهم ولا بدين غير دينهم لأن عقلياتهم الضيقة المحدودة لا تعينهم على التطلع إلى ماوراء بيئتهم الصغيرة ، وتلك النظرة العاجلة الشامله تعلمنا ان هذه القرية كلها وطن واحد صغير لشعب واحد هو اهل الأرض يجب ان تتعاون امه وتتحد وتشترك معا فى هذا الميراث الشامل لكى تساعدها الوحدة العالمية وما وراءها من اخاء وتعاون وسلام وصفاء وفراغ على اكتشاف الكثير الباقى من مخبآت الوجود واسرار الحياة ولكى نتمكن يوما من الاتصال بالقبائل الاخري الساكنة مثلنا فى الكواكب وسيارات تدور حول شموسها

شخصية المرأة

يمكن أن نصف التقاليد الشرقيــة بانها مؤامرة على استعباد المرأة وحبسها فى البيوت ومحو شخصيتها . فقد قال المستر كو الصينى ان المرأة فى الصين لم تكن تسمى باسمها بل كان يقال عند الاشارة اليها « الشخص الذي فى البيت » بل هى عند ماتموت لايذكر اسمها فى النعى . والاسم هو أول خواص الشخصية . فالغاؤنا اسمها هو الغاء لشخصيتها أو هو دليل الكراهة للاعتراف بها

ويمكن أن نقول ان المرأة عند المتوحشين تمتاز على المرأة عند الامم الشرقية المتمدنة . فان تلك تستوى بالرجل فى احيان كثيرة وتعمل معه فى مكافحة الطبيعة والاعداء . أما هذه فمصونة فى حرم خاص بالبيت . وهذا الحرم يحبسها عن الدنيا ويحصر تفكيرها فى شئون المطبخ وتنظيف الغرف اذا كانت فقيرة ليس لها من يخدمها . أما اذا كانت متوسطة أو غنية فانها تقضى فراغها فى ادمان التفكير فى الشئون الجنسية

وقصر المرأة على البيت يمحو شخصيتها . فان الذى يكون الشخصية فى الرجل هو العمل اليومى الذى يتصل بالدنيا من تجارة أو صناعة أو معاملة وذلك أن الاحتكاك المتصل بالناس والاختبارات المتوالية من هزائم أو انتصارات والتوسع الذهنى الذى تثمره هذه الاختبارات - كل هذه تنتهى الى تكوين شخصية فى الرجل الذى يعرف أن عليه واجبات وان له حقوقا فتتكون له آراء فى شئون هذه الدنيا بحيث اننا عند مانناقشه نشعر بعد دقائق أن له كيانا فكريا منسجما نستطيع ان نحبه أو نكرهه من أجله . ولكنا لانستطيع أن ننكر ان له كيانا غير مهجرج ولا مزعزع

ولكن المرأة ليس لها هذا الكيان أى ليس لها شخصية . فانها كانت ولاتزال - الى حد ما - تحبس فى البيوت فى الصين والهند والاقطار العربيــة . وكانت تحرم من الحقوق الاقتصادية فى الميراث والعمل الحر والشئون العامة أو تنقص هذه الحقوق ثم يقصر نشاطها على المنزل . وقضت التقاليد بان تؤكد أنوثتها فوق انسانيتها . حتى كان الصينيون يضعون قدميها فى حذاء من خشب أو حديد حتى تقفا عن النمو . وذلك تأكيداً لانوثتها وانها لاتبرح السرير . وآدابنا العربيــة القديمة تصفها بانها مكسال ناعسة العين نؤوم الضحى . اى ان المرأة الحسنة فى الآداب العربية ليست هى المرأة النشيطة المقدامة المفكرة العاملة بل هي الكسول الناعسة التى تتأخر فى النوم الى الضحى

ولكن الثقافة الحديثة قد أعطت المرأة حق تقرير مصيرها بل هى تطالبها بان لايقتصر نشاطها على المنزل كما تطالبها باحتقار البراعة فى الشئون الجنسية وبان تخرج كالرجل الى هــذه الدنيا تتعلم وتعمل وتكون شخصيتها

س . م

كو يصف الصين الجديدة

ألقى الدكتور كو فى الشهر الماضى محاضرة فى جمعية الشبان المسيحية عن تطور الصين وخروجها من القرون المظلمة الى القرن العشرين . والذين سمعوا محاضرته قد رأوا صورة مصر فى الصين فى كثير من الوجوه . وان كان تقدم الصين نحو الآراء العصرية يتجاوز تقدمنا سواء فى الكم أم الكيف . ففى الصين الآن مثلا قد ارتقت المرأة ودخلت فى ميدان العمل الحر . وهى تتعلم كما يتعلم الشبان على قدم المساواة . ولا تخلو مصلحة صينية من موظفات يعملن كالموظفين كما أن فى المحاكم قاضيات . ولما عقد العرض العام للالعاب الرياضية فى نانكين أخيرا كان عدد اللاعبين نحو ٣٠٠٠ منهم ٨٠٠ امرأة

ومن هذا يتضح للقراء أن الصين التى كانت تحبس أقدام نسائها فى أحذية من الحديد حتى يعجزن عن المشى باعتقاد أن هذا العجز هو برهان الترف والانوثة هذه الصين قد أصبحت تطالب فتياتها بالمباريات الرياضية وتعلمهن الى جنب الشبان وتوظفهن فى الحكومة

وتوجع النهضة الصينية الى عهد قريب . ففى سنة ١٩١١ الغيت الامبراطورية وأعلنت الجمهورية ولكن هذا الانقلاب لم يعن أن الصين قد انقلبت . فقد وجد دعاة الاصلاح

المارشال شيانج كاى شيك رئيس الوزارة ووزير الحربية

الجديد أن الامبراطورية قد خلفت لهم تراثا مزدوجا هو من ناحية هذا العدد الغفير من الموظفين الذين نشأوا فى ظل نظام بال عتيق . ومن ناحية أخرى هذه العقلية القديمة التى كانت تعم الموظفين والجمهور وهى تراث ١٨٠٠ سنة من الحضارة الصينية الراكدة . ولذلك لم يكن من الممكن احداث التغيير أو التجديد المنشود الا بعد ايجاد جيل جديد ينشأ فى ظل الجمهورية وايجاد عقلية جديدة تتفق والعصر الجديد . وقد احتاجت الصين بعد الغاء الامبراطورية الي ٢٥ سنة لتحقيق هذين الغرضين

وقد وصف الدكتور كو الصين القديمة كما عرفها فى طفولته وصباه فقص على السامعين كيف انه تربى فى كتّاب من الطراز القديم فكان أول درس قدم اليه عبارة حكمية قديمة تقول « الناس بطبيعتهم أبرار ولكنهم يفسدون بالمعاملة » وانه فى هذا الكتّاب لم يعرف معنى للوطنية الصينية ولم يكن يدرى أن لها راية . لان ولاءه عندئذ لم يكن للوطن بل للاسرة . والاسرة الصينية هى وقتئذ تضم الجدود والاعمام بحيث يتراوح عددها بين ٣٠ و ١٠٠ شخص أو أكثر . ولم يكن الصينى يملك عقارا وانما هى الاسرة التى تملك وهى التى تؤوى العاطلين من أبنائها ومن أعضائها

ولكنه بعد ذلك دخل الكلية التى أنشئت على الطراز الحديث . فعرف هناك الوطنية الصينية الجديدة وشعر بالنهضة الحديثة ، وفى الصين الآن من المدارس الجديدة مايكفى لتعليم ١٥ مليون صبي ولكن صبيانها يبلغون ٤٥ مليونا ، وبعضهم لايتعلم بتاتا أو يتعلم فى الكتاتيب القديمة التى يعنى فيها بالاستظهار

وكانت المرأة فى الصين مقهورة لايذكر اسمها ، فكان الصينى اذا أراد أن يشير اليها يقول « الشخص الذى فى البيت » لان ذكر الاسم عيب وكان الدكتور كو قد خطبت له أمه وهو فى الثانية عشرة فتاة وأقر الخطبة رئيس الاسرة ، ولم تكن ارادته – ولانقول حبه – محسوبة فى هذه الخطبة ، فلما قصد الى الكلية عرف طالبة أحبها واتفق معها على الزواج ، فلما عاد الى أمه فى الاجازة أخبرها بانه ينوى ترك الفتاة الاولى التى خطبتها هى له لانه يريد الزواج من الفتاة التى عرفها فى الكلية ، فصعقت الام لهذا الخبر وأوضحت له استحالة ذلك ، ولكنه هو قصد الى أم الفتاة وطلب اليها أن تعلن أنها غير راضية عن زواج ابنتها به حتى تحفظ كرامتها . وقبلت أم الفتاة هذا الاقتراح وعملت به

وذكر الفرق بين التعليم الصينى القديم وبين التعليم على الطراز الحديث . فقال ان الاول كان قائما على كتاتيب تؤسسها الاسر . ولم يكن للحكومة مدارس وانما كان اشتراكها فى التعليم

مقصورا على الامتحانات فقط . وكان يقصد من لفظة « عالم » و « مثقف » أن يكون الرجل دارسا للدين والاخلاق والآداب القديمة . أما الآن فى المدارس الجديدة فانه يقصد من التعليم الغاية النفعية وليست الغاية الاخلاقية . والتعليم الجديد يقوم على المدرسة الابتدائية وهى ٦ سنوات ثم الثانوية وهى ٦ سنوات أيضا ثم العالية « أى الكلية » وهى ٤ سنوات ولم يعد الصبى يطلب منه أن يستظهر الحكمة القديمة بل هو كصبيان الاقطار المتمدنة يقرأ العبارات الصغيرة عن الكلب والقط والفأر ويبقى يتدرج فى تعلمه سنة بعد أخرى . ولم تكن الفتاة الصينية تتعلم فى النظام القديم الا قليلا جدا حين كان أبواها يبعثان بها مع أخيها كأنها ملحق له . أما الآن فهي تتعلم كالصبى سواء وتتعلم معه جنبا لجنب فى جميع درجات التعليم

وقد مضى على الجمهورية ٢٥ سنة استطاعت الصين أن تجدد فيها عقليتها وهيئة موظفيها ولذلك فان الدكتور كو يرى أن الدستور الذى سيعلن ويعمل به فى السنه القادمة سيكون أداة حسنة لتسيير شئون الدولة وتنفيذ الخطط الاصلاحية . أما قبل ذلك فلم يكن من الممكن اعلان هذا الدستور وتنفيذ أصوله لان الموظفين كانوا من الجهة الواحدة هيئة قديمة اعتادت طرق الامبراطورية ولان العقلية السائدة على الجمهور كانت أيضا قديمه لاتتفق وتنفيذ خطط الاصلاح

بناء الكون

للاستاذ رمسيس شحاته

ما أبعد الصورة الحاضرة للكون عن الصورة العتيقة التي كان يقدمها لنا العلم القديم لهذا الكون نفسه ... !؟

لعل تأصل الفرق بين الصورتين يعيننا على فهم الكون وتقدير حقيقته وحقيقة العلم أيضا بالنسبة لنا .

مقدمة منطقية :

لو أكدت لك ياسيدى القارىء أن وجود شىء ما يستلزم وجود شىء آخر بحيث لايمكن بحال من الاحوال الاستغناء عنه أبدا الا يدعوك ذلك الى التسليم بأن الثانى عنصر من مكونات الاول ؟

ان وجود الكتاب مثلا يستلزم وجود الورق والحبر بحيث اذا نقص أحدهما ما أمكن وجود الكتاب . ولذلك فنحن نقول أن الورق والحبر يدخلان فى تركيب الكتاب وأنهما عنصرين من العناصر التى تكونه . وواضح أن ذلك هو عين الحقيقة فنحن نتبينه بجلاء بمجرد النظر إلي الكتاب

ولكن وجود الكتاب يستلزم فوق الورق والحبر شيئا آخر هو عمل الكاتب الذى تولي كتابته والمجهود الذى صرفه هذا الكاتب فى اداء عمله لاتمام تأليف الكتاب فهل يجوز لنا أن نعتبر هذا المجهود أيضا جزءا مكونا للكتاب وعنصرا اساسيا فيه على شاكلة الورق والحبر الذى تتكون منه صفحاته ؟ ان تأملا بسيطا يجعلنا أن نجيب بالايجاب . ولماذا لا ؟ الواقع أنه لو لم يصرف المجهود المشار اليه لما أمكن أن يوجد الكتاب بأى حال من الاحوال . حقيقة ان المجهود الذى صرف ليس شيئا محسوسا ملموسا على شاكلة الورق الذي يكون الكتاب . ولكنه مع ذلك شىء موجود فعلا لانه علي قدر هذا المجهود تعلو قيمة الكتاب الفنية من حيث الطبع والاتقان

والعلمية من حيث المادة والحقيقة التى تتضمنها صحائفه

وعلى ذلك النحو نريد أن نرى العناصر الاولية فى بناء الكون بحيث نستطيع بهذه العناصر أن نكون لانفسنا صورة ذهنية للكون على أبسط ما يكون . ويجب أن نلاحظ مع ذلك أننا فى الواقع عاجزون عن فهم الكون بجملته واننا يجب أن نلجأ فى ذلك الى أكبر تحليل ممكن . اننا نعرف أن الكون على أبسط صورة له عبارة عن مادة وطاقة . ولكنه مع ذلك شديد التعقيد فى هذه الحالة . فان دراسته باعتباره مادة وطاقة تتضمن كل الفلك وكل الفيزياء ولذلك نريد أن ندفع التحليل الى أبعد مما تقدم قليلا ولنتدبر لذلك سبيلا فيما يلى . ولكن لعله من المستحسن أن نستخلص مما تقدم النتيجة الهامة الآتية وأن نضعها من الآن نصب أعيننا وتتضمن هذه النتيجة أن الضرورة المكلفة لوجود شيء ما حتى يمكن أن يوجد شيء آخر تجعل من الاول عنصرا مكونا فى الثانى . ويحسن بالقاريء أن يتأمل هذه النتيجة والتدليل الذى سقناه عليها فى بدء الكلام قبل أن ينتقل الى ما يلى حتى يتجنب بذلك صعوبات واعتراضات لاطائل تحتها

والآن بعد ان أخذت قطعة من الحجر ووضعتها أمامك وتحت بصرك فما هي أول فكرة تطرأ على ذهنك بعد مشاهدة الحجر مما يتعلق به وبخواصه ؟ لاشك فى أن أول فكرة تتبادر الى ذهنك عن الحجر نفسه هى أنه يشغل حيزا فى الفضاء وأنه لابد لوجوده من ذلك فاننا لو استطعنا أن نضغط الحجر بحيث يصبح ولاحجم له أى بحيث لايشغل أى جزء من الفضاء مهما صغر هذا الجزء أمكننا عندئذ أن نسلم بأنه قد انعدم ولم يصبح له وجود

ونستنتج من ذلك بسهولة أن المكان ذلك المعنى الهندسى الغامض أساس أولى من أسس الوجود المادي بمعنى أنه لو لم يكن هناك فضاء ليسع ما فى الكون من الاجسام لما أمكن وجود هذه الاجسام . ونحن اذ نسلم بالنتيجة المقدمة نستطيع أن نقول ان الطبيعة قد جعلت الفضاء بحيث يحوى الاجسام وأمكننا أن نقيد شرط وجود الفضاء بوجود المادة التى يحويها . وهذه هي الفكرة التى جعلت أينشتين ينادى بأن الكون منتهي وأن اتساعه مقيد بمقدار مافيه من المادة. انى أسلم أن الوصول الى النتيجه الثانية عن طريق النتيجة الاولى قد يصعب قليلا على القارىء وفى وسعه عندئذ أن يهملها . فلم يأت ذكرها الا عرضا . والمهم هو أن نلاحظ أن وجود الجسم المادى يستلزم أن يشغل حيزا من الفضاء وعلى ذلك يصبح الفضاء علي النحو الذى قدمناه عنصرا أساسيا فى تكوينه

إن هذا أمر طبيعى جداً ومسألة مسلم بها ولـكننا قد نجد بعض الفضاضة فى قبولها خصوصا عندما نري أن ذلك يقودنا إلى قبول حقائق أخرى مماثلة لها مما لا يتفق وعاداتنا الذهنية الحاضرة وأساليب تفـكيرنا العادية

الزمن كالمـكان عنصر فى بناء الـكون

ونقصد بهذه الحقائق ما يتعلق بالزمن فاننا لو تأملنا قليلا لوجـدنا أنه فى الواقع عنصر أساسى فى وجود الموجودات كلها وبالتالي الـكون

هب انى أعطيتك مكعبا من الرصاص مثلا طول كل ضلع من أضلاعه سنتيمترا واحـدا فهل تستطيع أن تؤكد وجوده ما لم تحسه أو تراه أو تزنه ؟ ثم أليس القيام بهذه العملية يستلزم وقتا . هل تستطيع أن تؤكد لي وجود ذلك المـكعب ولو لم يستمر ذلك الوجود على مر الزمن ؟

إن تفريقنا بين الزمن والفضاء تفريق وهمى لا يستند الى حقيقة وهو تفريق اصطناعى محض

إن الاجسام الموجودة فى الـكون كذلك طاقتها ليس لها وجود إلا لانها تستمر ولو أننا جعلنا استمرارها محالا بأن رفعنا الزمن كلية من بين العناصر المـكونة لها لاستحـال علينا إثبات وجودها مع أن ذلك لا يمنعنا من أن نسلم أنها قد تشغل فى الفضاء حيزا ثلاثي المقـاييس من طول وعرض وارتفاع

إن الأجسام لا تظهر لحظة وتختفى وذلك لسبب واحد وهو أن الزمن عنصر من العناصر التى تدخل فى تركيبها ولو لم يكن فى الـكون زمن ليستمر فى أثنائه هذا الـكون لما أمـكن وجوده

إن ما تقـدم هو فى الواقع الناحية الفيزيائية البحتة للمقياس الرابع وهى الفـكرة الفيزيائية الاخيرة التى تتضمنها ابحاث منكووسكى فى ذلك الباب وهى فـكرة سديدة ليس هنـاك ما يمنعنا من قبولها وتأكيدها . ان الزمن كالمـكان عنصر أساسى فى وجود الـكون

فلسفة الحادثة

ولـكن يجدر بنا أن نلاحظ أن هذا الوجود الفيزيائى يختلف اختلافا جوهريا عن الوجود المطلق الذي كنا نعرفه قبل ادخال فـكرة المقياس الرابع فى الفيزياء الحديثة . ان هذا الوجود

ليس وجودا مطلقا انما وجود نسبي اذ هو فى الواقع عبارة عن حادثة فى الفضاء يكون الزمن جزءا منها وجزءا أساسياً ليس من سبيل الى اهماله فاستمرار الكون كما قدمنا شرط أساسى لوجوده

وفوق ذلك فان اعتبار الوجود من الناحية الفيزيائية كحادثة على النحو المتقدم يجعلنا نتعمق الي قلب مشكلة لم نجرؤ من قبل على ولوجها وهي مشكلة طبيعة الزمن باعتبار الزمن مقياسا رابعا فى المقاييس الكونية ثم ادخال احداثى له ضمن احداثيات جاليلي للفضاء يجعلنا أن نسلم أن الزمن مقياس كهذه المقاييس أمر نسبي محض . وتجريد الزمن من كل الصفات الخفية التى له أمر له معناه وقيمته قد غير وجه الفيزياء الحديثة تغييراً عظيما

ان ربط وجود الكون بشرط استمرار ذلك الوجود يتضمن فكرة أعمق من فكرة اعتبار الزمن مقياسا رابعا فقط أى من فكرة تجريده من كل المعانى الغامضة التى كانت له من قبل وهذه الفكرة الجديدة هى فى الواقع لباب النسبية ومحور فلسفتها

ان استمرار الكون شرط بوجوده لان الوجود حسب نظرية النسبية ليس شيئا مطلقا انما أمر نسبي محض . ان وجود الشيء معلق باستمرار حدوثه لان الحادثة هي فى الواقع كل ما يمكن أن يشاهد وقوعه راصد ما . ولما كان لا يكفي للتسليم بوجود كائن ما أن نستنتج وجوده حسب قانون أولى من قوانين الطبيعة انما يجب لذلك أن يكون من المستطاع لراصد ما أن يرى ويثبت وجوده ، ولما كنا لا نستطيع أن نشاهد أو ان نسلم بوجود أي شيء سوى الحادثة وجب أن يكون لباب الوجود حوادث

ان التعمق فيما تقدم أكثر من ذلك أمر مستحب ولكنه على قدر عظيم من الخطورة والصعوبة والتعقيد ولذلك نرى ان الافضل الوقوف عند هذا الحد . وفى استطاعة القارىء أن يتبين الحقائق التى ذكرناها آنفاً فى أن يتحقق من معناها ومبناها وصحتها لو تأمل بقليل من الامعان ما قدمنا من الافكار القليلة

الطاقة وقيمتها فى الكون

لو أمعنا النظر قليلا لوجدنا أنه لا يكفى لوجود كائن ما كجسم مادى مثلا أن يشغل ذلك الكائن حيزاً من الفضاء ثلاثى المقاييس وأن يستمر حدوثه فى الزمن مكونا بذلك مقياسا رابعا أو بعبارة أدق لا يكفى لوجود كائن ما أن يشغل هذا الكائن حيزاً رباعى المقاييس من الفضاء

والزمن بل نلاحظ انه يجب لذلك أن يتوافر شيء آخر . ان الفضاء والزمن بمفردهما لا يكونان حوادث لأنهما يظهران كالمنفصلين من بعضهما لو لم يربطهما شيء آخر أو قل ان الفضاء والزمن لا يأخذان معنى مجسما الا عند تكوينهما الحوادث وهذا التكوين يستلزم فوق اندماجهما شيئا آخر لو أمعنا النظر فى طبيعته لوجدنا دون عناء أنه هو الطاقة

ان ما فى الكون من محسوس ومشاهد من الكائنات ليس الا مظهر الحقيقة واحدة هى حقيقة الطاقة أو على حد تعبير دي بروجلي: الامواج المادية . ان المادة والاشعاع ليسا عند التحليل الاخير الا صورتين لشيء واحد هو ما نريد ان نعبر عنه بكلمة طاقة

والآن لنتأمل قليلا كيف انه لا بد من وجود الطاقة حتى يمكن ان تنشأ الحوادث وبالتالى حتى يمكن ان نسلم بوجود كائنات ما فى الكون

تخيل الآن أمامك فضاء ثلاثي المقاييس على هيئة مكعب طول ضلعه سنتيمتر واحد واذا صعب عليك ذلك ففى استطاعتك أن تساعد خيالك على تصوره بأن ترسمه بأصبعك او مستعينا بقلمك فى الفضاء وسوف تجد انه من السهل ان تصل بهذه المقاييس الثلاثة فى عقلك او فكرك او تصورك الى المقياس الزمنى الرابع فانت فى حل من أن تفرض ان الفضاء الذى عينته مستمر ولكنك مهما اجهدت نفسك فى التفكير والتأمل والبحث سوف لا تجد فى هذا التركيب العقلى صورة مكعب من الخشب او الحديد أو العاج كالزهر الذى نستعمله فى لعب النرد مثلا . ولسوف تجد انه من السهل جدا أن تقنع نفسك أن هذه المقاييس الاربعة لا تكفى وحدها لأن تعطى وجودا . وسوف تشعر أن عملية ربط المقاييس الثلاثة الاولى بالمقياس الرابع التى قمت بها فى ذهنك وتصورك ليست متينة بالدرجة الكافية لأن تهيىء وجودا انما يجب لذلك من وجود عنصر آخر هو الطاقة . وهو الذى يقتضيه الوجود المادى البحت . ولو تأملت قليلا لوجدت أن المكعب الذى تخيلته فى الفضاء وفرضت استمرار حدوثه قد يكون مكعبا من الخشب كما قد يكون من الثلج او الحديد أو العاج وانه ليس من سبيل الى تحديد طبيعته الا بادخال جزء من الطاقة فى تركيبه وعندما تتم عمليه ربط هذا الجزء من الطاقة بالتركيب السابق نجد انه يبدأ عندئذ بالظهور بمظهر آخر يتفق والحقيقة الواقعة لما يتمشى مع طبائع الاشياء . عندئذ يختفى ذلك التفكك الظاهر فى المقاييس المكانيه والزمانية ويغدو الكائن حادثة حقيقية

تشبيه الكون

لقد دعا ما تقدم من الافكار السير جيمس جينز الى تشبيه الكون بلوحة زيتية . ولقد كان في هذا التشبيه موفقا الى أبعد الحدود بل نستطيع أن نقول انه مامن تشبيه آخر يتفق والحقيقة بقدر اتفاق هذا التشبيه معها وانطباقه عليها في كل النواحي ولنتأمل ذلك قليلا

كلنا نعرف أن اللوحة الزيتية تتكون من نسيج وضعت عليه زيوت مختلفة الالوان بطريقة فنيه خاصة بحيث يعطى ذلك الوضع شكلا فنيا متناسقا جميلا . والكون كهذه اللوحة تماما مكون من نسيج لحمته الزمن وسداه المكان وكما انه يستحيل وجود النسيج دون وجود هذين العنصرين كذلك يستحيل وجود الكون دون وجود الفضاء والزمن. ان خيوط الكون كما تصورها منكووسكى تجد تفسيرها الطبيعي في هذا المثل ولا يصعب علينا اذا تأملنا معناها خلاله فهمها بوضوح وجلاء وسهولة . أما الزيوت الملونه فتحتل في اللوحة الزيتية المكان الذى تحتله الطاقة بأشكالها المختلفه في الكون . ان الالوان التى تمثل الشجرة في اللوحة تعادل المادة التى تكون الشجرة في الطبيعة مادمنا نسلم أن المادة والطاقة شيء واحد ومظهران لحقيقة واحدة

بقى هناك شيء آخر أخشى ان يقودنا الكلام عنه الى الدخول في حدود ماوراء الطبيعة او الميتافيزياء ولذلك نكتفى بمجرد الاشارة اليه فقط فيما يلى

ان اللوحة ليست مكونة من نسيج والوان فقط بل انها تعطينا فوق ذلك فكرة أخرى هى ماتضمنته من معنى او جمال وفن ونحن نستطيع أن نجد مثال ذلك ايضا في الكون نفسه . ان للكون معنى . ومهما كان عجزنا عن فهم حقيقة هذا المعنى والاحاطة بكل تفاصيله ودقائقه فان ذلك لايدعونا بحال من الاحوال الى انكار وجوده . لاشك أن هناك معنى للكون كما أن للحياة معنى وكما أن للوحة أيضا معنى

أما مافى اللوحة من جمال وفن فنحن نرى مثاله فى الكون أيضا فالفلك والفيزياء يعلماننا أن الكون جميل وجميل جدا وآية ذلك أننا كدنا نختزله فيما تقدم الى عناصر لاتتعدى اصابع اليد عدا . وفى الكون تناسق وتوافق تام يراه ويحسه كل من أخذ نفسه بدراسته وهو أشبه ما يكون بما نجده فى لوحة فنية متقنة من تناسق وتوافق

الله

ولو كنت شاعرا فيلسوفا ياسيدى القاريء لألهمك الخيال فكرة عبقرية جبارة ولما ترددت لحظة فى القاء هذا السؤال المعقد : اذا كان الكون كاللوحة الزيتية تماما فمن يكون ذلك الفنان الذى ابدعه ؟

ان هذا السؤال قد ظل معضلة المعضلات أجيالا عديدة وربما ظل كذلك الي الابد علي أنك تستطيع أن تجيب عليه مع واحد من كبار الفلاسفة الحاليين واعنى به الاستاذ جيمس جينز هذه الاجابة السهلة البسيطة : الله

واذا سألك ذلك واعترضت على أن ذلك يتضمن دعوى باطلة بانسانية الله فلا أقل من أن تسلم مع فيلسوف آخر من اكبر فلاسفة الوقت الحاضر واعنى به اينشتين ان الله ان لم يكن الفنان الذى ابدع الكون فهو الفن الذى يتجلى فى ذلك الكون فى كل حين والذى هو مصدره

رمسيس شحاته

التليبائية

دعوة الى القراء

كاتب هذه الكلمات من أحرص الناس على التمييز بين الاختبار والتجربة . وهو يؤمن بالتجربة كل الايمان ويتشكك كل التشكك فى الاختبار . والفرق بين الاثنين ان التجربة يمكن أن تكرر وأن يقوم بالبرهنه على صحتها أشخاص مختلفون . أما الاختبار فقد يقع لشخص دون آخر

ويرى كاتب هذه الكلمات أنه باختباره الخاص وباختبار عدة أشخاص يعرفهم وله فيهم ثقة كبيرة ان التليبائية أي الشعور أو المعرفة عن بعد تشبه أن تكون حقيقة . وهو مع تشككه يدعو قراء هذه المجلة أن يتعاونوا معه على تحقيق هذه الظاهرة النفسية . فلعلها ظاهرة جديدة فى تطور البشر ولعلنا على وشك الاهتداء إلى قوة جديدة فى أنفسنا . وهى لجدتها تظهر فى بعض الأشخاص دون بعض لما تعم الجميع

فأنا أسأل كل قارىء :

١ — هل وقع لك أنك شعرت بقلق عن أحد أصدقائك أو أقربائك ورأيت صورته فى مخيلتك ثم علمت بعد ذلك انه فى هذه اللحظة التى قلقت فيها عليه قد حدث له حادث سيىء ؟

٢ — وهل حلمت ذات مرة أنك رأيت هذا الصديق أو هذا القريب وهو يعانى النجاة من كارثة أو التخلص من ورطة أو هل رأيته فى نزع الموت . ثم حين استيقظت فى الصباح جاءك منه أو من آخر الخبر السيىء عنه أو عن آخر شبيه به فى المكانة منك ؟

هذه هى التليبائية أى الشعور عن بعد . وقد مضى على كاتب هذه الكلمات سنوات وهو ينكرها . وهو فى انكاره لها يكاد يخشى أن تكون صحيحة لأنها تنافى المألوف من نزعته العلمية وكراهته للتفكير الصوفى . ولكن اختباراته الشخصية التى كان يعزوها قبل الآن إلى المصادفة المحضة ثم اختبارات أصدقائه الذين يثق بهم قد ملأت نفسه شكوكا يحب أن يجلوها . فما أدرانا ! فلعلنا على وشك الاهتداء إلى خاصة جديدة فى النفس الانسانية

فماذا تقول أيها القارىء ؟ هل حدثت لك حوادث تدل على صحة التليبائية ؟ أرجوك أن تخبرنى عنها

س . م .

الروح والجسم لهذا الاستقلال

للاستاذ توفيق الحكيم

قال عزيز المصرى باشا فى محاضرته الاخيرة كلمة رددها وأصر عليها فى أكثر من موضع هى أن وزارة المعارف ووزارة الحربية هما المنكبان القويان يرفعان هامة الاستقلال . وهى كلمة صادقة . فما الدولة الحية إلا أمة ذات روح يقظ مهذب فى جسم نشط قوى . والروح من شأن وزارة المعارف ، والجسم من شأن وزارة الدفاع وما الوزارات الاخرى إلا شرايين وأعصاب تمد هاتين الوزارتين بمادة الحياة وأسباب النماء ووسائل التنظيم

واليوم وقد وضع مصيرنا فى كفنا وآن لنا أن نضع من أنفسنا أمة عزيزة الجانب كتلك الأمم الرابضة أمامنا تنظر بأعين مستطلعة ماسنفعل بحريتنا وماسنستخرج من كنوزها ، اليوم ينبغى لنا أن لانضيع وقتا . فحريتنا محسوبة علينا . والطريق أمامنا واضح مستقيم . فهذا الروح الخائر الواهن من أثر تلك الاغفاءة الطويلة ، فى حاجة الى هزة فكرية عنيفة قوامها سياسة فى التعليم واسعة النطاق ، قومية الاتجاه ، ترمي الى اشعار المصرى بمصريته ومكانته فى أسرة الانسانية وما قدمه اليها من حضارة فى ماضيه ، ومايبنغى أن يقدمه اليها فى حاضره ومستقبله . وسياسة فى التثقيف العام سريعة الفعل فى مختلف طبقات الشعب . تقصد الى رفع الناس من حضيض حياتهم العادية الى درجة من الحياة الروحية يستطيعون معها تذوق بعض شئون

الاستاذ توفيق الحكيم

الفكر فيحسون أنهم سموا بانفسهم عن أنفسهم ويشعرون أن لهم رأيا ، وأن لهم كيانا ، وأنهم خلايا نابضة يقظة فى كتلة صحيحة

ومن هنا يولد الرأى العام الناضج ، أحد مظاهر روح الامة الحية المتحضرة

فالرأى العام اذن هو من صنع وزارة الروح أعنى وزارة المعارف

ثم هذا الجسم النحيل فى اطاره ، الضعيف من طول الترك والاهمال ، فى حاجة الى سياسة ثابتة حكيمة من وزارة الدفاع تجعل منه قوة قادرة على الذود والدفاع . وأمر القوة المادية هين ميسور وقد سبق لمصر منذ أقل من قرن أن ظهرت بقوتها الجثمانية ظهورا ألقى الذعر فى نفوس الدول ، فاجتمعوا على كسر شوكتها . وكانت مصر وقتذاك كالعقرب لاتملك الا شوكة فلما انكسرت ماتت . ذلك أن مصر لم يكن لها روح أو قوة معنوية جاثمة خلف القوة الجسدية شأن الدول الكبرى . فلم يكن فيها علم ولا فن ولا فكر . وكان الشعب يغط فى الجهل . انها كانت نهضة عسكرية وكفى . والنهضة العسكرية وحدها لاتصنع أمة محترمة ، كما أن قوة العضلات وحدها لاتصنع رجلا محترما

ولقد أشبهت مصر وقتئذ بفلاح ضخم الجسم أعطى هراوة ووقف يقطع الطريق على الناس ، فلما تكاثروا عليه انتزعوا منه الهراوة وطرحوه أرضا ووضعوا فى قدميه الاصفاد فغدا عبدا ذليلا

أين هذا من ذلك الرجل المهذب المثقف « المانيا » وقد وقفت عين الموقف اذ اجتمعت عليها اكثر الدول فى الحرب العظمى وانتزعت هراوتها . لكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يضعوا فى ساقيها الاغلال لأن الرجل المثقف لايستعبد . والامة المتحضرة لاتستعمر . ولم تمض سنوات قليلة حتى استطاعت المانيا بروحها المعنوية وحدها وبقواها الفكرية أن تستعيد مركزها وأن تشحذ سلاحها من جديد

فالجيش وحده بغير الحضارة لايغنى شيئا . وأمامنا مثل الحبشة

والحضارة وحدها بغير الجيش فيها غنى فى اكثر الاحيان ، وأمامنا مثل هولاندا وسويسرا

لذلك أجدني أقدم قوة الروح على قوة الجسم . وأتمنى لو تنصرف الآن كلنا الى العناية بامر قوتنا المعنوية والروحية . تلك القوة التى فقدتها مصر منذ قرون طويلة ولم تعد اليها حتى الساعة . ولقد كادت تذهب من رءوسنا ذكرى تلك الايام التى كانت فيها مصر مشرقة بحياة روحية أضاءت أفق العالم وطبعت كل ماحولها بطابع عقلها وفكرها . لقد نسيت ذلك . والفضل فى هذا النسيان

لكتب التاريخ التى وضعت فى أيدينا صغارا تلقننا التافه من أرقام الشهور والاعوام وعدد الموانع الحربية وأسماء الملوك والامراء ، وتمر مرا سريعا على ذلك الجوهر النفيس الذى من أجله دون التاريخ : العقل الانسانى وكيف تطور وكيف أبدع الحضارات ، وحظ الامم المختلفة من هذا التطور والابداع . وهل التاريخ الحقيقى العظيم ، الجدير بالدراسة إلا تاريخ الفكر وانتاجه وآثاره فى ترقية نوعنا وتحسين شؤوننا وبسط سلطاننا على ما فى الطبيعة ؟ وأن لمصر فى هذا التاريخ صفحات مجيدة هى كل فخرها على الدهر . ولكننا مع الاسف لم نفرغ فى نفوسنا هذا المجد بل أفرغت المدارس فينا أرقاما جوفاء

فلا ينبغى اذن أن نضيع وقتنا ولنأخذ من الآن فى وضع استقلالنا وحريتنا على تلك الاسس الثابتة التى لا تنهار : القوى الروحية والمعنوية . ولنتوجه جميعا فى رجاء وأمل شطر تلك الدار التى من بين جدرانها يبعث روحنا القومى ، ومن قالبها تخرج الامة المثقفة التى لن تستعبد : وزارة الروح العمومية

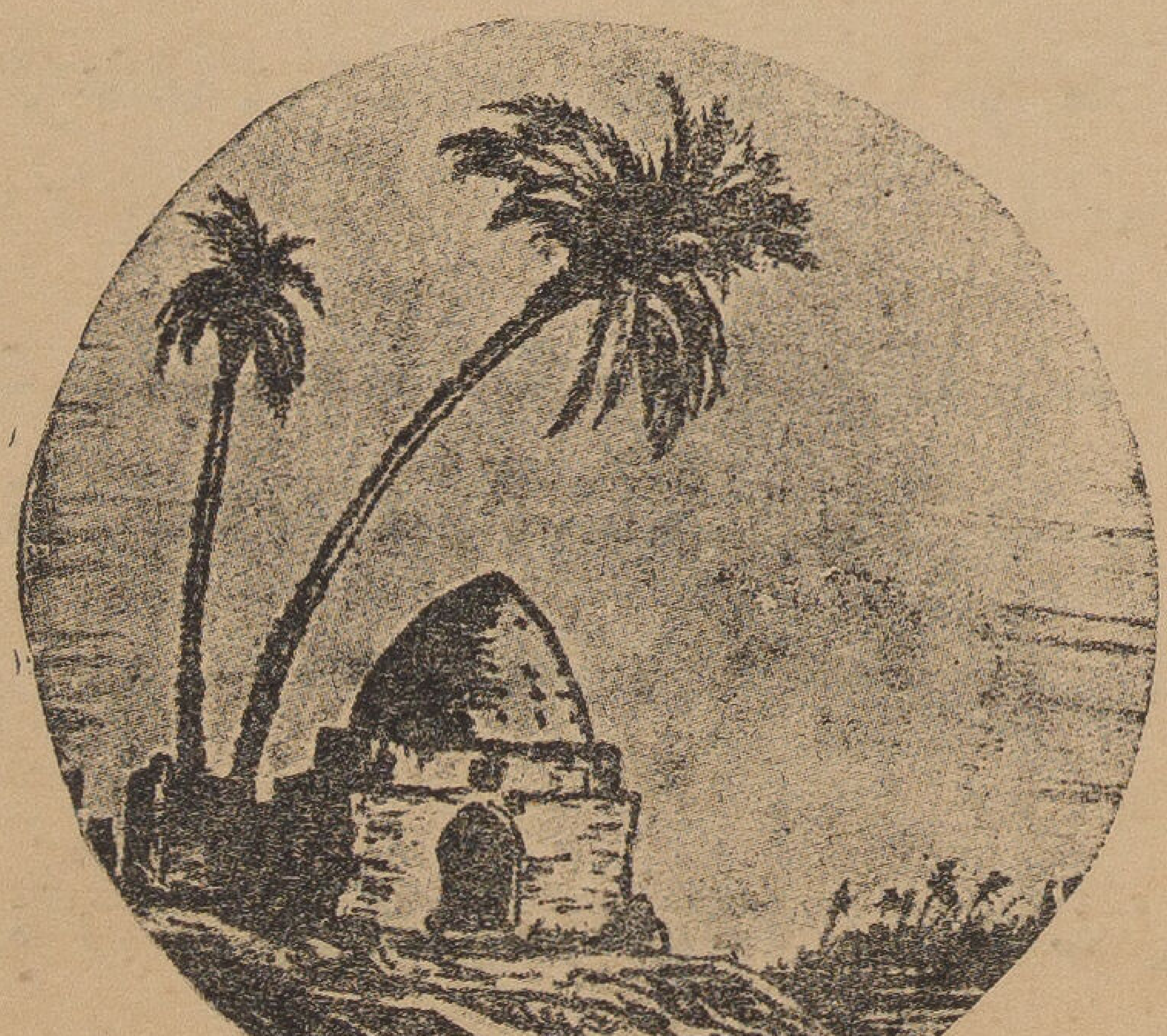

الغرض من التربية

بقلم الأستاذ محمد حسين المخزنجي

أنا أيضا أؤكد بأن الغرض الاسمى من التربية هو إعداد الفرد للحياة المنتجة النافعة فى المجتمع . اعداده لكى يكون مواطنا بأتم معانى الكلمة ، يعرف حقوقه ، ويؤدى واجباته على أكمل وجه وأصلحه

ولكى يتحقق هذا الغرض ينحتم أن يكون للفرد رغبة أكيدة ، وعزيمة صادقة ملحة على الحياة والعمل فى هذه الحياة — فنحن نسمع من وقت لآخر بأن أحد تلاميذ المدارس قد حاول الانتحار وأن احدى الطالبات أرادت أن تتخلص من تلك الحياة . . والاسباب التى تعطى لمثل هذه الاعمال غير مقنعة ولا معقولة

ربما يصعق الآباء والمدرسون اذا علموا ان الانتحار الذي يقدم عليه الطفل أو البالغ ما هو الا المرحلة الاخيرة من مراحل ثورة الطفل أو البالغ وحنقه على الحياة وكرهه لها . هذه الثورة وهذا الحنق وهذه الكراهية يعبر عنها كل من هؤلاء بطرق مختلفة متعددة ، كثيرا ما نسمع عن أطفال وعن بالغين يرفضون الاكل ويرحبون بالجوع — يرفضون الغطاء الثقيل فى الشتاء — يجازفون بحياتهم فى أشكال مختلفة ، والسبب فى ذلك كله انما هو هذا الاحتجاج على الحياة والثورة ضدها

ولا يهمنا هنا أن نبحث عن سبب هذا الاحتجاج أو عن علة هذه الثورة . وكل ما نريده هو أن يكون الشخص ذو رغبة أكيدة فى الحياة ، وعزم صادق على العمل والمعيشة

كذلك ينحتم أن يشعر الفرد بشىء من السلطة ، والاعتداد بالنفس ، والرغبة فى الاستقلال فى العمل والتفكير

نحن الآن نسمع بالثورة على استعمال القسوة والشدة فى تربية الاطفال وتكوينهم . فقد كان القدماء يربون أطفالهم ويعودونهم الاخشيشان فى العيش ، وتحمل الآلام ، والصبر على الجوع والعطش والاذى . . . ولكننا الآن لا نرى ذلك فى تربية الاطفال . مع أننا لا نعتقد أن تدريب

الطفل على تحمل شيء من المشاق وقليل من الصبر وغير ذلك أمر لابد منه فقط . نحن نطلب أن يكون الطفل مدفوعا الى عمل ذلك بارادته دون ضغط أو ارهاق أو ارادة خارجية

ثم يجب أن يكون الفرد فى نفس الوقت على استعداد لمواجهة ما يصادفه من معارضة ونزاع ، خارجي أو داخلى ، فكل طفل عادى سوف يصادفه نزاع داخلى فى حياته المستقبلة وسوف يريد شيئا ليس له ، ويطلب شيئا لا يمتلكه . سوف يخاف مما يطلب منه عمله . فالى أى حد تعد التربية فى الافراد لمواجهة هذه الحالات والي أى حد تعدهم التربية للتخلص من هذا النزاع بالانغماس فيما يلهيهم ويبعدهم عن التفكير فيه

ثم يجب أن تساعد التربية الفرد على تقدير الاشياء والتمييز بينها . يجب أن يكون الفرد قادرا علي معرفة الجميل والردىء ، والنافع والضار . يتعلمهما عن طريق الامثلة الحسية أمامه لا بطريق الوعظ والارشاد . فالطفل الذى يعيش فى منزل يرى فيه الجرائد والمجلات ملقاة علي أرض الغرفة ومبعثرة هنا وهناك عقب قراءتها أو تصفحها — مثل هذا الطفل لا يجد فى مثل هذا المنظر أى جمال أو جلال . فالقاء هذه الجرائد والمجلات وعدم وضعها فى مكانها وغير ذلك من عدم النظام والترتيب يوحى الى الطفل عدم الاكتراث وعدم تقدير الجميل النافع

كذلك الراديو والحاكى والمسرح كل هذه توحى الى الطفل وتؤثر فيه بطرق مختلفة متعددة

يجب أن تعمل التربية على اعداد الفرد للحياة الاجتماعية بجعله يثق (الي حد معقول) بزملائه وبنى جنسه وتعويده التعامل معهم بروح من التسامح والثقة المتبادلة . يجب أن يشعر الفرد بالمسئولية ، وما يجب عليه نحو اخوانه وما تتطلبه الحياة الاجتماعية من سياسة « الاخذ والعطاء » يجب أن يعود الفرد الاعتماد على النفس والاستقلال فى العمل والتعاون والاشتراك فى المسئوليات الاجتماعية بحرية تامة دون ضغط أو ارهاق خارجى . وهذا ما تمتاز به التربيه الحديثة عن القديمة . فالطفل الحديث يعيش فى عالم حر يتحرك ويفكر ويعمل غير هياب ولا وجل . فالخوف الآن ليس هو الدافع للاطفال على العمل كما كان قديما — هذا الخوف هو سبب فشل الافراد فى الحياة وهو أساس كل ضعف فى شخصيتهم — فالخوف يبعدهم عن الحقيقة ويمنع الفرد من أن يكيف نفسه للظروف المحيطة به وأن يعيش ممتعا فى البيئة التى ينتمى اليها . والطفل الذى يربى على الخوف هو طفل ضعيف ناقص الشخصية لم يكون التكوين الصحيح

والتربية يجب أن تعمل على تكوين الشخصية التامة المتزنة

فيجب أن تدرب التربية الفرد على مواجهة الحقائق مهما كانت مرة أو صعبة لاتتقبلها النفس - فنحن الآن ، فى هذا العصر الحديث ، لا نجد أمامنا الا أناسا يحاولون الهرب من الدنيا ومصاعبها ومتاعبها

فالتدخين والرقص والملاهى والسفر الى الخارج للهو والتسلية ، كل هذه أعذار ينتحلها الافراد أمام أنفسهم للتخلص من التفكير والعمل فيما يتعلق بالعالم وما فيه من حقائق — ومن الغريب ان هؤلاء الافراد يدعون أن هذه حريتهم — هذه حياتهم يجب أن يمتعوا فيها وأن يعملوا ما يريدون بحريتهم وكما يتراءى لهم — يجب أن نوقف حداً لتيار الهرب والتخلص من المتاعب والاعمال والتفكير فى الحقائق والمشاكل والا غلبت علينا هذه الناحية وتحكمت فينا . ولن يتم هذا الا اذا عملت التربية على ايجاد روح المسئولية الحقيقية فى الافراد . فنحن نريد ان يشعر الفرد بحريته وان يعلم انه هو الوحيد الذى عليه ان يحدد من حريته ويقيدها

نحن نريد ان نمنح الاطفال حرية تساعدهم على العمل والتفكير المنتج — حرية لا تتعارض مع مصلحتهم ولا مصالح الآخرين — يجب ان يعود الفرد ان يحدد من حريته بنفسه والااضطرت الجماعة ان تقيدها وتقف فى سبيلها

فعلى المدرسة ان تربي فى التلاميذ روح المسئولية الاجتماعية حتى يستطيع كل منهم ان يعيش عيشة هادئة منتجه سعيدة مع نفسه ومع باقى أفراد المجتمع

كتب الشهر الجديدة

طلعت حرب

تأليف حافظ محمود ومصطفى كامل الفلكي ومحمود فتحي عمر
طبع بمطبعة مصر . صفحاته ٢٠٤ من القطع الكبير

أعجبتنا فكرة هذا الكتاب . فان مؤسس بنك مصر يحتاج الى ترجمة وافية . وهذه الترجمة التى قام بها هؤلاء المؤلفون الثلاثة تسد فراغا كبيرا كان يحس به كثيرون من المشتغلين بالمسائل الاقتصادية والمهتمين بتطور مصر الاجتماعى . وقد فصل الكتاب جهود طلعت حرب باشا المختلفة منذ شبابه. وهاك أهم الفصول: بطل الاصلاح الاجتماعى. المجاهد الوطنى. زعيم الاستقلال الاقتصادى طلعت العالمى . طلعت العظيم . مدرسة طلعت حرب

وهذه العناوين توهم الانشاء وبهرجة الألفاظ ولكن الحقيقة ان المؤلفين كشفوا عن فترة مجهولة من حياة المترجم به لايدريها الا الذين فى سنه والذين عرفوه أيام معارضته لقاسم أمين فى حرية المرأة ومعارضته لمشروع مد امتياز قناة السويس . ثم جهاده منذ سنة ١٩١٠ لتحقيق الاستقلال الاقتصادى لمصر

وقد أحسن المؤلفون كثيرا بالاستشهاد بخطب ومؤلفات طلعت حرب باشا مع الاقتباس منها بتوسع . ومن هذه الاقتباسات تبدو صورة جلية لمؤسس بنك مصر كما هو الآن فى زعامته الاقتصادية . كما يبدو للقارىء منها أيضا سلسلة تطوراته الذهنية منذ شبابه الى الآن . وهى كلها تثبت ان عبقرية المترجم به تنهض على قدرته العظيمة على الجلد للعمل والبحث مع النزاهة الفكرية والرغبة الخالصة فى الاصلاح

ونحن ننقل فيما يلى هذه المعلومات المجهولة وهى تدل على أسلوب الكتاب :

كذلك انتظم الشاب « محمد طلعت حرب » فى صفوف مدرسة الحقوق، ودراسة الحقوق كانت بين أبناء الجيل السابق هى غاية الغايات من الدراسة ، ووسيلة الوسائل الى منصات الحكم والقضاء وكراسى الرياسة والصدارة فى حياة المجتمع المصرى

فكان الطلبة تشغلهم أحاديث جاههم وثرواتهم ، ولم يكن لصاحبنا مايشغله الا دروسه المتواصلة

واذن فقد أحس الطالب طلعت حرب إحساس الطالب نابليون بونابرت ، لكن عظيم مصر لم تبكه وحدته النفسية — وحدة العبقرى — بين الطلاب كما أبكت هذه الوحدة عظيم فرنسا فى صباه ، ذلك لأنه خلق ذا نفس مؤمنة مطمئنة . إلا أنه قد عرف طريقة مباشرة إلى مغالبة الأيام ومهاجمة نقصها بوثبات صادقات إلى الكمال ، فاذا التاريخ يشهد أن هذا الطالب الحقوقى قد غدا أكثر زملائه مالا ، وأعزهم جاهاً ومجداً !!

تخرج « محمد طلعت حرب » فى الحقوق سنة ١٨٨٩ . وكان طبيعيا — وهو فى مقدمة المتخرجين ومن أنبههم ذكراً ، وأصغرهم سنا ، وأميلهم عن الاشتغال بمهنة المحاماة — أن تتهافت عليه الوظائف فاشتغل فى قلم قضايا الدائرة السنية مترجما ، وسرعان ما تدرج النابغة فى مدارك هذا العمل حتى أصبح مديراً لأقلام القضايا بهذه الدائرة ، خلفاً للمغفور له محمد فريد بك

لو قلنا هنا أن طلعت حربا اشتهر بالدقة فى عمله ، لما جئنا بجديد بعد أن عرف العالم أن أدق رجل من رجال الأعمال فى مصر هو « طلعت حرب » ، لكن هناك واقعة معينة تقدم البرهان المادي على ماعرف به من الدقة مبكرا

كان برش باشا مفتشا عاما للدائره السنية ، ثم اختير عضو مجلس الادارة المنتدب لشركة كوم امبو ، وكان برش باشا فى عهد تفتيشه بالدائرة السنية قد عرف طلعت ، وعرف فيه كفاءته الفريدة الممتازة . فلما تطلبت الشركة — شركة كوم امبو — مديراً كفؤا لمركزها الرئيس بالقاهرة ، لم يتردد فى اختيار طلعت حرب لهذا المنصب الكبير الخطر ، الدقيق المسئولية

لم يقف اعتراف الزمن بدقة طلعت حرب وكفايته منذ صباه عند هذا الحد فى عهد شبابه ، بل إن الشركة العقارية المصرية « التابعة لبنك اخوان سوارس ورولو وقطاوى ومنشه وغيرهم » قد اختارته فى الوقت نفسه ليتولي ادارتها

كذلك حولت يد الاقدار الساحرة مجرى حياة طلعت حرب من ساحة القانون الى ساحة الاقتصاد ، وكذلك بزغت شمس الزعامة الاقتصادية من بين يديه ، فأخذ يهتدي بهديه فى حياة الاعمال كل من اتصل به من الناس — أخذت كفاءته الادارية طريقها الى الدوائر العملية جميعا ، فاستعانت بمؤهلاته وخبرته دوائر كثيرة ليقيل عثراتها ، ويصلح ماأفسد الدهر من ماليتها ، وإنا لنذكر منها على سبيل المثال دائرة سلطان باشا

كان عمر سلطان باشا من أغنى أغنياء مصر ، وكانت دائرة أعماله لسعتها تتطلب ادارة قوية غير عادية . وكان الرجل صديقا حميما لمحمد طلعت حرب ، فدعاه للاشراف على أعمال دائرته ، فتولى هذا الاشراف بلا قيد ولا شرط ولا مقابل

وكان فى أسرة سلطان باشا شاب قد اجتذبته يد طلعت الذهبية الى ساحة الحياة الاقتصادية الفسيحة ، فسار فيها رائدا ويداً يمنى للزعيم ، ذلك هو المدير القدير الدكتور فؤاد بك سلطان

ضحى الاسلام

تأليف الاستاذ أحمد أمين . الجزء الثالث

طبع بمطبعة التأليف والترجمة والنشر . صفحاته ٤٠٠ من القطع الكبير

ليس شك فى أن هذا الكتاب الفريد سيعد مرجعاً لجميع المؤلفين الذين سيؤلفون فى موضوعه أو ما يتصل بموضوعه فى المستقبل . وميزة المؤلف جلد لا حد له على بحث المواد الخامة فى الكتب العربية القديمة واستغلالها لاخراج كتاب يقرأ أو يفهم فى بحث الحياة الاجتماعية والثقافات المختلفة والفرق الدينية فى العصر العباسى الأول

وهذا هو الجزء الثالث الذي يبحث الفرق الدينية من معتزلة وشيعة ومرجئة وخوارج وأدبهم ومقامهم السياسى . والمؤلف يعرضهم فى نزاهة تامة ثم ينتقد . وكان يمكنه أن يغفل الانتقاد لأننا فى عصرنا الحاضر خلو من المقياس الذى نقيس به هذه الفرق من ناحية العقائد التى آمنوا بها ودافعوا عنها . وقد عنى بوضع فهارس أبجدية مفصلة تسهل على الباحث الاهتداء إلى الاسماء والموضوعات . وقد قال فى آخر الكتاب :

وبعد فهذه صورة للمتكلمين ، عرضتها كما فهمتها ، وكما أرشدنى البحث الصادق عنها ، أثبت ما فيها من خير وشر ، ونفع وضر ، فان أصبت فالله أشكر ، وإن أخطأت فحسبى أنى أخلصت النية وقصدت إلى الحق

وأكثر ما أتوقع أن يعتب عليّ اخوانى من الشيعة فيما سلكت من نقدهم ، وتزييف بعض آرائهم ، وأن يعجبوا من دعوتى الى الوئام والوفاق ، ثم أتبع ذلك بشىء من النقد والتجريح

فاليهم أقرر مخلصا أنى لم أقصد فى كل ما قلت إلا ما اعتقدت حقا وصوابا ، وجاهدت نفسى ألا أتأثر بالبى وعادتى ومذهبي ، فلا أنصر رأيا سنيا لسنيته ، ولا أجرح رأيا معتزلا لاعتزاله ، أو شيعيا لتشيعه . وأظن أن القارىء رأى معى أنى قد أنبذ الرأى السنى وأرجح عليه الرأي المعتزلى أو الشيعى . ولو كنت أتعصب لمذهب لا نتصرت له فى كل أقواله ، ودافعت عنه فى جميع آرائه ، ولكنى رأيت نصرة الحق خيراً من نصرة المذهب ، فلعلهم بعد ذلك ينصفون فيقرأون قولى فى هدوء وطمأنينة ، ويأخذون منه ما تستحسنه عقولهم ، ويردون كذلك فى هدوء مالا يستحسنون ويقرعون حجة بحجة ، وبرهانا ببرهان ، على أنه ليس الغرض الاسمى مقارعة الحجج بالحجج ،

والاعتزاز بالغلبة ، إنما الغرض الاسمى التعاون على انهاض أهل هذه الملل ورفع مستواهم ، وتنقية الخرافات والاوهام من رءوسهم حتى ينشدوا الحياة الصحيحة ، ويتبوءوا من العالم المكان اللائق بهم

ثم أقرر ان هذا البحث الحر الطليق لا يتنافى والدعوة الى الوحدة والوئام ، فليس البحث الحر يدعو الى خصام إذا أخلص الجانبان ، وما ينبغى للخلاف بين العلماء واختلاف أنظارهم ونظرياتهم أن يفرق بين نفوسهم ويوقع بينهم العداوة والبغضاء . على أنه ان كان ولا بد من عداوة ، فمعاداة الناس أهون على نفسى من معاداة الحق

والآن أجمع عدتى فى البحث ، وأدواتى فى الدرس ، وأنتقل إلى العصر الذى يلى هذا وهو : « ظهر الاسلام » وأعنى به المائة الرابعة من التاريخ الاسلامى ، وسيرى القارىء أنه عنصر أغزر علماً ، وأوسع نظراً ، وأسطع ضوءا ، وأن الحركة العلمية والادبية فيه لم تتبع الحركة السياسية ، بل كانتا ككفتى الميزان ، رجحت الاولى وشالت الثانية

تأثير المركزية فى التعليم

مؤلف بالانجليزية للدكتور رسل جولت اصدرته الجامعة
الامريكية بالقاهرة . صفحاته ١٣٤ بالقطع الكبير

مؤلف هذا الكتاب هو عميد كلية الآداب والعلوم بالجامعة الامريكية . ويبحث المؤلف المشاكل التى تتعلق بالتعليم فى مصر ومن هو المسئول عنها مصر أم فرنسا أم بريطانيا ؟ ثم يبحث موضوع البيروقراطية المركزية وهل هى الاصل فى فساد النظام التعليمى . وهل المزاج الشرقى تلائمه الانظمة الفرنسية فى التعليم . وهل نحن أهملنا سواد الامة حين اتخذنا الطرق الغربية . ثم ينتقد التعليم الابتدائي والتعليم الالزامى . ويبحث قيمة التعليم الحاضر من ناحية الاخلاق والشخصية والابتكار فى الشباب المصريين . ونحو ذلك

والمؤلف لايقتصر بحثه على التعليم كما هو فى مصر بل هو يفلسف ويبحث الاغراض العامة للتعليم . وهو هنا منير يقدم للقارىء خلاصة الاراء الحديثة فى التعليم المجدي . وهو يكتب كما يكتب الامريكيون بلا لف ولا دوران ولا مقدمات ولا ثرثرة بلاغية . ولذلك فان القارىء لا يخرج من كل صفحة بفائدة بل هو يستنير من كل سطر من سطوره

بقلم سلامه موسى

فى الحياة والعمل

مستوى الصحافة ينحط

كان من أثر المطاردة التى عاناها كبار الكتاب أيام وزارات الطغيان أن عطلت صحفهم ، جرائد كانت أم مجلات . فخلا الميدان لصحف أخرى لا تعارض المستبدين ولا تنتقد الطغاة ولكنها تعتمد على نشر الحوادث المثيرة فى غير السياسة وتطلب جمهوراً من القراء غير السياسيين

ثم جاءت وزارتا نسيم باشا وعلى ماهر باشا فاستخدمت عدداً كبيراً من الصحفيين فى دوائر الحكومة . وكذلك فعلت الوزارة الوفدية الحاضرة فأصبحنا واذا بالصحافة خالية أو كالخالية من الكفاءات التى كانت تغذوها . وظهرت لهذا السبب نزعات جديدة فى الجرائد والمجلات تدل على انحطاط المستوى الثقافى والاخلاق

فمن الجهة الواحدة نجد أن الجريدة اليومية قد أصبحت تنزع الى الارجاف فى اختيار اللفظ كما فى اختيار البنط الذى يطبع به العنوان وتنزع الى الارجاف فى اختيار الخبر والصورة . وغاية المحرر أو المخبر أن يصل الى القارىء بأيسر طريق مع التهور فى ايراد الخبر والمبالغة فى وضع تفاصيله الحقيقية أو الخيالية . ومع ايثار الغرائب الكاذبة على الحقائق الواقعة . فقبل أيام قرأنا فى احدى هذه الجرائد خبراً عن قسيس تزوج امرأة أخرى غير زوجته الاولى وجرد من الشكة الكنسية ، فتحرينا التفاصيل فى هذا الخبر فوجدنا ان هذا الزواج وهذا التجريد قد وقع كلاهما قبل سنوات ولكنه أورد فى الجريدة على انه وقع فى الامس

والفرق بين الكاتب الكبير والكاتب الصغير أن الأول يعرف كثيراً ولكنه يتحفظ ويعتدل وليس اعتداله عن عجز بل عن ضمير مثقل بالواجبات والتبعات . ولكن الكاتب الصغير يرجف ارجافا يشبه صياح الصبية فى اللعب والشجار ، وقد شاعت بيننا هذه الايام جرائد الارجاف لكثرة هؤلاء الكتاب الصغار

ونكبة البلاد فى المجلات أكبر جدا من نكبتها فى الجرائد اليومية . فان بعض المجلات لا يتورع صاحبها من أن ينشر صورة زاهية الالوان لاحدى المومسات فى وجنتيها اغراء وفى لحمها الموضح فى ابعادها المختلفة مايثير الشهوة الجنسية — نقول ينشر هذه الصورة على الصفحة الاولى كأن صاحبتها فنانة لم يخلق الله أبدع منها . ثم تقلب صفحات المجلات بعد ذلك فتجد قصة الزوجة التى زنت مع الخادم . وقصة الفتاة التى فرت مع السواق . ويلى هذه الحوادث مناقشات عن القبلة وهل يجوز للفتاة أن تقبل خطيبها ؟ وأمثال ذلك . ومثل هذه المجلات تتفشى بين شبابنا وفتياتنا فتفتت أخلاقهم تفتيتا وتملأ خيالهم بأقذر الصور وتجعل كل قارىء من قرائها يزني بقلبه ويعبث بكرامته وطهارته . والشاب الامي والفتاة الامية يفضلان الشاب والفتاة اللذين يقرآن هذه المجلات

وقد يقال هنا أن فى أوربا مثل هذه المجلات القذرة . وهذا صحيح . ولكن أوربا ليست أرضا بكرا للفساد . فانه يطبع مثلا كل يوم — أجل كل يوم — فى اللغة الانجليزية مائتا كتاب وأمام هذا السيل الجارف من الثقافة الجديدة لا بأس من أن يتسامح القوم فى غثاء أو زبد يطفو من وقت لآخر ويذهب جفاء . ولكننا نحن محرومون من هذه الثقافة الجدية ، ولذلك فان اغراء هذه المجلات القذرة كبير جدا ومضر جدا

ولسنا ندعو الى تقييد الحرية الصحفية بقوانين جديدة تمنع هذه المجلات من نشر هذه الاقذار لان القيود تؤذي المجلة الحسنة كما تؤذى المجلة السيئة ، ولكنا نعتقد أنه يمكن مصلحة الامن العام أن ترفع الدعوي العمومية على المجلات التى تنشر بعض الاخبار والصور التى تنافى الاخلاق . ثم نعتقد أيضا أنه يمكن الحكومة ألا تولى رعايتها من حيث الاعلانات الحكومية والقضائية هذه المجلات حتى يقتصر شرها على دائرة صغيرة . وبعد ذلك يجب على الصحف الجدية ان تعلم جمهورها وتدأب فى تربيته حتى يجد اللذة فى الخبر الموزون والمقال المعقول

أدب العرب والثقافة الحديثة

تقوم وزارة المعارف هذه الايام بطبع الاثار العربية الادبية . وقد استطاعت الى الان أن تخرج اجزاء من نفح الطيب وابن خلكان ومعجم الادباء . وهى ماضية فى طبع الكتب الاخرى التى سوف تبلغ خمسين كتابا فى متوسط عشرة مجلدات لكل كتاب أى أنها ستخرج نحو ٥٠٠ مجلد عربى

ولا غبار على هذا المجهود . فانه نافع ولكن يجب ألا نبالغ فى المنفعة اذ هي لاتتجاوز العلم بالتاريخ ، وبالتاريخ فقط . فان الشاب المصرى الذى يقرأ واحدا من هذه الكتب لايزداد عتادا وسلاحا لهذا العصر فى تنازع البقاء الذى يشترك فيه مع جيله من أمته أو من الامم الاخرى . نعنى بذلك أنه عندما يقرأ هذه الكتب لايمكنه أن ينجح فى زراعة القطن أو الاتجار به ولا فى نسج القماش أو بيعه ولا فى بناء بيت أو تأثيثه ولا فى ترميم سلك كهربائى ولا فى فهم نظام الحكومة أو سير السياسة أو غير ذلك من الشئون المصرية

فان الشاب المصرى يمكنه أن يقرأ هذه الخمسمائة من المجلدات العربية التى تقوم بطبعها وزارة المعارف ثم يخرج منها بعد درسها الدرس الحق العميق وهو عاجز أتم العجز عن أن يفوز فى تنازع البقاء الحاضر . ومع ذلك نقول أن طبع هذه الكتب مفيد . ونعنى هنا الفائدة التاريخية فقط . فاننا حين نقرأها نقف منها على فترة معينة من الزمن فى بقعة معينة من الارض هى العالم العربى أو بعض العالم العربى فى القرون الوسطى

ولكن اذا قلنا ان هذا العمل نافع فان انفع منه أن يعرف الشاب المصرى الثقافة الحديثة التى تزوده بالعتاد والسلاح لكى يعيش فى القرن العشرين . نعنى انه انفع للشاب المصرى أن يقرأ كتابا فى تأثيث الفندق أو تمليح السمك أو صنع الخبز أو أقلام الرصاص من أن يقرأ ابن خلكان أو ابن مسكويه . واذا كانت وزارة المعارف ستنفق عشرين أو ثلاثين الفا من الجنيهات على احياء الآداب العربية القديمة فانها تحسن كل الاحسان اذا هي انفقت مثل هذا المبلغ على الثقافة الحديثة بترجمة نحو مائة كتاب مما ينفع الشبان وتعلمهم كيف يحصلون على العيش وكيف ينظرون النظرة الحديثة الى الدنيا

لقد كان كل من محمد على واسماعيل باشا أعمق نظراً في قيمة الثقافة . فان الاول عنى بالثقافة الحديثة باعتبار انها ضرورية ولم يعن بالثقافة العربية القديمة باعتبار انها كمالية . أما الثاني فقد عنى بالثقافتين . ولكن وزارة المعارف تعنى لنا الان بالثقافه القديمة فقط . وهي مخطئة . فان الثقافة العربية بعيدة عن همومنا الحاضرة سواء أ كانت اقتصادية أم اخلاقية أم اجتماعية كما هي بعيدة عن الصبغة التعليمية التى يمكن ان يتعلم بها الشباب ماينتفع به فى تنازع البقاء

وهذا الشرق الناهض انما ينهض بمقدار مايعرف ابناؤه من الثقافة الحديثة أى من البيولوجية والفيزياء والكيمياء والميكانيات والاقتصاديات السيكلوجية . والامة التى تعرف هذه العلوم وأمثالها

تعيش عيشة راقية سليمة من الامراض قوية فى المال والجاه . وهذا هو الآن شأن اليابان وتركيا من الامم الشرقية الناهضة . ولـكنا مهما درسنا ابن خلـكان وابن مسكويه والطبري والمقرى وغيرهؤلاء لانستطيع أننزيد صادراتنا مليما واحدا ولانستطيع ان نستخدم العاطلين ولا نستطيع ان نعيش العيشة الحرة السعيدة

شيانج كاى شيك

ذكرت الصحف أن القائد الصينى الثائر فى سيانفو قد اعتقل رئيس الوزارة « وهو أيضـا وزير الحربية الصينيه » المستر شيانج كاى شيك . والصين الجديدة كلها والعالم المتمدن كله يعلق الآمال فى النهضة الصينية على حياة هذا المعتقل شيانج كاى شيك

وشيانج كاى شيك هو الآن — أو كان قبل أن يعتقل — ديكتاتور الصين يهيىء لها الدستور الذى سيذاع فى السنة القادمة . وهو رجل مسيحي كما كان سون يات سون الذي الغى الامبراطورية وأعلن الجمهورية سنة ١٩١٢ والمسيحية دين غريب على الصينيين الذين يعرفون بوذا وكنفوشيوس الاول يأخذون منه صوفيتهم والثانى يأخذون منه أخلاقهم . ولذلك فان رضاهم برئيس وزارة مسيحى هو أشبه الاشياء برضانا برئيس وزارة بوذى . ومن هذه المقارنة يمكن القارىء ان يفهم شيئا من هذا المزاج الصينى الذي لايغضب من المخالفين ولا يتأنق فى وضع الفروق والحدود

وشيانج كاى شيك يدعو الصينيين الى العمل لثلاثة أشياء هى شعار النهضة وهي : ١ — الاخلاق الجيدة ٢ — الطرق الجيدة ٣ — القنابل الجيدة

فاما الاخلاق فانه يحض الصينيين على البساطة فى العيش وتجنب الترف . كما يحض الشباب عامة والموظفين خاصة على الامانة والنزاهة والانصاف مع الجد والتقشف والطاعة للنظام ، وهذه صفات كانت معدومة فى الصين . فان الرشوة كانت سبيل المعاملة بين الموظفين والجمهور ، كما أن الـكسل وحب الترف كانا ديدن الاغنياء والحـكام . وهذه الاخلاق تشبه الاخلاق التى يدعو اليها غاندى فى الهند ، ويزيد الشبـه عندما يقول شيانج كاي شيك للطلبـة انه لايجوز لهم ان يركبوا الركشة وهي العربة التى يجرها انسان بدلا من حصان أو حمار . وهذه العربات كثيرة فى الصين واليابان . بل يقول هذا الزعيم للطالب أن الطالب الصينى يجب ألا يمارس هـذا الترف مالم يجر

هو نفسه هذه العربة لمن هم أسن منه

وأما الطرق الجيدة فانه يدعو اليها بقلبه وعقله وأموال الدولة . وقد أنشأ الى الآن من الطرق ما يبلغ طوله ٥٠٠٠ كيلو متر وهي كلها صالحة للنقل والحركة على الاتومبيلات . وعنايته بهذه الطرق ترجع الى أن معظم الكوارث التى تقع فى الصين هي القحط أو الغرق . وهذه الكوارث تصيب أقاليم نائية فيتعذر إنقاذها بالاقوات التى ربما تكتظ بها الصين فى مكان آخر . . ثم أن طوالع السياسة اليابانية تدل على أن مطامعها فى الصين لاحد لها وأنها أى الصين سوف تحتاج الى الطرق الجيدة لنقل جيوشها

وأما القنابل الجيدة فان شيانج كاى شيك يطلبها من الصينيين ويؤسس لها المصانع كلما أمكن ذلك . وهذا بالطبع توقعاً للحرب بين بلاده وبين اليابان . وقد كان هذا الزعيم يمارس خطة الخد الايسر بعد الخد الايمن كلما لطمته اليابان ولكنه فى غضون ذلك كان يستعد للمقاومة . وعدته هي الاخلاق الجيدة والطرق الجيدة والقنابل الجيدة

وقد كان معتقلا عند القائد الثائر فى سيانفو . ويذكر القراء ان الحجة التى يحتج بها هذا القائد الثائر ان الصين قد بالغت فى التسامح مع اليابان وأنها يجب أن تتحد مع روسيا لمقاومتها . فأما من حيث المبالغة فى التسامح فانه محق . ولكن شيانج كاى شيك يبرر هذا التسامح بعجز الصين عن المقاومة وهو لهذا السبب يحض على صنع القنابل وشق الطرق . أما من حيث التحالف مع الروس فان شيانج كاي شيك لا يطيق التفكير فى هذا الموضوع لأنه يمقت الشيوعية

الاوقاف الاهلية

تألفت لجنة برياسة عبد الحميد الشواربى بك للسعي فى حل الأوقاف الأهلية . وجميع أعضاء هذه اللجنة هم بالطبع من المنكوبين بالوقف الأهلى . وقد سبقت محاولات عدة لالغاء هذا الوقف ربما كانت أخراها تلك المحاولة التى قام بها الاستاذ يوسف الجندى سنة ١٩٢٧ . ولكن عهد الاستبداد الذى كان يقضى بعقد البرلمان وحله بلا نظام قضى على هذه المحاولة

وإذا كان شيء يدل على أن المؤسسات الاجتماعية تؤذى الناس أحياناً وتعرقل تقدمهم وتقيد حريتهم فان الوقف الاهلى يعد فى المقام الاول من حيث الاذى والعرقلة والتقييد . وإذا كانت

التقاليد أحيانا تعد من الكوارث التى تنكب بها الامم فان هذا الوقف واحد من هذه الكوارث التى تفشى الشقاء بين الاسر وتجيع الاولاد وتخرب البيوت وتبعث على الضغينة بين أعضاء الاسرة الواحدة وتجعل الرجل العاقل الرشيد فى مقام القاصر المعتوه الذى يجب ألا يتصرف والذى يجب عليه أن يخضع لادارة ناظر الوقف مهما استبد هذا أو طغى

والمتأمل لاحياء القاهرة يكاد يعتقد أن الوقف الاهلى لم يخترع إلا لتخريب البيوت فان ٩٩ فى المائة من الخرابات فى الاحياء الفقيرة يعود إلى هذا النظام حيث يشترك فى الخرابة نحو عشرين أو ثلاثين من الورثة الذين تصرفت بهم الظروف فتفرقوا فى مدن القطر فلا يجتمعون ولا يتعارفون ولا يشتركون فى رأى عن اصلاح هذه الخرابة واستغلالها : فتبقى وهى خاوية الا من الخفافيش والثعابين والفئران

ولو ألغى الوقف فجأة وأعيدت حرية التصرف إلي أصحابه ومستحقيه لانتعشت البلاد فى التجارة والصناعة . فان النشيطين من المستحقين سيشترون أو يبيعون وعندئذ تشرع يد الاصلاح والترميم فى محو هذه الخرابات . وعندئذ نرى الدور الحسنة تقام فى مكانها ونرى الناس الآدميين يسكنون هذه الدور بدلا من الخفافيش والثعابين والفئران

ان الوقف المعقول الذى تجيزه الامم المتمدنة العاقلة هو ذلك العقار الذى يحبس ريعه على عمل خيرى كانشاء مستشفى أو مدرسة والانفاق عليهما . فان هذا العمل خير كله . ولكن حبس العقار على الورثة الذين يبدأون بعدد قد يكون دون العشرة ثم يزيدون بعد ثلاثين أو أربعين سنة إلى ستين شخصاً ، هذا الوقف كله شر لانه يجعل الموتي يحكمون الاحياء ويقيد التصرف والمعاملة بقيود تعاكس الطبيعة والكفاءة وتؤدى فى النهاية الى تفتيت العقار أجزاء مكروسكوبية لا ينتفع بها أحد

ولا يطلب بقاء الوقف الاهلى غير بعض الآباء المعتوهين الذين دخلوا فى خرف الشيخوخة . فهؤلاء كلما أحسوا دبيب الموت اندفعوا فى عناد يستبقون به — فى الوهم على الاقل — حياتهم وتصرفهم فى أملاكهم . وهذا العناد يبدو فيما يسلطونه على ورثتهم من الاستبداد هذا بالحرمان التام من غلة العقار وذلك بالحرمان من النظارة وأشباه ذلك مما تكتظ به عقود الوقف . وكثير من البؤس الذى يلحق الفتيات المصريات يعود الى هذا النظام الذى يؤدي الى حرمانهن أحيانا من حقهن فى الميراث ، وكثيرا ما تحرم الفتاة من الزواج لانها تنشأ فى أسرة غنية لها مقام اجتماعى معين

ثم يأتي والدها وهو في خرف الشيخوخة فيقف عقاراته على الذكور دون الاناث فلا تجد المسكينة من يتزوجها من طبقتها وتضطر الى قضاء حياتها في عزوبة اجبارية

هذا النظام السيء يجب أن يلغى فانه لا يتفق مع الحرية التى ننشدها للعقلاء من أبناء البلاد ، وهو أثر كريه من القرون المظلمة التى تجاهد في الخروج منها ولما تخرج

القوة فى أسوان

يدخل التفكير في استغلال مساقط المياه في أسوان الى حيز العمل قريبا . فان وزيرين من وزرائنا انتهزا فرصة العيد فقضيا أجازتهما عند هذا السد العظيم يتأملانه عن معاينة ويتخيلان ممكناته عندما تضبط مياهه الساقطة بمولدات كهربائية يمكن استغلالها في شئون مختلفة مثل ادارة وتسيير القطرات واضاءة المنازل والطرق واستخراج السماد من الجو

والتكاليف الابتدائية لضبط المياه الساقطة كبيرة . ولكن جميع الامم التى استخدمت هذه المياه مثل ارلندا والولايات المتحدة وكندا وألمانيا قد اعترفت بالفائدة الكبيرة التى نعود من هذا العمل . فان الطاقة الكهربائية تباع بأثمان منخفضة تجعل الانتاج الصناعى بل الزراعي رخيصا فلنجرؤ اذن ولنتكهن قليلا

فان المنطقة التى يقوم سد أسوان في وسطها هى أفقر مناطق القطر المصرى ذلك لان الارض الزراعية على ضفتى النيل شمال السد وجنوبه هى شريطان ضيقان يسيران بحذاء النيل كأنهما ساحلان صغيران . والسكان هناك في فقر عظيم . ففى الشمال نجد مصريين يتكلمون العربية يعيشون أشق العيش وأشظفه في مديريتى اسوان وقنا . وفى الجنوب نجد مصريين نوبيين يتكلمون النوبية التى تمت الى لغة آبائنا الفراعنة بعشرات الالفاظ . وهم أيضا في الحضيض من الفقر . ولذلك يهجرون بلادهم مثل الدر وغيره الى القاهرة لكى يؤدوا أحقر الاعمال

فاذا وضعت الالجمة على هذا السد وأحيلت المياه الساقطة الى طاقة كهربائية أمكن أن نحول هاتان المديريتان الفقيرتان الى مراكز صناعية غنية . فيمكن مثلا انشاء مصانع لنسج القطن أو لصنع الريون أو الورق أو غير ذلك . لان المياه تعود كأنها منجم من الفحم يبعث الحياة الصناعية حوله بانشاء المصانع التى تنجح وتنتج بضائع رخيصة الثمن لانها تستهلك الطاقة الكهربائية بأثمان رخيصة . ولا يقتصر انخفاض الاثمان على المصانع لان القطرات يمكنها أن تسير بالطاقة الكهربائية

أيضا بدلا من الفحم أو البترول . وعندئذ يمكن الاسواني أو القناوى أن يسافر من حدود السودان الى حدود جرجا بأجور منخفضة . بل أكثر من ذلك . يمكن ربة البيت النوبية أو الاسوانية أو القناوية مهما كانت فقيرة أن تضيء منزلها بالمصابيح الكهربائية وان تطبخ طعامها على موقد كهربائي نظيف ليس فيه دخان ولا يحتاج الى عناء التنظيف وحمل الوقود . وبكلمة أخرى سوف تعود اسوان وقنا أغنى المديريات فى القطر المصرى وهما الآن افقرهن . بل سوف تنتقل الحركة الصناعية الآلية كلها من أنحاء البلاد اليهما . والقليل من الارض الذى يزرع فيهما سيكون الاعتماد فى زراعته على الطاقة الكهربائية أيضا ترويه وتحرثه وتحصده

وماذا يكون من أثر هذه الحركة الصناعية فى الزراعة فى سائر انحاء القطر ؟

سيكون من أثرها انها ستجذب الفلاحين بمئات الالوف من الوجهين البحرى والقبلى فيؤثر هذا في الزراعه أثرا سيئا وترتفع أجور العمال الفلاحين لقلتهم وكثرة الطلب عليهم . ومتى حدث ذلك تنخفض اثمان الارض الزراعية . فان الوهم السائد ان تربتنا أجود التربة الزراعيه فى العالم . ولكن هذا الوهم لايطابق الحقيقة : ويكفى ان يتأمل الجائل فى الارض الزراعيه فى أوربا لكى يعرف أن التربة الاوربية أجود من تربتنا فى بقع كثيرة . فان فدان القمح مثلا يغل نحو عشرة أرادب فى جملة أقطار أوربية . وكذلك الشأن فى محصولات أخرى

وانما يباع الفدان الواحد فى مصر بمائتى جنيه وفى أوربا بعشرة جنيهات أو بعشرين جنيها لسبب واحد ليس له ثان هو أن الفلاح المصرى الذى يزرع أرضنا يعيش بالكفاف من الذرة أرخص الحبوب فى العالم وطعام الماشية فى الولايات المتحدة . ولذلك فان غلة الارض يذهب معظمها الى المالك دون العامل الاجير . أما فى أوربا فان العكس هو الواقع . لان الفلاح العامل هناك يفطر على اللبن واللحم ويأكل خبز القمح ويشرب النبيذ الغالى ولذلك يتقاضى أجرا عاليا على الزراعة ولا يترك للمالك الا القليل جدا من غلة الارض . فلذلك تنخفض أثمان الارض هناك وتعلو عندنا

فاذا نشأت الحركة الصناعية المنشودة فى مديريتى اسوان وقنا رحل اليها مئات الالوف من العمال الفلاحين . وفى الوقت نفسه يستغل الاغنياء أموالهم فى المصانع الجديدة هناك فيكون من أثر ذلك انخفاض قيمة الارض الزراعية فى جميع أنحاء القطر حتى لايزيد ثمن الفدان على عشرين أو ثلاثين جنيها

هذه بعض تكهنات مرتجلة قد تحتاج الى التنقيح فى المستقبل

أزمة الذكاء

فى أسبانيا الآن مايقرب من ستين الف جندي ايطالي وألماني وروسى وغيرهم من الاجانب الذين وفدوا على أسبانيا يحاربون فى صفوف الجمهوريين الذين يقودهم كاباليرو ، وفى صفوف الفاشيين الذين يقودهم فرانكو ، والذخائر والاسلحة تنهال على الفريقين والتقتيل يدور بجد وحماسة يتفقان مع سرعة الخراب والجوع الذى يعانيه السكان من هذه الحرب

وتبدو أسبانيا كأنها التجربة الاولى لحرب أوربية قادمة يزول منها الغموض وتسفر عن صراع واضح بين الشيوعية وبين الفاشية . وعندئذ قد ينقسم العالم قسمين تشترك فيه الثورات الداخلية مع الحروب الخارجية . ومن الآن يجرى الاستعداد للحرب فى كل مكان بل الغازات الخانقة تحضر وتخزن تحت الارض لكى يكشف عنها حين يعلن عن الجحيم الذى سوف يتلظى فيه الناس بهذا النزاع بين الفاشيين والشيوعيين

وما هو علة هذا النزاع ؟ !

هناك علل كثيرة . ولكن مرجعها كلها الى أن ذكاء الامم الاوربية لايتكافأ والمشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى تراكمت منذ أن شرعت بريطانيا تعلم الامم صنع الاشياء بالحديد والنار بدلا من صنعه بالايدى . فان العصر الصناعى الذى افتتحته بريطانيا للعالم قبل نحو ١٤٠ سنة قد أخذ رويدا رويدا يزيد المشاكل ويعدد ألوانها . فأصبحنا واذا بنا نرى وفرة فى الانتاج وقلة فى الاستهلاك والى هاتين عمالا عاطلين

ونحن نصف الكساد الذى عم العالم فى السنوات الست الماضية أنه أزمة اقتصادية . ونصف الحال التعسة التى تعانيها أوربا بأنها أزمة سياسية ، ولكن الحقيقة أن خلف كل هذا أزمة فى الذكاء . وذلك أن أذهان الساسة والقادة عاجزة عن حل المشكلات القائمة ، وقد عجزت عن اختراع المخترعات الاجتماعية التى تتكافأ مع المخترعات الآلية ، فان المصانع والمزارع تنتج أكثر من حاجة الناس الى الطعام واللباس والمسكن . ومع ذلك يقاسى الناس الجوع والعرى . فعلام يدل هذا ؟ يدل على قلة الذكاء وعلى أن المدارس والجامعات لا تدرب أذهان الطلبة على حل المشكلات بل المتأمل لما يعلم فى هذه المعاهد لا يتمالك من احتقارها للمواد العفنة التى تدرس فيها والتى تبعد

بعداً شاسعا عن مشكلاتنا . وذلك ان الثقافة لا تزال الى الآن معدودة كأنها ضرب من الترف الذى يتلمظ به الذهن للتسلية واللهو : وهى ليست مواد حية متصلة بالحضارة الحديثة . ولذلك يتخرج الطالب وهو عاجز تمام العجز عن حل مشكلة اجتماعية أو سياسية . وقصاراه أن يتلقف الحلول السخيفة من أفواه السياسيين والصحفيين والمؤلفين الذين يضطرون لكسب عيشهم ان يسيروا وراء الجماهير بدلا من أن يقودوها . مثال ذلك انه ليس فى الامبراطورية البريطانية كلها صحفى أو مؤلف أو سياسى يمكنه أن يصارح الجمهور بأن الامبراطورية لا فائدة منها للانجليز وان بريطانيا كانت تكون أسعد حالا بدونها وان كل ما يقال عن هذه الامبراطورية انما هو أحاديث عجائز وأطفال . وان دنمركا التى لا تملك شبر أرض خارج بلادها أسعد حالا من انجلترا

ولكن اى معلم يجرؤ على ان يقول هذا الكلام فى مدرسة انجليزية

ان هذا المسكين يفعل العكس ويقرىء صبيانه اشعار كبلنج عن الامبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس والعلم الذى لا ينكس وسائر هذه البلاهات

والى سوء التعليم يضاف سبب آخر لقلة الذكاء هو وفرة التناسل فى الطبقات الدنيا وقلته فى الطبقات العليا فى جميع الامم المتمدنة . فان المغفلين يغمرون الاذكياء . وسلطانهم واضح فى الصحف التى لا تتحدث إلا عن الزوجة الزانية والنجمة السينمائية حتى اضطرت الحكومات التى استبقت قليلا من الذكاء فى وزرائها مثل ألمانيا واسوج والولايات المتحدة الى خصاء بعض الناس حتى لا يتناسلوا ويزيدوا الغباء

وخلاصة القول أنه ليس فى الدنيا أزمات سياسية أو اجتماعية أو أخلاقية أو اقتصادية وانما فيها أزمة واحدة هي أزمة الذكاء وعلاجها ايجاد مدارس وجامعات صحيحة وتشجيع الطبقات الذكية على التناسل وتثبيط الطبقات البليدة عنه

هدية للرئيس

ليست قلة الثراء عيباً ، وليس الرئيس الجليل غنياً . ولكن كل مصرى يعرف أن المقام الذى يملأه مصطفى النحاس باشا فى الامة أو فى الدولة يحتاج الى تكاليف كبيرة . واذا لم تؤد هذه التكاليف على أتم ماينتظره الجمهور فان منصب الزعامة أو منصب الرياسة لا يكون عند ظن الجمهور به

ونحن نفخر جميعنا بان زعيمنا ورئيسنا عاش للوطن ولم يعش لنفسه ، واقتنى الاستقلال لمصر ولم يقتن مالا ولا عقارا لنفسه بل نستطيع أن نزيد على ذلك وأن نقول أن مصطفى النحاس باشا اضطر قبل ثلاث أو أربع سنوات الي أن يقترض من بنك مصر حين كان الطغاة الذين وضعوا السلاسل على أبواب البرلمان وهى أحق أن توضع فى أعناقهم يتقلبون فى الثراء الذى لا يعرف حداً

وقد اقترح أحدهم أن تشترى الامة بيتاً تهديه الى الرئيس . ولكن هذا الاقتراح لم ينل تأييدا من أحد . إذ تلابسه ظروف لاتتفق وكرامة الرئيس . وأولى منه أن تقوم الامة بجمع التبرعات لاقامة مؤسسة تذكارية يطلق عليها اسم النحاس وتعيش لخدمة أبناء الامة فى التعليم أو التمريض أو البحث العلمى أو غير ذلك

ولكن البرلمان هو وحده الذى يجب عليه أن يقدم للرئيس الجليل هدية مالية تتفق وكرامة الرياستين رياسة الأمة ورياسة الدولة . وللبرلمان سابقة بل سوابق يمكنه أن يستنير بها من البرلمانات الاجنبية . فان اللورد كرومر حين غادر مصر لم يكن يملك مايعيش به مما يصون كرامة لورديته وشيخوخته ويتفق وسابق خدمته لوطنه ولذلك قرر البرلمان منحه خمسين الف جنيه . وكذلك فعل هذا البرلمان مع اللورد كتشنر ومع عدد كبير من قواد الحرب الكبرى

وقد سمعنا من يبرر اهداء بيت للرئيس بما حدث فى انجلترا وهذا خطأ . فان الذى حدث هناك أن السر ارثور لي أهدى الى القائم برياسة الوزارة بيتا فى الريف يبعد نحو خمسين كيلومترا عن لندن وقد ألحق به ١٥٠٠ فدان بها البحيرة والجبل والحديقة والغابة . وهذا البيت هو بيت تشكرز وهو ليس قصراً فخما ولكنه منزل ريفى قد أعد بوسائل الرفاهية والراحة . وليست الهدية لشخص الرئيس بل للرئيس كائنا من كان . بل لقد احترس السر ارثور لى وفكر كثيرا فى المستقبل حتى انه شرط فى وصيته انه اذا انفصلت الامبراطورية وأصبحت لها وزارة خاصة فان هذا البيت يخص رئيس وزارة الامبراطورية دون رئيس وزارة بريطانيا

ولسنا نجد أى غضاضة فى أن يهدى البرلمان لشخص مصطفي النحاس باشا مبلغ خمسين الف جنيه تقديراً لخدمته لبلاده ولكنا نجد هذه الغضاضة فى جمع التبرعات من الجمهور لاهداء بيت .

وهذا هو عين ماسمعناه من الأستاذ زهير صبرى المعروف بذكائه وحرصه على كرامة الزعامة

وحسن أن يقوم البرلمان بهذا الواجب الوطنى . فان كرامة الرياسة هى كرامة الوطن . وللرياسة تكاليف واعباء لايجوز ان تؤدى فى نقص وعجز لقلة السند المالى

عقدة فلسطين

فى فلسطين مسلمون ومسيحيون ويهود . وكل من المسيحيين والمسلمين يؤمن بديانة عالمية يجوز للبشر جميعهم أن يدخلوا فيها ويعتنقوها ، ولكن اليهودى يؤمن بديانة وطنيه تشبه الديانه الهندوكيه ، اى أنها بالدم والسلالة ، فلا يمكنك أنت أيها القارىء المسلم او المسيحي أن تعتنق اليهودية لان الدم الذى يجرى فى عروقك ليس هو الدم اليهودى ، كما لا يمكنك أن تعتنق الهندوكية لانك لست من أبناء الطبقات الاربع الكبرى ، بل انت حتى لا يمكنك ان تكون منبوذا ، فلكي تكون هندوكيا يجب ان تولد هندوكيا ولكى تكون يهوديا يجب ان تولد يهوديا

وهذه العصبية الدينية الدموية تربط اليهود برباط قوى مخيف لجميع من يجاورهم فانهم فى تنازع البقاء يعودون قوة متماسكة كأن الامة اسرة واحدة ، ومن هنا هذا النظام الحديدي الذى يعانيه منهم العرب من مسلمين ومسيحيين فى فلسطين . فان المسلم يبيع أرضه ولا يبالى وهو يفرح للثمن المضاعف الذى يؤديه له اليهود ، فيها ، وهو يترك الارض لهم وعنده أن ارض الله واسعة وان الدنيا هي قريته الكبرى له ان يضرب فيها ما شاء ، ولكن الارض التى تدخل فى حوزة اليهودي تغدو وكأنها ارض لشعب الله المختار فلا يجوز التصرف بها ولا يسمح ان تباع لغير اليهود حتي يتحقق حلم صهيون وتعود فلسطين كلها وطنا لليهود

وليس شك فى أن اليهود — اذا لم يجدوا مايعيقهم — سينجحون فى تحقيق هذا الحلم ، فانهم يجمعون الاموال من اقطار العالم التى تشتتوا فيها فى اكثر من الفى سنة ، وهم يجمعون فى فلسطين جميع المهوسين بالوطنية اليهودية من ابنائهم ، وهؤلاء المهوسون يخدمون الصهيونيه اى مذهب الوطنية اليهودية فى فلسطين بروح الجهاد والتضحية ، ثم هم الى جانب هذا الهوس قد جلبوا احسن العلماء والصناع والفنيين واستحدثوا حركة صناعيه تعيش وتنمو الى جنب العرب كما نمت الامم الاوربية الصناعية الى جنب مستعمراتها تأخذ منها المواد الخامه وتستغل اجور عمالها المنخفضه وتبيعهم منتجاتها الصناعية

درسدنر بنك

المؤسس سنة ١٨٧٢

١٦٥٠٠٠٠٠٠ الرأسمالى والاحتياطى (بالمارك الالماني)

مركز الادارة في (برلين)

وله ٣٥٠ فرعا وتوكيلا فى الخارج

فروعه في القطر المصرى بالقاهرة واسكندرية

وله مكاتبون فى جميع أنحاء العالم

يشتغل بسائر أعمال البنوك . وفيه صندوق توفير . يعطي حوالات للسياح . وخطابات اعتماد الى جميع بلاد العالم وأماكن الاصطياف .

سافروا الى ألمانيا . وتجولوا فى ربوعها بنفقات قليلة .

واستعملوا فى أسفاركم (المارك المسجل)

تطلب الاستعلامات وكافة الايضاحات من : درسدنر بنك

(قسم الكامبيو)

بنك مصر

يساعدكم على الادخار

من أقرب و أضمن

الوجوه

اتصلوا بقسم بيع الاوراق المالية بالتقسيط

و استفيدوا من التخفيض المحسوس

و الضمان الموفور

خابروا قسم التقسيط رأسا بمركز البنك الرئيسي

بالقاهرة

وفروعـــــه بالاقاليم

ليس للبنك وكلاء متجولون

فهرست

فبراير سنة ١٩٣٧

٣ سير الحوادث

٨ حاجتنا الى الفن لمحمود تيمور

١٧ مميزات الانجليز أفراداً وجماعات لمحمد كامل سليم

٢٦ نشوء الاسرة وتطورها لاحمد زكى بدوي

٢٩ الرقص المصرى القديم

٣٣ نظرية فرويد فى تفسير الاحلام لمحمد فتحى

٤٥ من هو الرجل المهذب لسلامه موسى

٤٩ ادوارد الثامن سابقا والدوق وندسور الآن لعبد الملك اسكندر

٦١ البيت والعالم (قصة) لاحمد عبد الغفور عطار

٦٧ التليباثية وهل هى حقيقة

٧١ النهر المحبوس س . م .

٧٢ الحلم «قصة» لمحمد عبد اللطيف حسن

٧٨ كتب الشهر الجديدة

٨١ فى الحياة والعمل لسلامه موسى

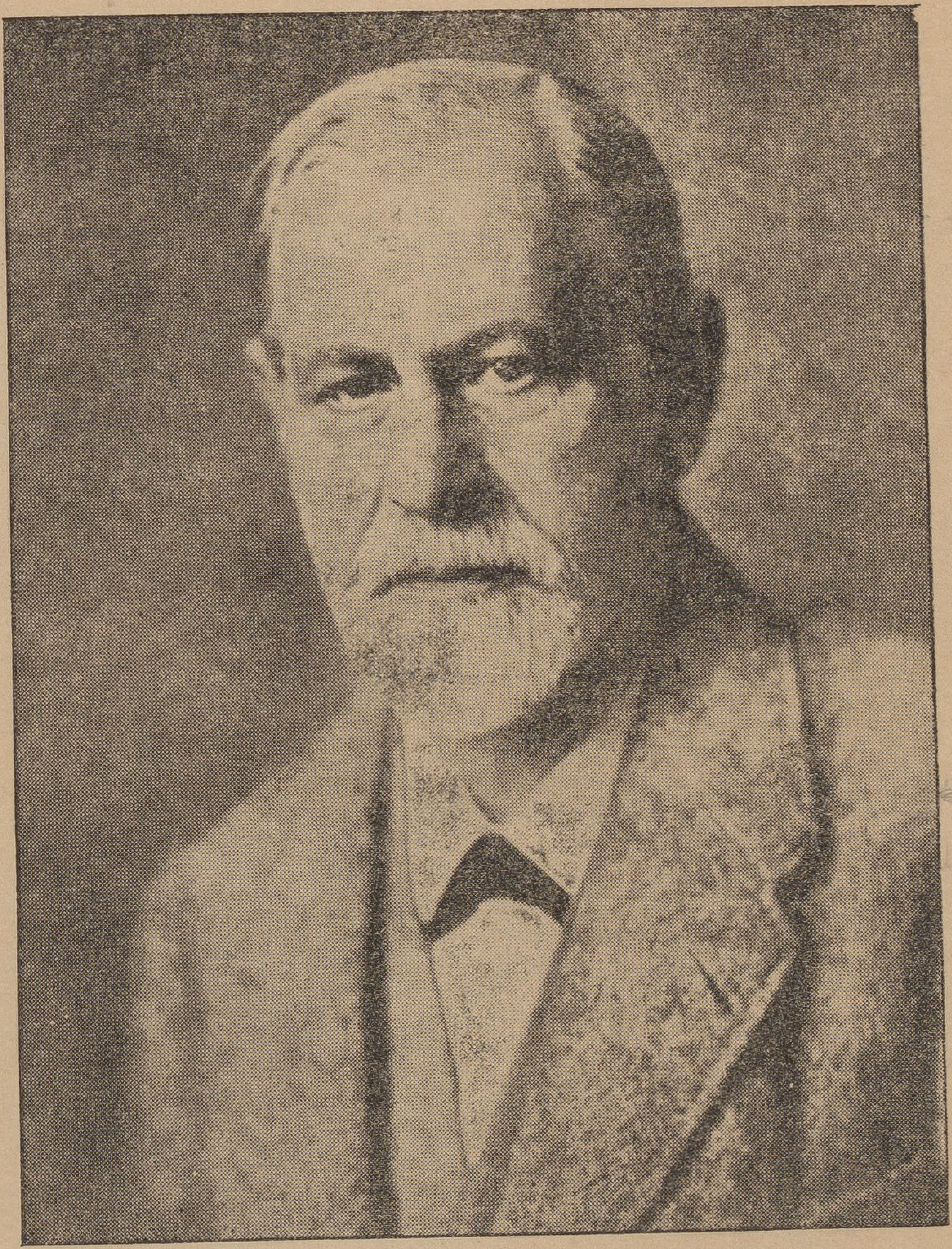

فرويد زعيم التحليل النفسي

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الاول

المجلة الجديدة

العدد الثانى
من
السنة السادسة

فبراير ١٩٣٧

سير الحوادث

جرت فى الشهر الماضى حركة عامة بين طبقات الشعب بدأ بهـا الرئيس الجليل ثم سار فى أثره الموظفون ثم سائر الطبقات . والغاية من هذه الحركة جمع المال للدفاع الوطنى عن طريق التبرع وقدخرج الموظفون عن مرتب شهر وتقدم أعيان الامة بمبالغ يؤبه بها

وليست الحكومة فى حاجة الى المال فان الاحتياطى لايزال سليما . ولكن لهذه الحركة مغزاها من ناحية تربية الامة على المسئوليات الجديدة . فان الامـة يجب أن تعرف أنها تضطلع الآن بالدفاع الجوى والبري والبحرى عن الوطن ويجب أن يتطوع ابنائهـا للجندية كما يتبرع أغنياؤها بالمال . وأقصى ماسوف يجمع من هذه التبرعات هو مليون أو مليون ونصف المليون . وهو مبلغ ضئيل من حيث الاعداد الحربى ولـكن قيمة الحركة كبيرة من ناحية الأخلاق

زوار من العراق

زارنا زوار من العراق فى الشهر الماضى فصرحوا لنا عما يرون من الرجعية المتفشية فى مصر وعن الهزء الواضح فيما يقال عن قيادة مصر للامم العربية . فان مصر الان من ناحية الرقى الحديث دون كثير من الاقطار العربية . ففى لبنان مثلا لايقل القارئون عن ٩٥ فى المماية . وفى العراق يتخذ الشبان القبعـة بدلا من السدارة أو الفيصلية . والحركة الصناعية فى سوريا تتفوق على حركتنا الصناعية تفوقا عظيما . والمرأة اللبنانية لاتختلف من المرأة الاوربية . واتجاه الادباء فى فلسطين والعراق وسوريا هو اتجاه حسن بعيد عن الرجعية

ولا نستطيع أن نقول أن مصر تجارى هذه الأقطار فى هذا الرقى . فان أدبنا ينحو نحو القديم وهو رجعى فى أسلوبه وغايته . ووطنيتنا الثقافية ليست هذا العالم المنتج الحديث وانما هى وطنية تعود الى الدولة العباسية . وقد أصبحت دار العلوم تتحدث عن الغاء تعليم اللغة الأجنبيـة فى مدارسنا الابتدائية كأننا يجب أن نقنع باللغة العربية . ودعاة القبعـة فى مصر لا يجـدون غير السخرية ومعظم المؤلفـات تخرج عن الشعر القديم والأدب القـديم والأندلس القـديم والعباسيين والأمويين

وقد دهش هؤلاء الزائرون حين رأوا أن وزارة المعارف تنفق ألوف الجنيهات على طبع الكتب العربية القديمة بدلا من ترجمة الكتب الاوربية الحديثة . كما دهشوا أيضـا عنـد ما رأوا مظاهرة الازهريين وتخطى شيخ الازهر رؤساءه من الوزراء ومخاطبته لحاكم السودان عن التبشير فى السودان

والحق أن حالنا من جميع هذه النواحى تستحق التأمل الجدى

اليوت سمث

توفى الشهر الماضى الاستاذ اليوت سمث . وقراء هذه المجلة يعرفونه بنظريته التى أخذ بها جميع الارخيلوجيون وهى ان مصر هى الاصل فى الحضارة القديمة وأن وادى النيل هو الذي أخرج الانسان من العصر الحجري الى عصر الحضارة الاولى

وقد كان اليوت سمث أستاذاً للتشريح فى « مدرسة » الطب المصرية قبل نحو ثلاثين سـنة ثم عين بعد ذلك أستاذا لهذا العلم نفسه فى جامعة كمبردج . وكان الى جنب تعمقه فى درس التشريح المقارن يدرس التواريخ القديمة درس الاستقصاء

ولعل قراءنا يستغربون اذا علموا انه ألف كتابا كاملا عن صورة لفيل وجـدت فى الآثار الامريكية

وفضل اليوت سمث علينا نحن المصريين كبير جداً فانه أنارنا عن مجد آبائنا كما أنار العالم المتمدن عن أصل الحضارة .وأعطى وطنيتنا كرامة تاريخية فى وقت لم نكن نجد فيه من التاريخ - فى زعم

اليوت سمث

الأوباش - غير الهوان . وقد وضعنا كتابا عن أصل الحضارة وتسلسلها من مصر بناء على ما درسناه من هذا العالم . ولكنا ما زلنا نؤمل أن يقوم غيرنا بتفصيل ما لخصناه

الواجب الادبي

كتب الدكتور زكي أبو شادي يقول :

تحدث الدكتور طه حسين في محاضرة مفيدة عن واجبنا الادبي بعد المعاهدة ، فدعا السامعين الى الاقبال على العهد الجديد بعزم جديد ، وايمان بالواجب جديد ، ودعا الادباء والمتأدبين الى ترك العبارات المنمقة ، والى الاهتمام بالآمال والمثل والاحلام ، وارتأى ان تقصير الادب يرجع الى نقص الحرية ، وناشد السامعين في أن يكونوا أحراراً اذا كتبوا أو ألفوا ، وأن يتحصنوا بالاستقلال ، ويترجموا عن البيئة ، ويتساموا الى المثل الانساني . وخطاب الدكتور مقصور على جماعة من الادباء يعيشون في أمن ودعة وخفض من العيش ، وهؤلاء في مصر قلال ، فان أغلب الادباء في مصر يحترفون حرفة أخري غير الادب ، وبخاصة السياسة والصحافة - وليس لدينا الاديب الذي يعيش من الادب ، وفي اعتقادنا أن تأخر الادب راجع الى عدم تحرر الادباء من حرفهم الاخرى التي يجدون فيها تعباً ، ولا يجدون للأدب وقتاً ، فلا بد أن نتجه الى التفكير باديء الرأى في تأمين الادباء — هذا هو الواجب الاول للحكومة بعد المعاهدة ، أما اذا ظل الادباء في أسر المادة ، وفي عبودية الوظيفة أو المهنة ، فانه من العسير أن يبلغ الاديب حريته أو ينال استقلاله ، واذا كان الجوع كما يقول المثل الفرنسي يخرج الذئب من الغاب ، فان الحاجة تخرج الاديب من الفن ، وتبعاً لهذا فمن أول الواجبات رعاية الادباء ومعاونتهم وتشجيعهم التشجيع المادي والمعنوي — واذا كان من بين أعمال المجمع اللغوى القيام بمعاونة الادباء فانا لنتمنى عليه أن تكون هذه المعاونة حقيقية ومتجردة عن الغاية وعن التحزب أو المحاباة ، بل لوجه الادب الخالص ، وللتشجيع البريء على الانتاج

الاسكندرونة

نشب خلاف بين السوريين والأتراك على سنجق الاسكندرونة . وانتهى الخلاف إلى عصبة الامم التي قررت بالاتفاق مع فرنسا الدولة المنتدبة :

١ — أن يعين رئيس الجمهورية السورية محافظ الاسكندرونة

٢ - أن يشترك نواب الاسكندرونة في مجلس النواب السورى

٣ — أن تسرى قوانين سوريا على الاسكندرونة

ولكن هذه هي الظواهر والقشور . اما الباطن والجوهر فيجعل الاسكندرونة مدينة تركية مستقلة على نحو النظام السائد فى دانتسيج . بل لا يعلم إلى الآن إذا كان سيسمح باستعمال اللغة العربية إلى جنب للغة التركية . ولكن يجب الاعتراف بأن أكثرية السنجق من الاتراك

جندى مراكشى فى أسبانيا

اسبانيا

لايزال فرانكو الى الآن على أبواب مدريد . ولكن يبدو من الأخبار الأخيرة أنه يزداد عدة وعتاد وجنودا بما سبق أن ورد اليه من المانيا وايطاليا وبما عنده الآن من متطوعى الأجانب والجنود المراكشيين

وهؤلاء الجنود المراكشيون هم أعظم قوة يعتمد عليها . والمظنون ان يتمكن من فتح مدريد قريبا . ولكن يبقى عليه بعد ذلك نصف اسبانيا الشرقى . ومن المستبعد جدا أن يستطيع التغلب عليه

روسيا واليابان

يشتد النزاع بين روسيا واليابان . وقد ظهر هذا النزاع بشكلين مختلفين فى كل منهما ففى الاولى عقدت محاكمات لعدد كبير من الزعماء الذين اتهموا بممالاة المانيا واليابان أو العمل تحت ارشاد الشيوعى تروتسكى الذى يقيم الآن فى مكسيكا وقد انتهت المحاكمة بالحكم بالاعدام على ١٣ زعيما . وفى الثانية قلب الحزب العسكرى الوزارة اليابانية بدعوى ضعفها وعجزها عن تقوية الجيش والنية سيئة من الطرفين ولا يمنعهما عن الحرب غير الخوف من الهزيمة لان كلا منهما تشعر أن الاخرى أقوي منها

اربع سنوات من الوطنية الاشتراكية

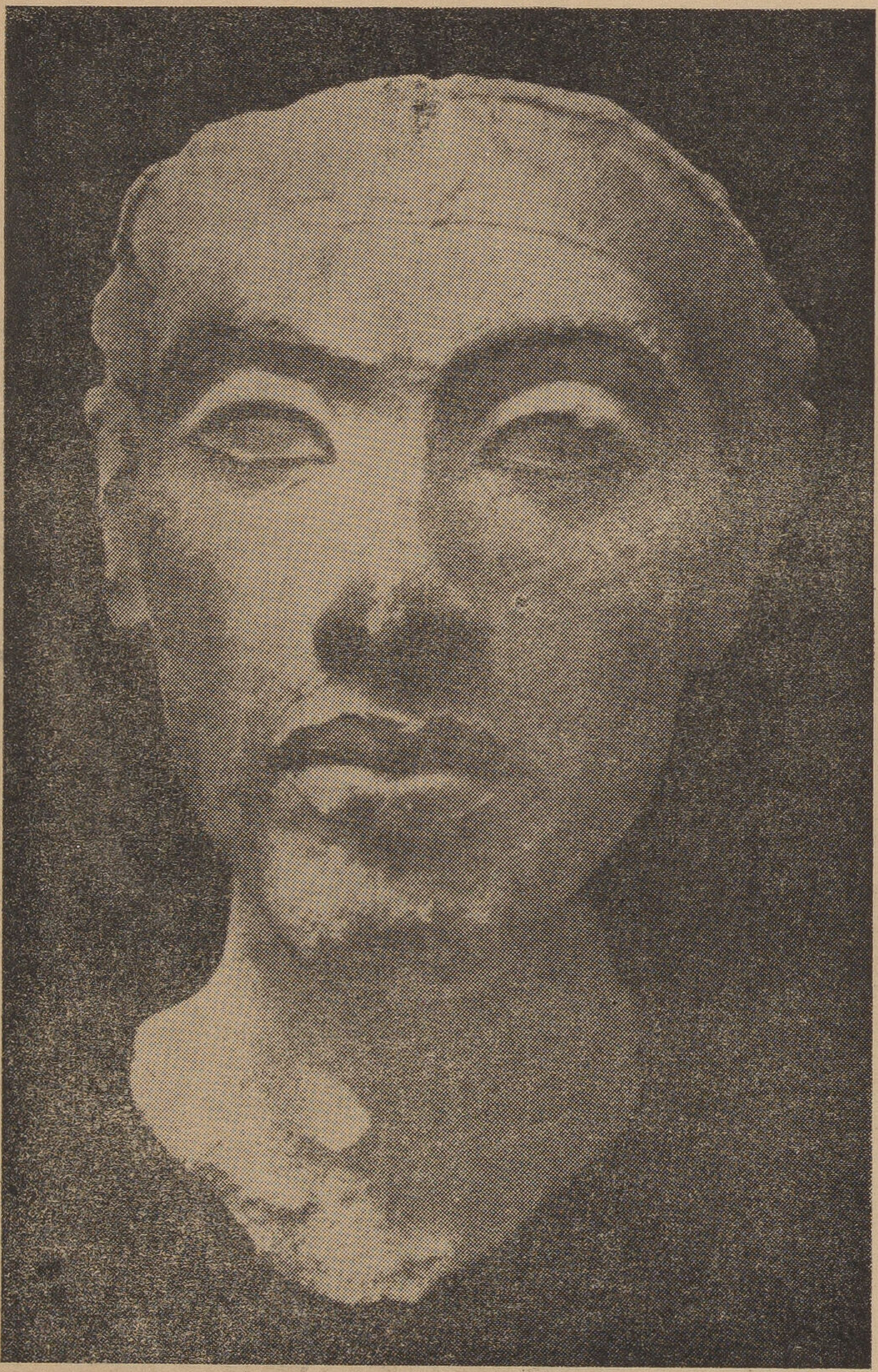

تمثال رأس أخناتون فى متحف برلين

احتفل الالمان يوم ٣٠ يناير الماضى بمرور اربع سنوات على الوطنيــة الاشتراكية بزعامة هتلر. وقد أعيد انتخابه رئيسا للدولة أربع سنوات أخرى ومهما قال الناقدون فان مما لاشك فيه أن الالمان راضون عن هذا الحكم. وما انتقص من حريتهم قد زاد فى زيادة الطعام للسكان والكرامة للوطن. فان الحالة الاقتصادية فى المانيا هى أفضل مايمكن تخيله فى الظروف الحاضرة. وقد صدق الزعيم حين قال انه تسلم البلاد وفيها نحو ستة ملايين عاطل وليس بهـا الآن شىء خطير من العطل كما تسلم الوطن وهو ذليل مهان أمام الدول وها هو يثبت كرامته بل عزته أمام اوربا جميعها. وقد استطاعت المانيا فى هذه السنوات الاربع أن تقيم اقتصادياتها على أساس وطنى بحيث تستغنى عن معظم المواد الاولية كما استطاعت ان تنعش الزراعة وتعيد اليهـا مكانتها أزاء التقدم الصناعى

حاجتنا الى الفن

للاستاذ محمود تيمور

نحن فى حاجة الى الفن ؟ سؤال يتردد كثيرا على ألسنتنا ولا يجد منا إلا أجوبة متناقضة . فهل نحن حقا فى حاجة ماسة الى الفن ؟ هل هو عامل أساسى فى حياتنا لا يمكننا الاستغناء عنه ، أم هو أمر ثانوى نلجأ اليه للترفيه عن أنفسنا فقط ؟

الفن كما هو معروف ومصطلح عليه بيننا هو كل ماتضمه الآداب من شعر وقصص ودرامة وما اليها . وما تحويه الفنون الجميلة من تصوير ونحت وتمثيل وما شابهها . فاذا أردنا أن نصوغ السؤال على صيغة أوضح قلنا : هل وجود قصيدة لشاعر أو لوحة لمصور او تمثال لنحات لازم لنا فى الحياة لزوم مصل من الأمصال معد لمكافحة مرض عضال . او قنطرة هندسية لتنظيم الرى لقطر زراعى ؟ وهل لوجود الفنانين من شعراء ودراميين ومثالين نفع للهيئة الاجتماعية يماثل نفع الأطباء والمهندسين ؟ !

هذا هو موضوع حديثنا

أول شىء نريد معرفته هو . ماهو الفن ؟ ولوضع تعريف صحيح للفن يجب أن نعرض أمامنا عملا فنياً ونحلله لنصل الى حقيقته ومبلغ نفعه لنا

فهذه قصيدة من الشعر لشاعر فنان . يصف لنا فيها حديقة زاهرة بالورود . يستطيع أى انسان ليس من ذوي الفنون أن يصف لنا هذه الحديقة وصفاً لا يتعدى مانجده فى قائمة المزادات والبيوع وصفاً لا يترك أى أثر فى نفوسنا . أما الشاعر الفنان فهو يقدم لنا صورة طريفة مبتكرة عن هذه الحديقة . يصفها لنا فى موسيقية أخاذة معدداً لنا محاسنها كاشفا لنا عن جمالها الحقيقى . ثم يأخذ بيدنا ويدخل معنا عالم الورود السحرى ويدعنا نعيش فيه برهة من الزمن . فهذه زهرة طفلة تبدأ حياتها فى طمأنينة وهدوء . وتلك زهرة شابة قد انتزعتها يد عاتية والقتها فى مواطىء الأقدام . هذه تبتسم مرحة تنشر حولها عبيرها الجميل . وتلك تجمع أوراقها الذابلة حول نفسها تحاول الاحتفاظ بما بقى لها من شباب ذابل فان . نسير بين هذه الكائنات اللطيفة نصغى الى همساتها المطربة والى نواحها المحزن . نشاركها مرورها وأحزانها وألعابها مستمتعين دائما بجمالها الفتان

لقد شعرنا ونحن نقرأ هذه القصيدة بشىء يتحرك فى قرارة نفوسنا ، بشىء كان نائما ، فلمسه

هذا الشاعر وأيقظه . هذا الشيء هو الشعور بجمال هذه الورود . والاحساس نحوها بألفة عجيبة برباط روحي سام

لقد كشف لنا هذا الشاعر الفنان عن الجمال فى ناحية من نواحى هذا الوجود . وجعلنا نتذوق هذا الجمال فى سرور . وأيقظ فى قلوبنا عاطفة الحب السامية نحو مظهر من مظاهر الطبيعة

فغاية الفن الكشف عن الجمال وتسجيل مظاهره وتذوق فتنته . ومتى تذوقنا فتنة الشيء أحببناه . فالجمال والحب كلمتان كل منهما متممة للاخرى . فليس هناك جمال بلا حب ، وليس هناك حب بلا جمال . فالشيء الجميل هو الذى يشعرنا بالجمال والحب . ونحن لانحب إلا الشيء الجميل . فالفن إذن هو الذى يشعرنا بالجمال والحب . فما هو الجمال ؟ وما هو الحب ؟ لا يمكننا أن نعرف الجمال تعريفا معينا له قواعد ثابتة ، وخطوط محدودة . فالجمال نسبي ، وقد يختلف باختلاف الزمان والمكان ؛ على أننا يمكننا أن نعرفه تعريفاً عاما فنقول :

هو ذلك الذى يحوي من التناسق المادى أو الروحى مايشعرنا بلذة وسرور عند رؤيته . فهذه صورة هرم قد طحنته السنون استطاع مصورها الفنان أن يشعرنا بجمالها . ففى الهرم جمال يماثل جمال الشباب وجمال الطفولة . والطبيعة تزخر بألوان من الجمال لاحد لها ، ووظيفة الفنان أن يكشف لنا عنها وينبهنا إلى وجودها ويحببها لنا . فهناك جمال فى الطهارة ، جمال فى الشجاعة ، جمال فى الحيوان ، جمال فى الجماد ! جمال فى الشيء العظيم . جمال فى الشيء التافه الصغير مادام فيه تناسق مادى أو روحى يستطيع ان يبعث فينا اللذة والسرور

هذا هو الجمال . فما هو الحب ؟ الحب فى معناه الأصلى هو الجاذبية . فهذان الشخصان يشعر كل منهما بحب للآخر ، أى أن كلا منهما فيه جاذبية تجذب رفيقه اليه . والانسان إذا أحب رغب — بلا جدال — فى خير حبيبه . ولا يمكننا أن نتصور محباً يضمر الشر لمن يحبه . فالحب إذن غايته الخير . ولما كان الفن غايته الحب ، فالفن إذن يرمى دائما إلى الخير . ولا يكون الفن فناً إلا إذا كانت وجهته الخير . والفنان لا يكون فناناً إلا اذا كان الخير وحى فنه وغايته

ولكننا نلاحظ أن الفن لم يقصر غايته على اظهار الناحية الجميلة فى الحياة . فكثيرا مارسم لنا الفنان صورة كريهة تمثل القسوة والشر . فكيف يكون فى هذه اللوحة جمال وهى بعيدة البعد كله عن الحب والجمال والخير ؟ الحقيقة أن هذه اللوحة ليس فيها جمال ظاهر . ولكن الفنان الذى صورها رمى من غير وعى إلى اظهار روعة الجمال من طريق غير مباشر . فهو رسم لنا القسوة ليشعرنا بالرحمة من حيث لايدري ، وحدثنا عن الدنس لنحس بالطهارة . فالشيء لايعرف إلا بضده ولو كان العالم كله خيراً صرفاً لفقد هذا الخير قيمته ، ولما استطعنا تذوق جماله . ولا يغيب عن

نظرنا أن الفنان ناقد قبل كل شيء، فهو يعبر لنا في صدق واخلاص عما يحس به نحو ما في هذا العالم من حسن وقبيح . ويصوره لنا تصويراً صادقا . فالغاية التي يرمي اليها في الحقيقة هي الجمال يسلك اليه الطريق الذي يريد

وهناك تفسير آخر لهذه المسألة . أمامنا رواية يحدثنا فيها مؤلفها الفنان عن شخصيات مجرمة شريرة . ويحللها أمامنا فنرى نفوسها على حقيقتها وكيف تتطور في سبيل الاجرام وعمل الشر . وكلما تابعنا قراءتنا وتعمقنا في دراستنا لهذه الشخصيات شعرنا باحساس عطف غريب نحوها . لقد كشف لنا الفنان في شخصية المجرم عن مريض تعس ظلمته الاقدار . مريض اضطرته احوال وراثته وبيئته أن يغدو شريراً . ثم تألبت عليه قوانين البشر تطارده وتستحل تعذيبه . فكيف لانستشعر الرحمة له

لقد استطاع الفنان أن يثير فينا هذه العاطفة السامية، لان قلبه هو عامر بالحب الانساني العظيم — عامر بالحب لهذه المخلوقات جميلة كانت أو دميمة . والفنان المجرد من هذه العاطفة الانسانية السامية لا يكون فنانا . ونحن لانتصور وجود مؤلف فنان يضمر البغض لشخصيات رواياته . فما هذه الشخصيات إلا مخلوقات من صنع يده ، هو خالقها ومبدعها . فكيف يبغض الخالق مخلوقا من صنعه

والآن وقد وصلنا إلى هذه النقطة الدقيقة — نقطة الخير والشر واتصالها بالفن — نرى أن نستوفي البحث فيها قبل الانتقال الى غيرها . فما هو الخير وما هو الشر ؟

الخير في معناه الأصلي هو الذي يقصد إلى المنفعة . فالشر منطقيا هو الذي يقصد الى الضرر . وقد سمينا بعض الصفات فضائل أي صفات خيرة لأننا رأيناها نافعة لتقدم البشرية . وسمينا الأخرى رذائل أي صفات شريرة لأننا رأيناها مضرة بالانسانيه . ولنضرب لذلك مثلا . فالانسان في بداءته ، عند ما كان همجياً يحيا حياة عزلة وانفراد كان يستحل القتل ويراه من ضرورات حياته . يقتل ليسلب اخاه الآدمي طعامه أو امرأته أو ما شابههما . وظل الامر كذلك حتى شعر الانسان بفائدة التعاون مع غيره ، وكون معه أول هيئة من الهيئات الاجتماعية ، وحينئذ عد القتل في دائرة هذه الهيئة شراً غير مسموح به . وصار عدم الاعتداء فضيلة واجبة الاحترام لأن فيها تأمينا لحياته وحياة رفاقه . ولكن قتل الآخرين ممن هم خارجون عن حلفه بقي فضيلة من أشرف الفضائل . ومن يستطيع أن يسمي المحارب الذي يذود عن وطنه سفاكا قاتلا ؟ وقس على ذلك جميع الفضائل بلا استثناء ، فليست هناك فضيلة واحدة فيها معنى الفضيلة لذاتها بل لفائدتها للمجتمع . اذن فكل شيء نافع لنا هو خير . وكل شيء مضر بنا هو شر

ونحن إذا نظرنا إلى حالة هذا الكون وما يشتمل عليه من جماد ونبات وحيوان وإنسان وجدناه

دائما فى تقدم ورقى . فهو يتطور نحو الكمال فى اطراد . وهذا أمر يكاد يكون ملموساً . فأين دنيا سنة ٣٧ من دنيا قبل التاريخ . فنظرية التطور تحوى عنصر المنفعة وإلا لما كان هناك تطور . وبما أن الخير هو المنفعة فالعالم يسير مدفوعا بعامل الخير أي أن نزعة الخير هى التى تسوده . فهل هذا معناه أن الشر معدوم . كلا . ولكنه خاضع لعامل الخير الأكبر

فهذه الحروب بفظاعتها وويلاتها هى فى ذاتها شر . ولكنه شر تعتمد عليه الانسانية فى سيرها نحو الكمال. فلولا الحروب لمابقيت الامم النافعة . ولولاها لما انتشرت المدنيات ولما عمت قوانين الخير . وهذه الطبيعة قد اتخذت لها قانون تنازع البقاء وبقاء الاصلح . وهو قانون فيه قسوة وشر ولكن لولاه لما استطاع العالم أن يخطو فى سبيل رقيه خطوة واحدة

وقد وقعت وما زالت تقع كوارث طبيعية كالزلازل والبراكين رطغيان الانهر والبحور . هذه الكوارث يقف أمامها الانسان حائراً مدهوشاً يسائل نفسه أين نزعة الخير فيها . ليست هذه الكوارث فى الواقع خيرا صرفاً ، ولكنها وسائل قاسية لجأت اليها الطبيعة لتصلح من أمر نفسها . هى فى الحقيقة إحدى ظواهر التطور الطبيعى للكرة الارضية لولا وقوعها لما أصبحت الكرة الارضية فى شكلها ونظامها الحالى بجبالها ووهادها وأنهارها وبحورها وما هذه الزلازل والانفجارات التى مازلنا نسمع بحدوثها إلا بقايا ذلك العهد الغابر الجبار - عهد تكوين الكرة الارضية - فالتطور لابد له من ضحايا . ولا يمكنه أن يتم عمله العظيم إلا إذا سار على أشلاء قتلاه . ولكنه دائما يسير ووجهته الخير العام

فهذا الشر الذى نسميه شرا ماهو فى الحقيقه إلا أداة من أدوات الخير مادام من ورائه تقدم العالم ورقى البشرية . وما أحرانا أن نسمى هذا الشر قسوة خالصة . فنحن نحب أولادنا ولكن حبنا لهم لايمنعنا من أن نقسو عليهم فى سبيل نفعهم

ولكن لايغيب عن بالنا أن فى العالم شروراً أخرى تأتى أهميتها فى المقام الثانى من حيث خطرها على تطور الحياة وارتقائها . وهذه الشرور تقع فى المعاملة وتبادل المنافع الشخصيه كالسرقة والاحتيال وما شابههما

ونحن إذا تصفحنا تاريخ دولة المماليك فى مصر راعنا ما نجده فيه من روعة الفن . فليس من ينكر أن سلاطين المماليك الذين حكموا مصر قبل الفتح العثمانى كانوا من المحبين للفنون ، ينشدونها فى مسكنهم وملبسهم ومختلف مظاهر حياتهم ، فخلقوا هذا التراث المجيد من آثارهم فى البناء والزخرفة . ولكن هذا لم يمنعهم من أن يكونوا قساة يحكمون بالدم . فكيف اتفق الفن والشر ؟ فجوابا على ذلك نقول : لم لا تكون نزعة المملوك الأصيلة نزعة خيرة فى ذاتها ؟ وما دفعه فى هذ

السبيل الدامى سوي بصيرته أى — واعيته الخفية — التى رأت ان لا مندوحة للقضاء على الفتن واستتباب الامن وإنشاء دولة قوية إلا بهذه الوسائل القاسية . إن النزعة المسيطرة على هذا الوجود هى النزعة الخيرة . أو بعبارة أخري إن بذرة الخير بذرة أصيلة كامنة فى تلافيف هذا العالم وهى التى تسير به دائماً إلى هدف معين هو منفعته ورقيه . بذرة الخير هذه موجودة فى كل الكائنات صغيرها وكبيرها حقيرها وعظيمها . فهذه الذرات التى يتكون منها جميع ما فى هذا العالم من الكائنات مكونة من كهارب يسير بعضها حول بعض وتسير حول نفسها فى حركات هى أرقى ما وصل اليه الجمال . وهى فى حركاتها متماسكة بقوة الجاذبية أى بقوة الحب . ومن هذا التناسق وهذه الجاذبية تكونت العوالم كافة بشموسها وأفلاكها ونباتها وحيوانها وشعوبها ومدنياتها . الكل يتحرك ويسير فى نظام جميل متجها دائما نحو الخير . فالله خلق العالم على أساس الحب والجمال . والله لا يخلق إلا الجميل ولا يودع مخلوقاته إلا الحب . إذ أنه سبحانه وتعالى المثل الأعلى للحب والجمال

فتشوا فى هذا العالم عن الدميم — بالمعنى الواسع لهذه الكلمة — فلن تقفوا له على أثر . إن الجمال يغمر كل شىء فى الوجود . تكاد تلمسه فى أتفه الكائنات وأعظمها كما سبق لنا القول . فهذه حشرة صغيرة ليس فيها ما يجذب نظرنا . إذا أمسكناها وتفحصناها فى عناية رأينا من دقيق صنعها ونظام تركيبها ما يذهل العقول وعددناها إحدى معجزات الجمال . وهذه القطعة الصغيرة من الحجر إذا فتتناها وتفحصنا دقائقها بالميكروسكوب وجدنا أنفسنا أمام عالم كبير يزخر بصنوف شتى من ألوان الجمال . فعابر السبيل الذى يمر بهذا الحجر ويركله استخفافا به واحتقاراً له ما أحراه أن يأخذه ويقبله إذ هو لا يقل عنه بهاء وجمالا

وقبل أن نختم كلمتنا فى هذه النقطة نريد أن نذكر علاقة الفن بالغريزة الجنسية . فنقول : إن هذه الغريزة قوامها الجاذبية . وقد فسرنا الحب بأنه جاذبية أى ان ينجذب شخص نحو آخر تدفعه تلك القوة الروحية التى نسميها أحيانا بالفتنة . وبما أن غاية الفن هى الحب فالغريزة الجنسية قوامها الفن باعتبار انها تفاعل أساسه الحب الذي هو إحدى غايات الفن والجمال . فاذا علمنا ما للغريزة الجنسية من الخطر فى حياتنا إذ يتوقف عليها نظام البشرية كله اقتنعنا بأن الفن عامل أساسى لحياة هذا المجتمع

نستنتج مما تقدم كله أن العالم وما يحويه من كائنات حية أو غير حية مدين لعامل الحب والجمال بوجوده أولا ، وبتقدمه ثانياً

ولنعد الآن إلى سؤالنا الأول : أنحن فى حاجة إلى الفن ؟ الخطأ الشائع اننا نظن أن الفن شىء اكتسابى كالعلوم مثلا . والحقيقة كما بينا أنه كائن فى نفوسنا وهو جزء منا . فالمفاصلة بينه وبين

العلم مفاضلة غير مقبولة . فلحياة الانسان ناحيتان مادية وروحية . ومما لاشك فيه أن الناحية المادية تشغل حيزاً هاما من تفكيره فلا يمكن بأى حال أن يهمل مطالبها لتعلقها بتيسير وسائل حياته . ولكن للناحية الروحية مكانها الذى لا غنى عنه مطلقا إذ منها يستمد وحيه فى انشاءاته المادية ، وعلى هذه الناحية الروحية يتوقف توفيقه ونجاحه فيما يقدمه من اختراعات وما ينشئه من مؤسسات . وقد استطاعت البشرية أن تحيا الحقب الطويلة وتجتاز أشد الأهوال فى عصورها المختلفة وهى فى غير حاجة الى الأمصال الطبية أو القناطر الهندسية . ولكنها لم تستغن لحظة عن الفن . فنحن إذا جردنا العالم من الفن فماذا يبقى أمامنا غير العدم والفناء

فأحري بنا وقد وضح هذا أن نصوغ سؤالنا على النحو الآتى : ماهى الوسائل التى نحتاج اليها لايقاظ روح الفن الكامنة فى نفوسنا وتنميتها وازدهارها

الناس فريقان . فريق فنان، وفريق غير فنان، هذا باعتبار أن بذرة الفن مخلوقة فينا كما أوضحنا . ولكن بذرة الفن فى الفريق الاول يقظة نامية وفى الفريق الثانى هامدة منكمشة . ويمتاز الفنان على سواه من عامة الناس بأن شعوره بالحب والجمال قوى جامح ، فهو مرهف الحس ، دقيق العاطفة ، غير أن ليس هذا كل ما يمتاز به الفنان عن سواه . فهناك شىء أساسى لايستغنى عنه هذا الفنان وهو القدرة على التعبير عما يحس به فى أسلوب شائق وشكل حسن . فهذا محب صادق فى عواطفه يقف أمام محبوبته يشكو لها غرامه . فلا يجد عنده إلا كلمة : « أحبك » يذكرها فى تكرار ممل يثير سخط محبوبته فى النهاية عليه فتقصيه عنها . على حين نجد محباً صادقا فى عواطفه كالأول ولكنه يمتاز عنه بمقدرته على التعبير عن حبه فى أسلوب جميل أخاذ . فالأول مثل الفنان الناقص . والثانى مثل الفنان الكامل . وكلما قوى شعور الحب والجمال فى الفنان وعظمت قدرته على التعبير كبر فنه وعلا . وإنى حين أذكر الفنان لا أخص هذا الشخص المشتغل بالفنون الجميلة مثل الموسيقى والشاعر والمثال ، بل أقصد كل انسان نستطيع أن نلمس فى عمله أيا كان هذا العمل ، الشعور بالجمال والقوة فى التعبير عن هذا الجمال . فليس كل موسيقى فنانا . ولكن من الموسيقيين من هم فنانون وغير فنانين . أعنى عمال فن . وليس كل أديب فنانا . فهناك الأديب الصادق فى فنه والأديب المهرج فى أدبه ويمكننا أن نطبق هذه النظرية على كل فئة من فئات الناس مهما اختلفت أنواعها ودرجاتها . ففى فئة المزارعين نجد المزارع الفنان والمزارع غير الفنان . فالأول هو الذى يزرع أرضه على طريقة من التناسق والنظام والعناية تشعرك لأول وهلة أنه يحب الجمال وأنه استطاع أن يعبر عنه فى طرافة وابتكار . وهذا المزارع ناجح وسعيد فى حياته ، ما من ذلك بد . وبين فئة الموظفين نجد الموظف الفنان والموظف غير الفنان . فالأول هو الذى يعنى بعمله عنايته بأحب شىء عنده ويجتهد فى تنميقه

ولا يرضى أن يقدمه إلا اذا كان على الوجه الأمثل فى التفكير والصياغة . فهذا الموظف متقدم دائما فى عمله ناجح دائما فى حياته . وهذا الطاهى الذى يقدم لك طعاما متقنا لذيذا يشعرك بمسرة ورضا ، أليس هو فنانا ؟ أليس طهيه للطعام على هذا الوجه فنا جميلا . . وهناك فى حياتنا الخاصة — حياتنا المنزلية . نجد الزوج الفنان والزوجة الفنانة ، وكذلك نجد الأزواج والزوجات غير الفنانين . اما الفنان زوجا كان او زوجة فهو الذى لا يقبل ان يعيش إلا فى مكان جميل ولا يحيا الا بأسلوب فى الحياة جميل . وليس لقلة النقود — كما يدعى البعض — تأثير كبير فى ذلك . فربما دخلت منزلا لأسرة متوسطة الحال او فقيرة فرأيته نظيفا منسقا فى ذوق جميل على بساطة أثاثه . فارتاح له نظرك وابتهج له قلبك . وقد يكون على العكس منه ذلك القصر المنيف المكدس بالأثاث الثمين حيث لا نظافة ولا نظام ولا ذوق سليم . حيث تتمثل فيه البشاعة فى أجلى مظاهرها

قلنا انه كلما قوي شعور الحب والجمال فى الفنان وعظمت قدرته على التعبير كبر فنه وعلا . فالفنانون اذن ليسوا درجه واحدة . ويمكننا تقسيمهم الى ثلاثة أقسام :

فنان ، ونابغه ، وعبقرى

فنحن نستطيع بوسائل خاصة أن نجعل من الانسان العادى فنانا ، وذلك بان نوقظ فيه حاسة الجمال والقدرة على التعبير عن هذا الجمال . هـذا الفنان هو الذى يعنينا أمره أكثر من الآخرين لأنه يكوّن السواد الأعظم من الأمة . أما النابغة فيولد وحاسة الحب والجمال فيه مستيقظة . وله مواهب خاصة يعبر بها عما يحس به . ولكنه يطلب منا أن ننمى له مواهبه ونوجهه الى السبيل الأمثل . أما العبقري فهو فى غير حاجة الى معونتنا . ولايدين لشىء غير عبقريته . والعبقرية مواهب قوية عظيمة فى قوتها تخلق مع الفنان خلقاً . والفرق بين النابغة والعبقرى أن الأول مواهبه محدودة لايمكنه أن يضرب فى طريق جديد ويبتكر ، أما الثانى فمواهبه لا حد لها وهى دائما فى تجدد واضطرام ، مشغولة بالخلق والابتكار

ولنعد الآن الى الانسان العادى لنرى كيف نستطيع أن نخلق منه فنانا . أهم وسيلة نعتمد عليها فى عملنا هى أن نلتجىء الى الفنون الجميلة الراقيـة ونستعملها أداة لتربية الذوق السليم . فاذا نشأ الطفل منذ ولادته - بل قبل ولادته - فى بيئة فنية انطبعت نفسه على حب الجمال لا يرضى عنه بديلا ونقصد بالبيئة الفنية أن نحيط الطفل بكل ماهو جميل ، فلا تقع عينه الا على المنظر الجميل ولا تسمع أذنه إلا اللفظ الجميل والنغمة الجميلة ، ولايلقى منا إلا المعاملة الجميلة التى تنطوى على الحنان والحب ثم نعلمه منذ صغره فناً من الفنون الجميلة

نحن لانزعم اننا نستطيع بهذه الوسيلة فى بضع سنوات أن نخلق شعبا فنانا بأسره . كأننا نخلقه

بعصا ساحر . كلا ، فان تربية الذوق الفنى فى شعب من الشعوب وجعله متأصلا راسخا فى نفسه يحتاج الى عصور . ولكن العصور فى عمر الانسانية شيء تافه . فاذا تذرعنا بالصبر والمثابرة وصلنا بلا شك الى غايتنا . فعلينا من اليوم أن نضع الخطة الانشائية لهذا العمل الخطير ، نوجه نظر الآباء والأمهات وعلماء التربية والمشرفين على أمر التعليم عندنا بان يصرفوا اهتمامهم الأكبر الى هذه الناحية الهامة . ولنجعل من بيوتنا ودور تعليمنا معاهد للفن الجميل الراقى ، فيتعلم كل طفل مايصبو اليه من غناء أو أو رقص او نحت أو تصوير أو شعر الخ . وهذا التعليم الفنى يجب أن يكون عاما شاملا لجميع تلاميذ المدرسة . فليس غرضنا تكوين فرق فنية خاصة نحصر اهتمامنا فى تعليمها وتدريبها ، لتقوم لنا فى نهاية السنة الدراسية ببعض مناظر من مناظر الاستعراض الرسمية أو القاء بعض القطع الموسيقية تنشدها فى المحافل . بل غرضنا أن يتلقى كل تلميذ من التلاميذ الفن الجميل كما يتلقى علما أساسيا فى برنامج تعليمه يلازمه فى جميع سنى دراسته حتى العليا منها . أما مدارس الفنون الخاصة فلها شأن آخر . فهى لمن يرغب فى أن يتخذ من الفن الجميل مهنة كبقية المهن يتكسب بها . ونحن فى حاجة قصوى الى مثل هذه المدارس ، فمنها يتخرج الأساتذة الذين نعتمد عليهم فى تعليم الفنون فى مدارسنا . وهى أيضا مجال فسيح لمن يريد أن يتفرغ للفن الجميل ويهب له حياته باكملها

هذا ونحن لانريد أن نتعرض لأنظمة التعليم فنفرض قوانين وأنظمة خاصة بتعلم الفنون الجميلة فان هذا من اختصاص علماء التربية والمهيمنين على أمر التعليم . فلنترك لهم الأمر يعالجونه بفطنتهم ولكننا نوجه نظرهم الى شيء جوهرى وهو أن الطالب الذي يتعلم فناً من الفنون يجب أن يعشق هذا الفن . لأنه سيكون هويته الكبرى فى الحياة . فنحن لانريد طلاء من الفن بسيطا اذا ترك تلميذ مدرسته لم يبق منه شيء . بل نريد قوة متمكنة فى نفس الطالب كشجرة راسخة جذورها كلما نما وكبر نمت وكبرت وآتت أطيب الثمر ، فالآباء والأمهات والمشرفون على تعليم الأطفال يمكنهم بدقة ملاحظاتهم لأطفالهم أن يتبينوا فيهم اتجاهاتهم الفنية فى أبسط مظاهرها ، فيعيروها اهتمامهم ويجتهدوا فى تقويتها بوسائلهم المغرية فيجدوا من الطفل استجابة سريعة لهم

وغرضنا من إعداد النشء إعداداً فنياً هو أن نشعرهم بالحب والجمال . فتصفو أذواقهم وتتهذب طباعهم وتتسامى أرواحهم دائما الى المثل العليا فيحيوا حياة راقية كلها سعادة ورخاء

وهناك فكرة خاطئة نريد أن نهاجمها فى بحثنا هذا . وهى زعم فئة من الناس أن حياة الفنان يجب أن تكون مثالا للتشرد . فلانظام ولاجمال ولا نظافة فى ملبسه أو مأكله أو مسكنه . وهذه سبة عظيمة للفن يجب أن نتناصر على إبادتها من الأذهان . لأنها تبث فينا مذهباً من أشد المذاهب تقويضا لسعادتنا

الفنان هو الذى يقدر الجمال ويحبه ويعمل له ، فكيف يرضى بالدمامة مذهباً له فى حياته ؟ .
الفن نظام واتساق ، والفنان هو الجميل فى لفظه ، الجميل فى ملبسه ، الجميل فى مسكنه ، الجميل فى نظام حياته

نريد تكوين أمة فنية باسرها تحس احساساً عميقاً بحبها للجمال – احساساً طبيعياً ليس فيه تكلف ولا ادعاء – نريد مثلا أن يشعر الشخص منا كيفما كانت درجته أن البصق فى الطريق جريمة ضد الجمال ، أو بالأحرى جريمة ضد الخير العام . ضد نفسه وضد بنى وطنه جميعا . نريد أن يشعر الفلاح منا بدافع نفسى طبيعى أن المسكن الذى يعيش فيه لا يصلح أن يكون حظيرة لبهيمته ، وهو المسكن الذي خلا من أى معنى من معانى الجمال . نريد أن يعلم الموسر منا أن حجرة النوم فى منزله يجب أن تضارع حجرة الزوار نظافة وأناقة وترتيبا ، وإلا فهو شخص متهم فى ذوقه منافق يكذب على نفسه وعلى غيره

يجب أن يزهى فى كل بيت من بيوتنا فن أو أكثر من الفنون الجميلة ، فرب مزمار شجى فى دار فلاح صغير أو بيان رخيم فى بيت موسر عظيم أو لوحة فنية فى قاعة من قاعات التعليم ، أعظم نفعاً وأبعد أثرا فى اصلاح الأمة وتقويم أخلاقها من تجريد جيش جرار من المعلمين . الفن أولا ، ثم التعليم ثانياً . لنبدأ بتهذيب الطباع وترقيق المشاعر ، وتحسين الأذواق وصقل النفوس . ثم نعلم بعد ذلك حروف الهجاء . وهل نكون فى هذه الطريقة مخالفين الطبيعة فى عملها ؟ ان الطبيعة وهبتنا الفن أولا ، ثم عنيت بعد ذلك بامر العقل والعلم

علموا الناس كيف يجيدون الغناء والرقص ونحت التماثيل وما الى ذلك من الفنون الأخرى الراقية . فانكم ان فعلتم ضمنتم أن تجدوا لكم شعبا متفائلا ناجحا فى الحياة . شعبا لا يقبل أي لون من ألوان الدمامة فى أي ناحية من نواحى حياته اجتماعية أو سياسية أو شخصية ، شعباً جعل غايته فى الحياة المثل الأعلى للجمال

مميزات الانجليز افرادا وجماعات

للاستاذ محمد كامل سليم

« الرجل الانجليزي لغز من الألغاز » . « والانجليز غامضون غير مفهومين » . تسمع هذه العبارة وتلك فى مصر وفى فرنسا وايطاليا وفى كل مكان تنزل فيه زائراً أو مقيما . والاجماع يكاد ينعقد على أن الانجليز غريبو الأطوار . وأنهم ليسوا كسائر الآدميين من حيث الطابع الخاص الذي يميزهم من غيرهم . ومن حيث الاستجابات التى يظهرونها ازاء المؤثرات الخارجية ومن حيث نظراتهم إلى الحياة

وقد وضع بعض كبار المؤلفين كتبا شتى عن الانجليز ظهرت فى لغات عديدة وكلها تتناول هذا الشعب بالوصف الدقيق . والتحليل والتعليل . ولا أذكر شعباً آخر ظهر فى شأنه مثل هذا العدد من المؤلفات لاسيما فى السنوات العشر الأخيرة

وقد سألنى صديق أن أكتب كلمة عن الانجليز أحلل فيها ما امتازوا به من الصفات الرئيسة والنظرات الخاصة . فأجبته وجمعت طائفة مما عرفته عنهم بالمشاهدة والمطالعة والاختلاط . ورجائى أن يجد القارىء فى بعضها مايدعو للاعجاب أو الاحتذاء ويجد فى البعض الآخر ما يدعو للتفكه والابتسام

ضبط النفس

لعل أظهر ماينفرد به الأنجليزى ويظهر به على غيره « ضبط النفس » ولا سيما فى المواقف المزعجة ، والعواطف المحرجة . فهو فى الحزن الشديد لايعرف الصراخ والعويل . وعند الغضب يتريث قليلا ويصطنع الاناة ، فلا يتكلم أو يفعل شيئا الا وهو مالك لزمام نفسه أتم امتلاك

وبينا نجد المصرى مثلا حساساً شديد الاحساس . يتأثر من الانتقادات فيتألم ومن المجاملات فيبتهج ، نرى الانجليزي فى الجملة بارد الطبع لايتأثر بهذه أو تلك . فلا الانتقاد يزعجه ، ولا الذم يكربه ، ولا المدح يبهجه ، ولا الاقبال عليه يسعده . فهو هادىء النفس هدوءاً عجيبا . ولعل ذلك فى مرده يرجع الى سببين : الأول ضبط النفس والثانى شعوره الغامض بأنه فوق كل نقد وكل مديح

الغرور

يشعر الانجليز جميعا ومن غير استثناء بين المحافظين والعمال والأحرار أنهم ممتازون من سائر الآدميين . وقد سمعت فى انجلترا رجلا يقول « ان الله خلق الانجليز وبلادهم بنفسه . وترك خلق باقى الدنيا ومن فيها لمرؤوسيه »

ويعتقد الانجليزى أن القضاء الانجليزي أعدل قضاء ، والسياسة الانجليزية أكرم سياسة . والطعام الانجليزي أصح طعام ، والجمال الانجليزي أفتن جمال . والمصنوعات الانجليزية أجود المصنوعات . وفى الجملة كل شىء انجليزى غاية الكمال وآية الآيات وهذا هو الغرور القومى فى جلى مظاهره ، وله عيوبه وله مزاياه . ولست الآن بمقام الأفاضة فى هذه أو تلك

المحادثة

يحاذر الأنجليزى أن يتحدث عن نفسه وعن شؤونه الخاصة . ويري أن استعمال كلمة « أنا » فى الحديث من الأمور التى لاتليق . فاذا اضطر إلى ذلك اضطراراً لم يكثر وإنما تراه يوجز إيجازاً ينطوى على الأسف المكتوم ، والحرج المكظوم . ولعله يعتبر نفسه وكل مايمت اليها بصلة عن قرب أو بعد سراً من الأسرار التى يجب اخفاؤها عن الناس وهو لذلك ينفر ممن يضطره الى الكلام عن نفسه وعن شؤونه الخاصة . ويفضل ألف مرة أن يجرى الحديث فى الشؤون العامة أو فى شئونك الخاصة اذا شئت ولم تر مانعا . وأذكر كلمة لأديب فرنسى قالها فى هذا الصدد « ان الأنجليز لايعرفون الثرثرة لأنهم لايتحدثون عن أنفسهم وشئونهم الخاصة »

التحفظ وعدم المبالغة

لم نسمع قبل أن نتصل بالأنجليز أحداً يقول « أكاد أميل إلى الظن » حين يقول غيره فى الأمم الأخري « أعتقد بكذا وبكذا » فالانجليزى هنا لايعتقد ولا يظن ولايميل إلى الظن وإنما يكاد يميل إلى الظن ، وهذا تحفظ غريب واحتراس أغرب . ولاشك أن التحفظ والتحفظات ووزن الكلمات من خصائص الرجل المتمدين المثقف الذى يعتبر الألفاظ كأنها قطع من الذهب لايجوز الاسراف فيها . بينما الرجل الساذج يظل على الفطرة ويرى الكلمات مجرد حروف . والجمل مجرد كلمات مرصوصة الاسراف فيها لايفقر ولا يسىء بل قد يغنى وينفع

ومن مظاهر هذا التحفظ العجيب أن الانجليزي لايطيق الدخول فى محادثة مع من لايعرفه ،

ولا التبسط مع من لايثق باخلاصه ، وهو يسيء الظن بكل غريب عنه

ولعل أظرف ما قرأته بهذا الصدد أن أستاذاً أجنبياً فى إحدى الجامعات الانجليزية دعى إلى حفلة عشاء ساهرة فى منزل أحد اللوردات بالريف . ركب صاحبنا الاجنبي القطار ، وما استقر فى مكانه حتى أبصر أمامه انجليزيا ظهر له من ملابسه أنه متجه مثله الى نفس الجهة . وقدحاول الاجنبي مرارا أن ينتهز الفرصة للتكلم معه فلم يستطع إلى ذلك سبيلا لأن الانجليزى ظل مكبا على كتاب يطالعه ساعة كاملة حتى وقف القطار ونزلا معا . وسار الانجليزي فى طريقه لايلوى على شيء وبعد قليل لحق به الاستاذ الاجنبي وسأله فى أدب جم عما اذا كان الطريق الذى يسير فيه مؤديا الى منزل اللورد « فلان » ! فنظر اليه الانجليزى شزراً وتفرس فيه قليلا وقال : « يمكنك أن تتبعنى » فسارا معا حوالى ربع ساعة من غير أن ينبس أحدهما بكلمة إلى الآخر حتى وصلا . فشكره الاجنبي ولم يلق رداً سوى ابتسامة خفيفة وهزة بسيطة من رأس الانجليزى . ويشاء الله أن يجلس الرجلان جنبا إلى جنب فى أثناء العشاء بعد أن أجرى صاحب الدعوة مراسم التعارف بينهما . حينذاك فقط أخذا يتحدثان واستمر الانجليزى فى الحديث معه السهرة كلها . وخرج الاجنبي مذهولا من فرط الدهشة لان صاحبه الانجليزى لم يشر بكلمة واحدة إلى سفرهما معاً وسيرهما معا . كأن كل ماسبق فترة التعارف الرسمية شيء لم يكن

العقليـة الانجليزية

للانجليز عقلية فريدة فذة تنفر كل النفور من النظريات والمبادىء الجامدة . ولا تقيم وزنا الا للماديات والنتائج العملية . وهذا الخلق فيهم قد أوقعهم وسيوقعهم دائما فى كثير من المتناقضات . مثال ذلك :—

فى الحكومة الانجليزية كل مميزات الجمهورية ولكن على رأسها ملك

رأينا وزارة انجليزية قومية كثرتها الساحقة من المحافظين وكان رئيسها زعيم الاشتراكيين المستر رامزى ماكدونالد سنوات عديدة

رأينا مؤتمر نزع السلاح وعلى رأسه النائب المستر هندسون ومن أعضائه رئيس الوزارة الانجليزية نفسه . ووزير الخارجية الانجليزية كذلك

والانجليز فى الواقع لايبالون الوقوع فى المتناقضات . لانهم يدينون بمبدأ واحد دونه سائر المبادىء على الاطلاق . وهذا المبدأ هو « الحصول على أحسن النتائج الممكنة » وفى سبيل هذا المبدأ المقدس يضحون بكل نظرية . وكل تقليد وكل منطق وكل حجة معقولة مقنعة

وهناك نواح أخر للعقلية الانجليزية تجعلهم يخشون حدة الذكاء ويفضلون عليها قوة الشخصية . وتجعلهم يتشككون فى الاجنبي وكل شيء أجنبي

وإذا عاملت الانجليزي ببرود وحفاوة معتدلة جداً احترمك وأكبرك

وإذا لجأت إلى الثرثرة معه ، والتحمس فى الاقبال عليه احتقرك احتقارا مكتوما ونفر منك

حب النظام والمقدرة على التنظيم

هاتان ظاهرتان ناميتان عند الانجليز نموا يدعو إلى الاعجاب حقا . وكأني بهم لم يتركوا ناحية من نواحي الحياة من غير أن يحددوا جوانبها . وينظموا القواعد التى تقوم عليها . ويرسموا الخطط التى تسير فيها . ولذا نرى الشعب الانجليزى ، أفرادا وجماعات ، أقل الشعوب عرضة للمفاجآت

وقد وضعوا قواعد ونظماً للاكل والشرب ، والرياضة والالعاب ، والاجتماعات ، والمقابلات والزيارات ، والبطاقات ، والمآتم والافراح ، والمناقشات والمخاصمات ، والمكاتبات والمخاطبات ، وكل مظهر من مظاهر النشاط الانساني . فهم لايسكنون ولايتحركون إلاوفق قواعد معينة كأنهم جيش منظم أتم تنظيم . لايشذ عنهم شاذ بل لعلهم يسرفون فى حب التنظيم ويبلغون فيه حداً من الترمت والتزام مالا يلزم يضيق به الصدر فى بعض الاحايين . فهم مثلا لايقبلون على الحديث مع أحد إلا بعد أن تجرى بينهم وبينه مراسم التعارف التى وضعوا أصولها واتفقوا عليها فاذا لم يقدمك أحد الى انجليزي فثق بأنك ستظل بعيدا منه ، غريبا عنه لاتستطيع أن تستفيد منه شيئا وكثيرا مايسافر الرجلان منهم فى عربة واحدة فى السكك الحديدية مسافات طويلة ، ولاينبس أحدهما بكلمة للآخر خلالها ، كما رأينا آنفا . وكثيرا ماتعيش أسرتان انجليزيتان عيشة الجوار ، وتظلان من غير تزاور أو أقل اتصال سنوات عديدة حتى يتيح الله لاحداهما من يعرفها بالأخرى . ومالهذا كله من سبب الا لأن « عملية التعارف » التى نظمت على شكل خاص لم تجر فى مجراها المعروف

وأما مقدرة الانجليز على تنظيم الاعمال العامة : فى الجمعيات والاحزاب والبرلمان واللجان ودور الحكومة وما اليها فمما يعترف بكمالها ألد أعدائهم وهم راغمون وحاسدون

اخفاء العواطف

يكاد الانجليزى يشعر بالاهانة والتحقير إذا قلت له « أنت رجل عواطف »

وليس معنى ذلك أن الانجليز لايحسون ولايشعرون . كلا . ففيهم من يحب حتى الهيام ، ومن يغضب أشد الغضب ، ومن يكره كراهة التحريم ، وانما اعتاد الانجليز جميعا كتم عواطفهم

وشهواتهم ، وكبح جماحها كبحا لامثيل له . فالمحب الولهان لايظهر إلا حبه لحبيبته ، ولايتحدث به فى المجالس . وهكذا الحاقد والكاره ، والساخط والناقم ، لايظهر أحدهم ماينم عن عاطفته حتى تحين له ساعة العقاب والانتقام

والانجليزى يحب أن يوصف بالعقل لابالعاطفة . إذ العاطفة فى نظره ضعف وخور . وأما العقل وضبط النفس وكتمان المشاعر فعناصر الرجولة الكاملة ومميزات الرجل المثقف الذى يجوز الاعتماد عليه والاطمئنان اليه ان كنت صديقه ، والذى يجب عليك الحذر منه أشد الحذر ان كان عدوالك

المساومة

الانجليز ميالون إلى المساومة فى شئونهم العامة . فتراهم فى السياسة الدولية مثلا يتقدمون دائما برغبات وطلبات معينة ثم ينزلون عن بعضها فى أثناء المحادثات أو المفاوضات طمعاً فى أن الطرف الآخر ينزل عن بعض رغباته وطلباته . وهكذا يلتقى الجميع فى منتصف الطريق . ومهارتهم الفذة قائمة على حسن تقسيمهم لمطالبهم فعندهم مطالب ينزلون عنها بسهولة فيخلقون بذلك جواً صالحا ويثبتون بها حسن استعدادهم للتفاهم وعندهم مطالب ثانوية ينزلون عنها بعد مناقشات ومجادلات وتسويفات وتهديدات . وعندهم مطالب أساسية حيوية لاينزلون عنها ولو أدى ذلك إلى الحرب . ولهم فى ذلك كله طرائق فى الدهاء والسياسة والملاينة يخفون وراءها نياتهم ومطامعهم اخفاء تاما ويكشفون بها ماعند خصومهم من مثيلاتها . والعجيب فى أمر هؤلاء القوم أنهم يخرجون دائما من كل مساومة دولية بنصيب الاسد

الحياة البيتية

لا أظننى أعرف أمة من الأمم تقدس هذه الحياة كما يقدسها الانجليز . ولا أظننى أعرف لغة من اللغات فيها معادل لكلمة Home الانجليزية . فهى كلمة تنطوي على كل معانى الحب والراحة والحنان والمتاع الحقيقي والاطمئنان الذى ليس بعده اطمئنان . وهذه الميزة عند الانجليز ان دلت على شىء فانما تدل على أن حياة الأسرة عندهم حياة هنيئة سعيدة فى مجموعها . لأنها قائمة على الحب والتعاطف والنظرة المشتركة إلى الحياة ، والتعاون البعيد المدى بين الزوجين . والانجليز الذين يعيشون فى المستعمرات وفى البلاد الأجنبية يعتبرون انجلترا كلها « بيتهم » فلا يصرحون بلفظ انجلترا وانما يذكرون كلمة « هوم » تلك الكلمة الحبيبة الى قلوبهم والتى تنطوى على كل ماذكرته آنفا من رقيق المعانى

تقديس الرياضة البدنية

يمتاز الانجليز من قديم الزمان بحب الألعاب الرياضية على اختلاف أنواعها حباً لامثيل له ولقد نقلت هذا الحب عنهم أمم كثيرة أخص بالذكر منها أمريكا وفرنسا وألمانيا وايطاليا حتى أصبح هذا الجيل يمجد الرياضة البدنية ويتهالك عليها وأنشئت من أجلها مجلات عديدة وأصبحت الرياضة من الموضوعات الأدبية العصرية الجديدة

ولدى الانجليز من الالعاب الرياضية أنواع شتى تتلاءم مع جميع الاعمار . فكرة القدم والرجبي والبولو والتنس للشبان الاشداء ، والجولف والكريكت والصيد وما إلى ذلك مما هو أقل عنفا ولايقل امتاعا ، عند ماتتقدم بالشباب السنون

ولن أنسى ماحييت مباراة لكرة القدم شهدتها فى انجلترا سنة ١٩٢٩ وكانت بين أقوى فرقتين (الترسانة وهدلسفيلد) كان اليوم بارداً شديد البرودة والمطر منهمراً باستمرار من الصباح الباكر حتى أصبحت أرض الملعب كالمستنقع تغوص فى حشائشه الاقدام . وكان عدد المتفرجين لايقل عن خمسين الفا وكلهم جالس فى العراء والمطر متساقط عليهم . وأما أنا فكنت فى مكان ممتاز مع صاحب الدعوة « وكان عضواً فى البرلمان » جلسنا فى بناء مدرج مغطى اتسع لمقاعد بضع مئات من كبار المتفرجين المدعوين وفى الموعد المحدد تماما دخلت « جوقة الموسيقا » أرض الملعب وصدحت بالسلام الملكى المعتاد تحت المطر وكان أشد مايكون انهمارا . ثم خرجت مبللة ونزل الفريقان إلى الميدان ولم تمض بضع دقائق حتى أصبحت الكرة واللاعبون جميعا من غير استثناء كتلا مبللة من كثرة السقوط على الارض ومن كثرة المطر الذى ازداد شدة . فملت إلى صاحبي وهمست فى أذنه سائلا « هل تظن أنهم يستطيعون الاستمرار على هذا اللعب حتى النهاية وفى هذه الظروف القاسية » فاجاب فورا ومن غير أقل تردد « بالتأكيد . لاشيء يمنع استمرار هذه المباراة إلا موت اللاعبين » فضحكنا معا . ضحكت من فرط الدهشة ولعله ضحك من غرابة السؤال . واستمر اللعب ساعة ونصف الساعة والمطر نازل كأفواه القرب . وخرجنا وأنا معجب بهذه العزائم الحديدية التى تمثلت فى اللاعبين والمتفرجين على السواء

السياسة

ينظر السياسى الانجليزى إلى السياسة كما ينظر إلى الالعاب الرياضية فهو يمارسها مع شيء من ضبط النفس . فلا مهاترات ولاحزازات ولا أحقاد . وترى العضوين من مجلسين مختلفين يتنازعان فى المجلس أشد نزاع . ويتناقشان ويختلفان فى نظرهما إلى الموضوع الواحد أشد خلاف ثم يخرجان

من الجلسة إلى حفلة ساهرة يتحدثان فيها أشهى حديث . أو إلى أحد الملاعب فيلعبان الجولف أو التنس فى خفة ومرح . فالسياسة فى نظرهم مسائل عامة لادخل فيها للعلاقات الشخصية والاعتبارات الفردية

والسياسة خطط ومباديء وعقائد ، وأعمال وخير السياسات عند الانجليز ما أنتجت أحسن النتائج بالنسبة للمصالح الانجليزية ... ومما يسترعى النظر فى انجلترا أن السياسة تكاد تكون محصورة فى دائرة صغيرة من رجال الصحف والحكومة والبرلمان . وأما كثرة الشعب فانها تجهل الشئون الخارجية ولا تعبأ بها . ولكنها مع ذلك تطيع زعماءها ورجال السياسة طاعة تكاد تكون عمياء . ولعل هذا سر من أسرار النظام والتقدم الاجتماعى . وانصراف كل طائفة الى ماتتقنه وتحسنه

المساواة

بينما الفرنسى مثلا يؤمن بنظرية الحرية والمساواة ، ترى الانجليزى يؤمن بنظرية الحرية وعدم المساواة . فهو يقدس الحرية فى جميع مظاهرها . ولكنه يرى إلى جانب ذلك أن الشعب طبقات :— الأسرة المالكة . الطبقة الارستقراطية . الطبقة الغنية فى عالمى الصناعة والتجارة والمال . والطبقة المتعلمة البورجوازية . وطبقات العمال الصغيرة . كل طبقة من هذه الطبقات تنظر الى التى فوقها بعين الاعجاب والاحترام . وتحاول تقليدها فى كثير من أفعالها وخصالها : فى قناعة مدهشة ومن غير تمرد ملحوظ

النفاق

عند الانجليزى الصراحة سيدة الصفات جميعها . فهو يصطنعها فى معاملاته الشخصية ، ويباهى بها ويفاخر ، ويعدها مظهراً من مظاهر الشجاعة واحترام النفس ولكنه مع ذلك يصطنع النفاق إلى حد غير قليل ، وهو لا يعتبره نفاقا وانما يراه من مستلزمات الأدب والمجاملة . ومظهراً لامندوحة عنه من مظاهر الرقى والمدنية

فاذا لعبت التنس مثلا معه وأخطأت الرماية سمعته يتأسف لعدم توفيقك . وأحرى به أن يستشعر الغبطة بما كسب

حب الانجليز للحيوانات

لا أظننى مبالغا اذا قلت أنى لا أعرف بين شعوب الأرض شعبا يحب الحيوانات ويرعاها بالرحمة والعناية كما يفعل الانجليز . فالكلب فى المنزل له مكان ممتاز . وكثيرا ماسمعت من بعض الانجليز والانجليزيات أنهم لايفرطون فى كلابهم وقططهم بأى ثمن كان . وكثيرا مارأيت بعضهم

يتألم أشد الألم مما يرونه من القسوة الواقعة على الحمير والخيول والجمال والخراف فى مصر . وكثيراً مارأيت سيدات يستوقفن بعض السائقين اذا رأينهم يضربون دوابهم أو يرهقونها بالأحمال الثقيلة

وفى انجلترا مستشفيات للحيوانات على اختلاف أنواعها كما أن فيها حركة شديدة عنيفة ضد الاطباء الذين يجرون تجاربهم الجراحية فى بعض الحيوانات ، وكثيرون من الانجليز يعدون عمليات التشريح والتجارب فى أجسام الحيوانات الحية فظاعة ووحشية لاتطاق . ولعل أظرف ما قرأته لأحد الكتاب الأجانب فى سبيل تعليل هذا الحب المفرط للحيوان قوله « ان أوجه الشبه كثيرة بين الانجليز والحيوانات فكلاهما يحب السكون والعزلة ، وكلاهما لايحب الكلام »

علاقة الوالدين بأولادهم الكبار

فى انجلترا هذه العلاقة هزيلة ضئيلة . فان الأولاد متى شبوا وكبروا تركوا آباءهم وأمهاتهم واستقلوا بحياتهم . وسافروا إلى أقاصى الأرض متى أتيحت لهم الفرصة . ولا يمكن أن يفكر انجليزى فى تزويج ابنه أو ابنته والاقامة معها أو معه فى شقة واحدة أو منزل واحد . بل يرى الانجليز أن هذا مما لايتفق مع الحرية والاستقلال وسعادة الزوجية

تدين الانجليز

الانجليز مسيحيون . يدين أغلبهم بالمذهب البروتستانتى . وليس للتعصب الدينى أقل أثر فى انجلترا . ولقد وصفهم أحد الكتاب الهولنديين قائلا « الانجليز كفار يزورون الكنائس . وعباداتهم لاتتجاوز حركة الشفاه » ولكنى أخشى أن فى هذا الوصف اسرافا غير قليل . على أنه مما لاشك فيه أن لدين فى نظر الانجليز لايعدو أن يكون علاقة بين الانسان وخالقة . واذن من السخف ان يقع بين الناس خلاف أو تطاحن بشأنه . ومما يدل على أن الوطنية عند الانجليز أسمى من الدين فى نظرهم أن الاقلية الانجليزية الكاثوليكية لم تتردد قط فى الانضمام إلى الحكومة الانجليزية البروتستانتية عند مانشب خلاف بينهما وبين البابا فى روما وهو زعيم المذهب الكاثوليكى فى العالم

الفكاهة الانجليزية

الفكاهة عند الانجليز لها طابع خاص . وهى تمتاز فى الغالب بالايجاز والجفاف مع شىء كثير من السخرية وقد أطلقوا عليها وصف Dry humour وهو مالا نستطيع أن نطلقه على « الفكاهة الفرنسية » التى تمتاز بالخفة المفرطة احيانا

والانجليز يفاخرون باقى الشعوب بأنهم أقدر الناس على النظر إلى الأمور من نواحيها المضحكة ويحتقرون من كان محروما من هذه القدرة أو هذه الموهبة . ويرون أن هذا الحرمان دليل الغباء وكثافة الروح وثقل الظل

وانى أسوق الآن بعض الأمثلة لهذه الفكاهة المنتشرة بين الطبقات والطوائف والتى كثيرا مايسمعها الانسان على ألسنة رجال الحكومة والبرلمان أو المحاماة وعامة الشعب

سأل رجل صاحبا له

— هل أكون رساماً أو شاعراً

— أنصحك أن تكون رساما

— هل رأيت بعض صورى ورسومى

— كلا ولكننى رأيت بعض شعرك

* * *

محاميان تراشقا بالتهم والسباب والشتائم فى المحكمة أمام القاضى فلما انتهيا قال القاضى : الآن وقد فرغ كل منكما من وصف صاحبه كما يحب ، أطلب الدخول فى موضوع القضية

* * *

سأل مدرس : ماهو الهيكل العظمى

تلميذ : هو شخص داخله خرج وخارجه زال

* * *

قال أحد المحاضرين : الزواج يمنع الانتحار

فصرخ أحد السامعين قائلا : والانتحار يمنع من الزواج

* * *

كان المستر تشرشل وزيراً للمالية فسأله أحد النواب بمناسبة ماتدفعه الحكومة الانجليزية إلى أحد أمراء الهند على ما أذكر . وكان المبلغ لايقل عن خمسين الف جنيه سنويا

النائب — ما الذى يعمله هذا الأمير للحكومة الانجليزية حتى يستحق هذا المبلغ الكبير

مستر تشرشل — اننا ندفع اليه هذا المبلغ لا للعمل الذى يعمله وانما من أجل العمل الذى لايعمله

كان لورد بركنهد محامياً فذاً قبل أن يشتغل بالسياسة ويصل إلى مركز الوزارة

أخذ مرة فى مناقشة شاهد متحامل على موكله حتى ضاق به ذرعا وأراد احراجه

فقال بركنهد — هل أنت سكير مدمن على الخمر

الشاهد غاضبا — هذا شأنى أنا ولا دخل لك فى ذلك

بركنهد — هل لك فى الحياة شأن آخر غير هذا « فضحك الحاضرون »

نشوء الاسرة وتطورها

تتعدد النظريات عن نشوء الأسرة . غير أن أسباب هذا النشوء تنحصر فى الغريزة والعادة والميل والائتناس

والزواج ليس إلا ارتباط بين الذكر والانثى قد يطول أو يقصر ويستمر مدة الحمل وبعد ولادة الطفل — والزواج والعائلة مرتبطان ارتباطا قويا . فمن أجل منفعة الطفل يجب أن يستمر الذكر والانثى فى حياتهما معاً . والزواج متأصل فى الاسرة وفى الزواج

فردية الزواج وتعدده

أول دور للزواج هو دور الاباحة المطلقة والمسافحة الخالية من كل قيد ونظام وفى وسط هذه الفوضى التى تكاد تكون مطلقة لايخلو الامر من أن يستأثر بعض الرجال ببعض النساء ويمنعونهن عن غيرهم ولو بالقوة أو يقصر رجل نفسه على امرأة مخصوصة أو على بعض نساء وبعبارة أخرى كانت جميع أنواع الزواج من تعدد الازواج والزوجات والاقتصار على زوجة واحدة موجودة

وحيث ينعدم التساوى فى النسبة بين الجنسين ويقل الغذاء وتقسو الطبيعة تتزوج المرأة بعدة رجال ليتعاونوا جميعا على العناية بالطفل والاهتمام به وذلك لأن رجلا واحداً غير قادر على القيام بشئون الطفل بل لابد لذلك من تآزر رجال عديدين وإلا هلك الطفل

ولا ريب أن ترقى الملكية وعادة الفتح حصرت الاشتراكية النسائية وضيقت دائرتها شيئاً فشيئا

ولا يوجد نظام تعدد الزوجات إلا حيث يزيد عدد النساء على عدد الرجال زيادة عظيمة بسبب الحروب أو لان المواليد من الاناث أكثر من المواليد الذكور لاسباب طبيعية غير اعتيادية . ويرجع تعدد الزوجات فى أصل وجوده إلى أسباب عديدة أولها ان الرجل البسيط لا يستطيع الامساك عن الاتصال بزوجته لذلك يمارس تعدد الزوجات لان وحدانية الزوجة تتطلب منه أن يبتعد عنها زمنا معينا كل شهر وكذلك فى أثناء الحمل والرضاعة . ومما يساعد على ذلك تعدى القبائل الحربية على جيرانها لسلب الاموال وسبي النساء وتفوق بعض الافراد جسمانيا وعقليا وتفردهم بالحظوة والجاه وأخذهم كل امرأة تعجبهم من القبيلة اقتسارا

وكذلك من أسباب تعدد الزوجات استخدام المرأة فى الاعمال الشاقة وذلك ان الرجل فى بعض البلاد لا يزاول عملا غير الصيد والقتال والمرأة هى التى تقوم بكل الاعمال الاخرى فيقتنى الرجل من الزوجات بقدر طاقته ليستخدمهن فى أعماله ويستثمرهن فى انماء ثروته وكلما كثرت نساؤه ازداد غنى وخف بالتالى الحمل الملقى على عاتق كل منهن

ولا شك فى أن ترق الهيئة الاجتماعية أدى إلى الاكتفاء بزوجة واحدة ولان عدد الرجال كان مساويا لعدد النساء فى الغالب . هل يبقى نظام وحدانية الزوجة هو النظام الوحيد المعترف به عند الشعوب المتمدينة ؟ لقد أجاب الاختصاصيون على هذا بطرق شتى فمنهم من أجاب بالنفى كالدكتور « لى بون » إذ يرى أن القانون الغربى سيحل نظام تعدد الزوجات والاستاذ الرنفلز يقول ان ممارسته ضرورية حفظا للجنس الآرى . ويعتقد وستر مارك ان الانسانية إذا سارت فى طريقها الحالى كأن تعمل قوانين وحدانية الزوجة عملها . وكأن يزيد شعور الرجال بوجوب مراعاة الجنس الآخر وكان يزيد حق المرأة فى التشريع ، إذا ظل هذا كله فلن يتغير النظام الحاضر والمشاهد ان الميل يزداد للتزوج بدافع المحبة لا بواسطة التقاليد والقوانين التى تعتبر الزواج كعقد شراء

الزواج الداخلى والزواج الخارجى

فى الجماعات الفطرية تضيق الدائرة التى يجوز للرجل أن يختار منها امرأته . ومن أقدم أنواع التضييق تحريم الزواج من نساء القبيلة واباحته من نساء القبائل الاخرى وذلك لا يكون الا بالسبى والخطف . ومنشأ تحريم الزواج من بين نساء القبيلة يرجع الى ما غرسته الطبيعة فى الانسان من حب بقاء النوع والمحافظة على النسل من الضعف والتلاشى وذلك أن تعاقب الزواج من الاقارب يورث العقم ويمنع التناسل ومن القواعد « الاكسوجامية » التى تمنع أعضاء جماعة معينة من الزواج بأشخاص معينين ممن ينتسبون اليها ، الزواج من بعض الاقارب وكلما زادت القرابة زاد المنع وقد محت المدنية تقريبا الزواج الخارجى حتى أصبح كل جنس تقريبا يعتبر الاصهار الى جنس آخر من العار ان لم يكن من الاجرام

لقد أصبح الزواج الداخلى (Endagamy) غالبا بتأثير الاديان واللغات وغيرها من الفروق المتباينة . غير ان المدنية الحديثة عملت ولا تزال تعمل على محو الاختلافات الموجودة بين الدول والاجناس وعلى ازالة الحواجز القائمة بين الطبقات والاديان . ومن هنا أصبحت القواعد الاندوجامية أقل ظهورا وأضعف حدة باتساع الحدود التى يستطيع الرجل والمرأة أن يتزوجا فيها .

ومن هنا كان التزاوج بين الناس دون نظر الى الجنس أو الدولة أو الدين يساعد على زيادة السلم فى العالم ولو انه يعدم فى الوقت نفسه هذا السلم فى الاسرة

السلطة الابوية والاموميه

الجماعات التى تعيش على السفاح أو التى تمارس نظام تعدد الزوجات لا يعرف الطفل فيها الا أمه. وقد سمى منذ وجدت الاسماء باسمها وورثها وحده من يوم نقلت الملكية من شخص الى آخر. ولما توثق نظام الامومة صار الاخوال أقرب الاقارب الى الطفل لانه لا يعرف أباه فكانوا يعاملونه معاملة الوالد. لذلك كانت قرابة الام قصيرة المدي لا تمتد إلا الى جيل أو جيلين ثم تنقطع. ويكون الاولاد حينذاك مهملين لعدم الاكتراث بهم والعناية بتربيتهم وترك كل ذلك على عاتق المرأة

والزواج بأكثر من امرأة يستلحق النسب فيه بالآباء وفاقا لحقوق التملك وتأييداً لسلطة الرجل على المرأة فيكون الاب فى هذه الحالة صاحب الملك الذى لا ينازع فيه ليس على الام فقط بل على الاولاد أيضا. واصبح خضوع الابناء تاما غير ان تربية الطفل كانت مشتركة ايضا العناية المرأة

وقد أدى نظام اتخاذ الزوجة الواحدة الى تفوق الأمومة وسيادة رب الأسرة. وأصبحت الرغبة قوية فى قلة النسل فبعد أن كانت الاسرة الكبيرة تساعد الرجل على الفوز فى تنازع البقاء أصبحت عيالا عليه. ولم يصبح أقارب الانسان هم اصدقاؤه وحدهم وارتقت الزوجة ولم تعد عاملة فقط لأن الادوات والحيوانات بل الآلات أيضا أصبحت تقوم بكل ما كانت تقوم به ثم ارتقت عاطفة الحب وتهذبت وأصبحت أكثر ميلا إلى الايثار منها الى الاثرة. وأضحى العقل المثقف يرى فى الشباب والجمال شيئا أرقى من الرغبة الجنسية كما ان شخصية الفرد أخذت تنمو الى أقصى حد بينما أخذت تندمج الاسرة تدريجيا فى نظام الدولة

نظرة عامة

اذا تأملنا فيما سبق ندرك أن الضرورات المحلية هى التى اقتضت عند الشعوب المختلفة كل ماهو مخالف لآرائنا الحالية من مثل زواج الاخ باخته وزواج المتعة والزنا المباح. ومهما اختلفت الاشكال التى كيفت بها القوانين المدنية أو الدينية أو العادات روابط الذكور بالاناث فالظاهرة العامة التى يراها الباحث فى كل مكان اعتبار المرأة كشىء امتلك بالحيازة. فعقد قران الجنسين مهما اختلفت أوضاعه وشمل تعدد الازواج أو الزوجات أو الزوجة الواحدة ما كان إلا عقد عبودية للمرأة واذا أغفلنا الازمنة التى سبقت التاريخ ولم نعد إلا الى الخمسين أو الستين من القرون التى قضتها المرأة رازحة تحت هذه العبودية فلسنا نجد بداً من القول بان طول هذا العهد قد اعتاق ترقى عواطف المرأة وذكاءها فقد احتفرت مضاعفات الوراثة من القدم هوة عقلية بين الرجل المتحضر وبين المرأة تحتاج فى ردمها الى كثير من الزمن

أحمد زكى بدوى

الرقص المصرى القديم

وضعت الآنسة أرينا ليكسوفا كتابا عن الرقص المصرى تبلغ صفحاته ١٩١ من القطع المتوسط وهذه الآنسة المؤلفة هى راقصة تشكوسلوفاكية . وأبوها الدكتور ليكسا هو أستاذ للمصرلوجية فى جامعة براج عاصمة تشكوسلوفاكيا . وقد درست عليه تاريخ الفراعنة والتفتت التفاتا خاصا إلى الرقص إذ هو حرفتها . وكثيراً ما كانت ترى راقصات يؤدين ما يسمينه « الرقص المصرى » وهو فى الحقيقة من مبتكراتهن التى لا تتصل إلى أى اتصال بالفن المصري القديم أو هى تتصل فقط عن طريق الاستلهام لهذا الفن . فان الراقصة كانت تنظر إلى الصور المصرية ثم تتخيل رقصة تؤديها وتحسب أنها تقارب أو تطابق ما كان يؤديه المصريون من الحركات

ولكن الآنسة أرينا ليكسوفا عنيت بجمع الصور المختلفة للرقص من النقوش المصرية وقد بلغت فى كتابها ٧٦ صورة تحتوى أكثر من ١٢٠ وضع لأن بعض الصور يحتوي بضعة أوضاع رقصية

وهذا الكتاب ألفته الآنسة الراقصة وقدمته للمعهد الشرقى فى براج . وقد نقل إلى الانجليزية

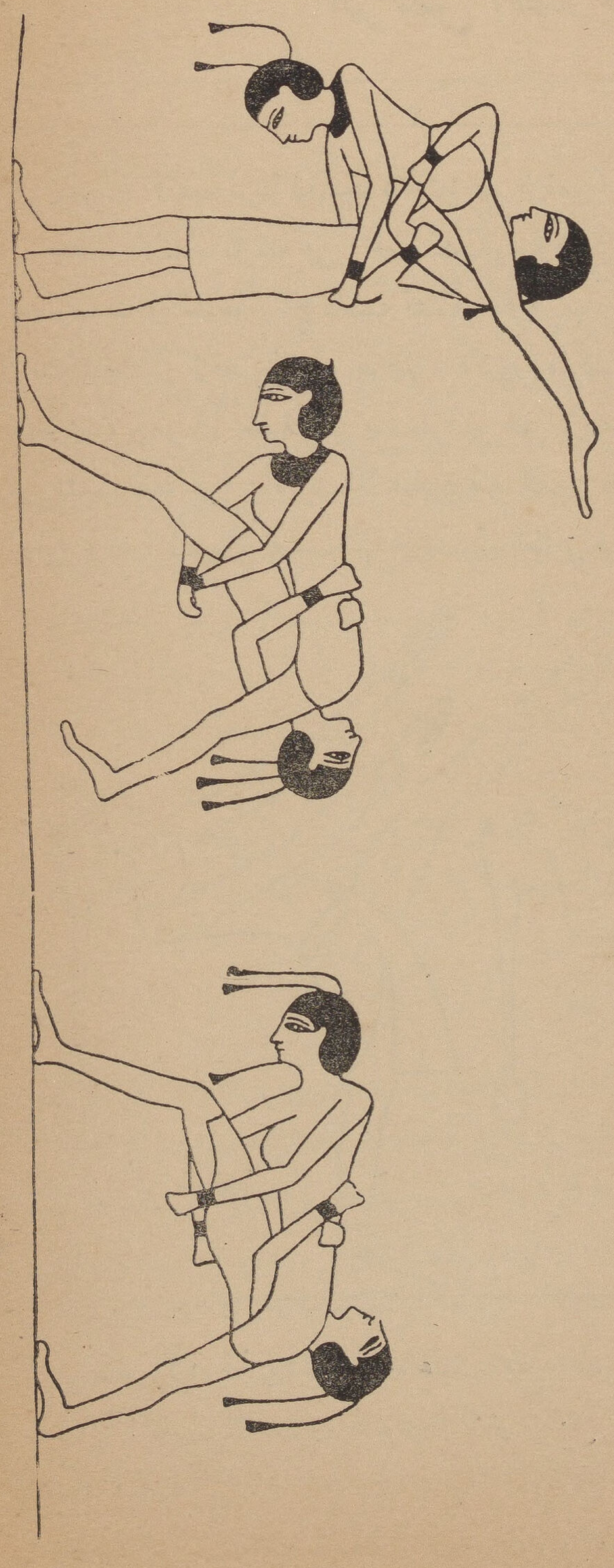

وتكرمت باهداء النسخة الانجليزية الينا

وقد مهدت لمجموعة الصور الشائقة بشرح واف يستغرق ٨٠ صفحة قالت فيه ان الرقص المصرى القديم كان بعيداً عن ما يفهم الآن مما يسمى الرقص الشرقى اذ لم تكن الحركات قائمة على التكسر والتراخى بل كانت أشبه بحركات الرقص الأوربى الحديث من حيث نشاط الحركة وعنفها واقترابها من الحركة البهلوانية . والحق أن الصور العديدة تؤيد ذلك . ففى واحدة منهن ترفع الراقصة قدمها الى أعلى وقد انحنى ظهرها الى الوراء ولما تبلغ يداها الأرض وهى فى هذا الوضع المعجز وقفت راقصة أخرى على بطنها . ومثل هذا لا يتفق إلا لبهلوان قد درب عضلاته تدريبا طويلا . وفى صورة أخرى نرى الشاب يرقص مع الفتاة رقصا مسرحيا فيحملها ويديرها من أعلى الى أسفل على نحو ما نفهم من الرقص الروسى . وفى صورة أخرى قد وقف شابان وأمسك كل منهما بفتاتين الشابان واقفان والفتاتان تلتقيان بقدميهما ثم تستلقيان الى الخلف ولا يمنعهما من بلوغ الأرض سوى أيدي الشابين

وكان الرقص المصري يحتاج الى تدريب طويل وليس فى الصور وهى تبلغ ١٢٠ امرأة سمينة او رجل سمين . لأن الرقص كان مرانة رياضية شاقة تقارب الحركات

البهلوانية . وكان يجري جماعة أو انفرادا أو ازدواجا . وكان يؤدي للتعبد أمام الآلهة وفى الأعياد.

وقد أخذ اليهود الرقص الدينى عن المصريين

وكلنا يذكر فى المزامير ان داود كان يرقص للرب . وكان الراقصون والراقصات يحملون الآلات الموسيقية أو يرقصون بدونها . وكانت الفتاة الراقصة تتخذ لباسا رقيقا وأحيانا تتخذ لباس الرجل المتحضر لكى تبدى محاسن جسمها . وبعض الراقصات يبدين فى الصور عاريات لا يسترهن شىء ولكن المؤلفة تستبعد ذلك وتعتقد أن الرسام أراد أن ينقل الجسم البادى تحت اللباس الرقيق . وقدأ كدنا للقاريء ناحية العنف والقوة فى الرقص المصرى ولكن كثيرا من الاوضاع يدل على الرشاقة المتناهية . ومع ان الاحتفالات الدينية كانت على الدوام يرافقها رقص جماعى أو انفرادى ، حتى فرعون نفسه كان يرقص ، فان الرقص كان أيضا يؤدي فى اجتماعات أخرى غير دينية . وكانت بيوت الأغنياء تقتنى العبيد والأماء للرقص

وقد عنيت المؤلفة الآنسة أرينا ليكسوفا بتأدية بعض الرقصات المصرية كما تراها ممثلة فى الصور

ونحن نعتقد أن هذا الكتاب جدير بأن ينير الأوربيين الذين لا تخلو مدينة من مدنهم من مدارس للرقص عن هذا الفن المصرى العظيم . وهو فن يرفع كرامة مصر ويزيدنا شرفا

فانه ليس فى هذه الصور العديدة كفل سمين أو بطن مستكرش أو وضع يدل على تخنث وتكسر.

فان الراقصات المصريات كن قبل الراقصين يتحركن ويلعبن فيما يشبه الرجولة بل الرجولة العنيفة . ولم تكن مصر عظيمة الا لأن هذه الاخلاق كانت فى نسائها قبل رجالها

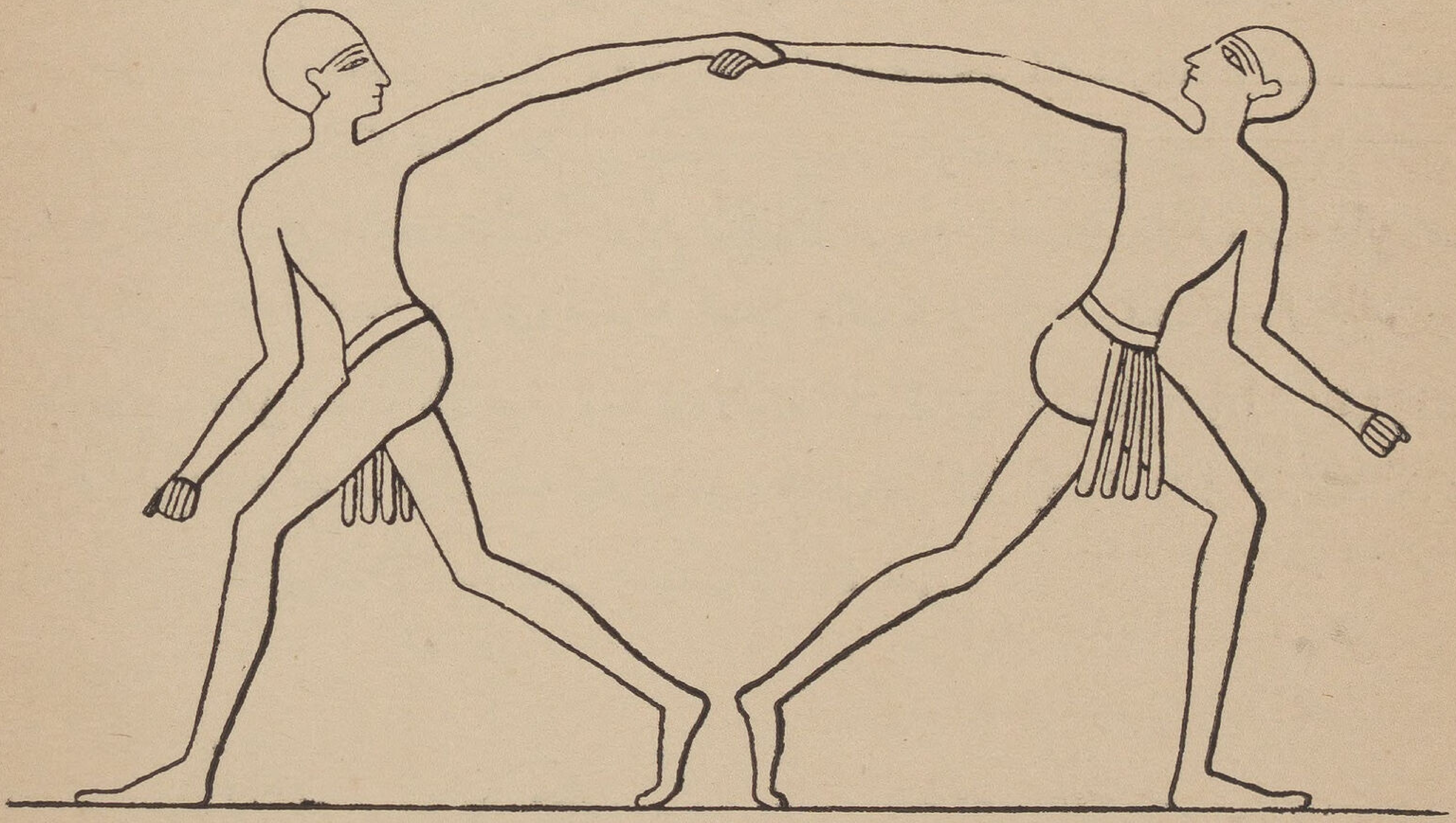

وتحسن وزارة المعارف لو أنها عمدت الى هذا الكتاب ونقلته الى العربية ووزعته على مدارسها فان فيه رجولة وقوة لمن ظنوا ان الرقص خنوثة وضعف

وفى الصور المرافقة التى نقلت عن القبور المصرية ما يدل القارىء على صحة ما نقول

نظرية فرويد فى تفسير الاحلام

للاستاذ محمد فتحى

ربما كان عنوان الموضوع داعيا الى التساؤل . مابال رجل القانون والمحقق المفروض فيه أنه رجل حقائق ووقائع ، مهمته كشف الحوادث المعتادة واثباتها بالدليل المحسوس والبرهان الملموس ، يخوض غمار بحث هو الى الأوهام والخيالات أقرب منه إلى الحقائق والمشاهدات ، فانه معروف عن تفسير الأحلام منذ القدم أنه ضرب من ضروب التكهن بالغيب والانباء بالمستقبل ، وقد وصفه العلماء بانه نوع من أنواع الشعوذة والتدجيل ؟ ولكن حاشا أن يكون هذا مقصدنا من تفسير الاحلام ، فاننا لانزال رجال حقائق ومشاهدات لارجال أوهام وخزعبلات ، فما قصدنا أن نتكلم عن نبوءة الاحلام أو علاقتها بكشف الغيب والمستقبل ، بل قصدنا الوقوف على ماوصلت اليه أبحاث العلماء فى العهد الأخير عن علاقة الأحلام بحاضر الانسان وماضيه ومستقبله أيضا ولكن بمستقبله القريب لاعن طريق التكهن بالغيب بل عن طريق ارتباط المقدمات بالنتائج ، فقد أثبت العلم أخيرا أن للاحلام معانى ومرامى لاتقل فى غرابتها عن الأنباء بالغيب ، فهى ان دلت على أمور حاصلة بالفعل أو حصلت فى الماضى ، مازالت مجهولة لنا فى أكثر الأحيان تمام الجهل . وان صح أن يسمى المجهول من أمورنا مما يستعصى علينا كشفه غيبا جاز لنا القول أن الأحلام تكشف لنا الغيب من هذه الناحية

فالى عهد غير بعيد كانت زمرة العلماء ترمى الأحلام بالسخف والازدراء لاعتقادهم انها ان هى الا مجموعة من مختلف الصور الفكرية المتناقضة والتى لارابطة بينها ، تجتمع فى المخيلة عند النوم على غير هدى كما تجمع قصاصات الورق فى سلة المهملات ، ولذلك فهى لاتستحق فى نظرهم اهتماما أو درسا أو بحثاً ، ولم تتجه أنظار العلماء إلى بحث الأحلام من الوجهة العلمية وتحليلها نفسياً إلا من عهد قريب حيث أظهر الاختبار ودلت التجربة على أن للاحلام معانى باطنة ومرامى خفية تدل على ما يكنه الانسان فى أعماق نفسه ويحفظه فى سويداء قلبه ومستودع عقله الباطن من الحوادث والمؤثرات النفسية التى قد يتعذر عليه الوقوف عليها أو كشفها فى اليقظة فتظهر فى الرؤيا ولكنها لاتظهر غالبا بحقيقتها بل فى شكل رموز أو طلاسم فمن استطاع حلها أمكنه فهم معانيها وادراك مراميها

فالاحلام « ترجمان النفس » أو بعبارة أخرى هى « لغة العقل الباطن » ولكنها ليست لغة كلامية أو لفظية بل لغة رمزية ، قواعد التعبير فيها قائمة على الصور الرمزية المنبعثة من ملكة الخيال ، وهى فى تعبيرها الرمزي قريبة الشبه بالهيروغليفية أعنى كلماتها وعباراتها مؤلفة من مجموعة من الصور والرموز ، ولهذه اللغة نحو وقواعد فمن درس نحوها وقواعدها استطاع قراءتها ، وان جهود العلماء ترمى الآن الى حل رموز هذه اللغة الاثرية فى تاريخ العقل البشرى ودرس قوانينها وقواعدها ، وتدل المقدمات على أنهم باذن الله واصلون

وأول من لفت نظر العالم نحو تفسير الأحلام تفسيراً علميا هو ذلك الطبيب النمسوى الذائع الصيت العلامة « سجمند فرويد » ولعل الفضل فى هذا الاكتشاف الخطير يرجع الى التجارب التى كان يجربها فى أثناء معالجته مرضاه بطريقة التحليل النفسى ، فانه ادرك بالاختبار المتكرر أن بين الأحلام والحالات النفسية التى يشكو منها هؤلاء المرضى ارتباطا وثيقا ، فوجه ذلك الارتباط نظره الى دراسة الأحلام وحل رموزها ، وبعد أن درس الموضوع درسا علميا منظما مؤسسا على التجربة والاختبار لا على مجرد الحدس والتخمين ابرز فى سنة ١٩٠٠ كتابه المشهور المعروف باسم « تفسير الأحلام » وقد ترجم الى الانكليزية والى الفرنسية

وهو أول كتاب فريد فى بابه ، ويعتبر بحق انه الحجر الأساسى لهذا البحث الخطير ، وقد ضمنه نظريته المشهورة التى أثارت أعظم ضجة فى عالم الأبحاث النفسية وهى « ان الاحلام ترمى الى تحقيق رغبة أو تعبر عن أمنية دفينة فى النفس وان هذه الرغبة فى أغلب الاحيان جنسية أى مرتبطة بالغريزة التناسلية »

فقام العلماء فى وجه فرويد ورماه البعض بالتدجيل والشعوذة ، وليس هذا بغريب فى تاريخ العلم ، بل هو شأن كثير من النظريات العلمية الخطيرة عند ابرازها لاول مرة فى العالم ، وما زالت الضجة التى قامت حول نظرية تشارلس داروين فى نشر الانواع ماثلة أمام الأعين

فالعلامة سجمند فرويد يعتقد أن للاحلام فائدة عظمى للعقل البشري لانها ترمى الي تحقيق كثير من الرغبات التى تشتهيها النفس وتتعطش اليها ، ولكن لم يستطع المرء أن يروى غلتها ويطفىء حرارتها فى الحياة العملية وبالأخص ماكان منها يرجع الى عهد الطفولة أو مبدأ حياة الانسان على وجه العموم ومعظمها من الرغبات والمشتهيات الجنسية التى اضطر الانسان تحت ضغط التقاليد الاجتماعية والتعاليم الدينية والآداب القومية أن يكبتها فى قرارة نفسه ويكظمها فى أعماق قلبه فارتدت من ساحة « الشعور » الى جوف « اللاشعور » حيث ربضت فى مكمنها لتكون مصدرا للقلق وينبوعا مستترا يهدد المرء فى مستقبل العمر بالثورات النفسية والاضطرابات العصبية ، وهى

تغلى كالبركان أو المرجل تحت ضغط الارادة أو القوة الكابتة للذكريات المؤلمة والتى أطلق عليها فرويد اسم الكبت وأسماها أحيانا بالرقيب

ولكن لما كانت شدة الضغط قد تولد الانفجار « والانفجار هنا معناه ظهور نوبات عصبية أو اضطرابات نفسية » فلا بد إذن للشهوات المضغوطة من منفذ تفلت منه بعض قواها المحتبسة ليخف الضغط عن القوة الكابتة وبذلك يتفادى الانفجار فالأحلام من هذه الناحية أشبه شيء بصمام الامان لمرجل الانفعالات المضغوطة فى جوف العقل الباطن أو اللاشعور

ونظرية فرويد فى أن معظم الأحلام ترمى إلى تحقيق رغبة جنسية قائمة على اعتبار أن الغريزة التناسلية ـ مع أنها من أقوى الغرائز البشرية ان لم تكن اقواها جميعاً ـ هى الغريزة التى تلاقى من المجتمع أكبر ضغط ومن التقاليد أكبر قوة كابحة ، لهذا كانت أحلامنا تعبر عن تلك الرغبات كما أن الكثير من هذه المشتهيات يرجع إلى عهد الطفولة ، وهى فى الغالب تكون موجهة نحو المحارم من الاهل والأقارب كالوالدين والاخوة ، وقد يدوم أثرها فى النفس طول العمر ويلازم الانسان مدي الحياة وهو لايدرى ، وكل ما يشعر به اضطراب وقلق لايعرف شيئاً عن مصدره فتتحقق هذه المشتهيات فى الرؤيا وتعاودنا فى شكل أحلام فى جميع أدوار الحياة ولا تفتر تتردد علينا من حين إلى حين حتى سن الكهولة ، ولكن لما كانت هذه المشتهيات ضد الآداب والتقاليد وتعاليم الدين فانها عادة لاتظهر بمظهرها الحقيقى لأن ذلك مؤلم لوجدان النائم يوقع الغريزة الجنسية فى نضال حاد مع ضمير الانسان الذي هو وريث التقاليد الاجتماعية نضال تضطرب له أعصابه وترتج له أركان عقله ووجدانه فيتنبه من رقاده مذعورا ، فلأجل التوفيق بين هاتين النزعتين المتعارضتين تصير المشتهيات مقنعة فتتخذ لنفسها صوراً نقشتها ريشة الخيال ، وتماثيل نحتت من لغة الرموز الاثرية . فاذا بها كمن يلبس ثوبا ممزقا أو يستتر تحت رداء مستعار لكى يغافل الرقيب ويفلت منه ولهذا كانت مهمة الباحث النفسى نحو حل هذه الرموز شاقة معقدة ، اذ قد لايتسنى حل طلاسمها إلا بتحليل نفسى دقيق يتطلب منه إلماما بماضى المرء وظروفه الخاصة والعامة وبيئته التى عاش فيها والسلالة التى نشأ منها

فنظرية فرويد فى تفسير الاحلام يمكن تلخيصها فيما يلى

إن الرؤيا لها معان ظاهرة سماها فرويد بالمحتويات الصريحة للرؤيا ، ومعان خفيه سماها بالمحتويات الكامنة وهى المستترة تحت رداء الرموز ، وان المعنى الكامن يعبر عن تحقيق رغبة لم يحققها الانسان فى حياته اليومية وان هذه الرغبة فى معظم الحالات تكون رغبة جنسية أو تدور حول الميل الجنسى حتى ولو كانت وقائع الرؤيا فى ظاهرها بريئة من الميل الجنسى ولا تنم عن الرغبة الخفيه المستترة خلف رموزها

وقد ذكر فرويد على سبيل المثال أن سيدة كان يعالجها رأت فى منامها أن ابن أختها الوحيد توفى فقامت من نومها مذعورة جزعة ولما ذهبت الي فرويد طلبت منه فى لهجة المتهكم المستهتر أن ينبئها عن أي مغزي جنسى ينطوى عليه مثل هذه الرؤيا وأية رغبة دفينة أو مشتهى نفسى ترمى اليه . فوضعها فرويد تحت اجراءات التحليل ولما حلل ذكرياتها الكامنه وخواطرها الدفينة فى أعماق اللاشعور ظهر أن شقيقة الفتاة كان لها ولد آخر توفى فى عام سابق ، وقد حضر المأتم شاب وسيم الطلعة على جانب من الظرف والأدب لتقديم فروض العزاء لافراد العائلة فأنست الفتاة منه عطفا نحوها ترك فى نفسها أبلغ أثر ، وقد تمنت وهى عذراء لو مدّ اليها يد الخطبة ولكنها كظمت ماوجدته فى نفسها من لوعة ثم ألهتها تصاريف الأيام عن ذكراه الدفينة فى قرارة النفس الى حين أن تناولت فى ليلة الرؤيا جريدة قرأت فيها خبر عزمه على القاء محاضرة فى ناد معين ، فأصرت فى نفسها على الذهاب الى سماع المحاضرة فى الموعد المضروب ، وفى تلك الليلة رأت فى منامها تلك الرؤيا المشؤومة الخاصة بموت ابن شقيقتها الثانى . فبين لها فرويد طبيبها ما انطوت عليه هذه الرؤيا وأنها ، على الرغم مما اتصفت به من سمو الاخلاق ورقة الشعور ، اشتهت فى العقل الباطن موت ابن أختها الثاني لكى تتاح لها فرصة اجتماعها بذلك الشاب عند حضوره معزيا اسوة بالمرة الاولى

انتشرت النظرية الفرويدية فى الدوائر العلمية ، فالبعض قبلها برمتها وانضم فى الرأي الى فرويد وأيده بابحاث وتجارب جديدة ، والبعض خالف فرويد فيها من بعض الوجوه . والبعض الآخر وقف تجاهها موقفاً عدائيا ورماها بالنقد المر وشهر على فرويد وأعوانه حربا عوانا من جرائها . ولكن هذا الفريق الأخير بدأ يتضاءل ويتلاشى فى بضع السنين الاخيرة

وبهذه المناسبة تجدر الاشارة إلى وجهة نظر طبيب سويسرى جليل القدر لا يقل فضلا عن العلامة فرويد ، وهو الاستاذ يونج فى زيوريخ . فانه وان كان قد نسج على منوال فرويد فى تفسير الاحلام من حيث اعتبارها لغة العقل الباطن وأنها رمزية ، خالف فرويد فى ثلاثة أمور وهى :—

١ ـ فى قصر الاحلام على الميل الجنسى

٢ـ فى علة ظهورها بشكل رمزى

٣ ـ فى مرمى الاحلام وعلاقتها بالماضى والحاضر والمستقبل

عن الوجه الاول : بينما فرويد يقول إن الاحلام ـ معظمها ان لم تكن كلها ـ تعبر عن تحقيق رغبة جنسية يقول يونج ان الاحلام تعبر عن كثير من الرغبات غير الجنسية وان القاعدة التى يبنى عليها فرويد نظريته وهى تفوق الغريزة الجنسية على باقى الغرائز البشرية والأخرى وانفرادها بعلاقة

أعظم قوة كابتة مخالف للواقع لأنه بذلك تجاهل غريزة هى فى نظر يونج أعظم شأنا من غريزة الميل الجنسى الا وهى غريزة « حب التسلط » فهى الغريزة التى لها المقام الأعلى بين مجموعة الغرائز البشرية وفيها الغريزة الجنسية : وهى تشمل حب الزعامة والقيادة وحكم الشعوب والقيام بالأعمال المجيدة وحب المجد والعظمة والشهرة والتى قد تدفع الانسان إلى المخاطرة بحياته واقتحام الصعاب وتضحية النفس وما إلى ذلك من عظائم الامور . وان هذه الغريزة كثيرا ماتلاقى فى الحياة من الصدمات ومعاكسات الدهر مايدعو إلى كبتها وكظمها فتظهر فى أحلامنا عند النوم . فكأن احلام اليقظة إذا لم تتحقق فى عالم الحياة ارتدت إلى عقلنا الباطن لتتحقق فى عالم الخيال

ولكن فرويد يرد على ذلك الاعتراض بان غريزة حب التسلط منشؤها فى الاصل يرجع إلى الغريزة الجنسية وهى تسلط الذكر على الانثى واستخدام القوة فى الوصول إلى اخضاعها لتحقيق الاغراض الجنسية . ثم تطور هذه النزعة إلى الزعامة العائلية وتسلط رب العائلة على افرادها . ثم تحولها إلى زعامة الشعوب وحكمها والتى لم تخرج عن كونها مثلا مكبرا من الزعامة العائلية . ولكن الاستاذ يونج رد على ذلك بقوله :

ان غريزة حب التسلط هى الاصل والغاية وان غريزة الميل الجنسى أو الغريزة التناسلية هى مجرد وسيلة للوصول إلى هذه الغاية إذ المقصود بها الاكثار من النسل وانتشاره . ومعناه تقوية النوع وتسلطه على باقى الانواع الاخرى . فهى مظهر من مظاهر التنافس النوعى أو حب التسلط الاجتماعى

عن الوجه الثانى : لما كان يونج يرى أن الاحلام غير مقصورة على المشتهيات الجنسية وأن الكثير منها متعلق بتحقيق كثير من الرغبات الاخرى التى لامخالفة فيها للآداب والتقاليد والمعتقدات فان العلة التى ذهب اليها فرويد لتعليل ظهور الأحلام بشكل رمزي لاتتفق مع وجهة نظر يونج واذن لابد له من البحث عن نظرية جديدة تستقيم مع وجهة نظره فوضع تعليلا على جانب من الوجاهة وهو أن اللغة الرمزية هى لغة البشر قبل التاريخ والتى كان التفاهم قائما عليها فى القرون الاولى . فهى تراث الآباء والاجداد القدماء . فهى اذن بضاعة العقل الباطن . أما اللغة الكلامية فمن بضاعة المدنية الحديثة ومن متعلقات العقل الظاهر . ولما كان العقل الظاهر عند النوم فى حالة ركود وسكون وان ظواهر التفكير مصدرها العقل الباطن فمن الطبيعى أن يكون تعبير المرء فى الرؤيا بلغة هذا العقل القديم وهى الرموز

عن الوجه الثالث : الأمر الثالث الذى خالف فيه يونج فرويد هو عدم قصر الاحلام فى دلالتها على الماضى فهو يقول ان هناك من الأحلام مايعبر عن الوجدانات القائمة فعلا بالنفس فيعبر عنها

فى الرؤيا بصورة رمزية كما ان بعض الاحلام قد يكون ذا دلالة على ماترمى اليه النفس من المقاصد أو ماتتوقع حصوله فى المستقبل مسترشدة فى استنتاجها بما توافر لديها من مقدمات

فبينما فرويد يقصر وجهة نظره على النظرية السببية أعنى يعتبر الاحلام مجرد نتيجة لمقدمات يرى يونج تعميم القاعدة بحيث تشمل أيضا النظرية القصدية التى تعتبر بعض الاحلام مقدمات لنتائج مقصودة

وفوق ذلك قد رأى يونج أن الأحلام لاتدل على مامضى فحسب بل على ماضى السلالة البشرية والنوع باسره ، فالنفس البشرية للفرد تحمل فى طياتها خبرة الجدود فى العصور الغابرة وما كابده النوع من تجاريب وما مارسه من تقاليد وعادات . وقال يونج انه قد تسنى له أن يحلل أحلام بعض الناس واستدل بذلك على السلالة التى انحدروا منها أو الجنس البشرى الذى ينتمون اليه

وان أبسط مظاهر الأحلام وأقلها تعقيداً هى الأحلام التى ترمى الى تحقيق رغبة صريحة لا غبار عليها كاحلام الجوعان والعطشان فقد يري الجائع أنه جالس على مائدة طعام فيها من مختلف المآكل أشكال وألوان . وليس فينا من يجهل المثل العامى المعروف « حلم الجوعان عيش » كذلك الظمآن قد يحلم أنه يشرب ماء فيرتوي ظمؤه فى الرؤيا ، ولذلك يخف عنه ألم العطش فلا يضطرب رقاده ـ ولهذا لقب العلامة فرويد الحلم بانه « حارس النوم »

ومعظم أحلام الأطفال من هذا النوع الصريح فان الطفل اذا رأى لعبة فى دكان أو فاكهة على مائدة طعام وتاقت نفسه اليها ولكنه حرم منها فانه قد يحلم فى نومه أنه حصل على اللعبة أو أكل الفاكهة ، كذلك اذا كان رضيعا وجاع فقد يحلم بالرضاع ، وكثيراً مايحلم الاطفال بالرضاع بعد الفطام وكثير من الرغبات التى ادخرها الانسان أو أو كظمها منذ عهد الطفولة قد تظهر فى أحلامه وهو يافع أو شاب أو كهل ، فانحب الاطفال للنقود مشهور وغالبا مايحرّمها الاهل عليهم حتى لايسيئوا استعمالها فى مشتريات قد تضر بهم فيضطر الطفل الى كظم هذه الرغبة ولكنها لاتنمحى بل تلازمه طول حياته ، ومن أجل ذلك قد نحلم ونحن كبار أننا نجمع نقودا من الارض بكثرة وبخاصة النقود البيضاء لأن الاطفال عادة لايعرفون للذهب أو العملة من الورق قيمة . ان الاطفال ، وان كانت أحلامهم فى أول عهد الطفولة غالباً ماتكون بسيطة صريحة ، كلما تقدموا فى السن ازدادت أحلامهم ابهاما وغموضا وأصبحت تعبيراتهم الباطنية أقرب الى الرموز منها الى الصراحة وهو مايستدعى لتفسيرها اجراءات تحليل اكثر تعمقا وتعقداً . وعلى سبيل المثال أذكر الرؤيا الآتية لاحدى بناتى فهى رؤيا وسط بين الصراحة والرموز ، وصاحبة الرؤيا تلميذة فى السنة الثانية الابتدائية ، وملخص الرؤيا انها رأت والدتها واقفة فى شرفة المنزل (البلكونة) وحولها لفيف من بنات المدرسة ومن

بينهن شقيقتها (أى ابنتى) الصغرى ثم رأت والدتها تلقى بالبنات واحدة بعد واحدة من الشرفة الى الشاوع حتى جاء دور شقيقتها الصغرى فحاولت أن تنقذها من يد أمها فلم تفلح والقتها أمها أيضا أسوة بباقى التلميذات من الشرفة أما هى (أي ابنتى الكبرى صاحبة الرؤيا) فان أمها لم تمسها بسوء بالرغم من تطوعها لافتداء أختها

وقد أظهر التحليل وتسلسل خواطر ابنتى عن وقائع هذه الرؤيا ان الأم كانت لديها رمزاً للمعلمة أو ناظرة المدرسة وان شرفة المنزل كانت رمزاً للفصل . والمنزل الذى اجتمع فيه التلميذات رمزاً للمدرسة . واذا عرفنا ما كانت عليه ابنتى ذاك الحين من ضعف فى مادتين من مواد الدراسة وهما الحساب واللغة الانجليزية وانها كانت كثيرة السقوط فيهما فى الامتحانات الدورية فى غضون السنة وتخشى السقوط فى الامتحان النهائى بسببهما سهل علينا أن ندرك المعنى الرمزى لاسقاط التلميذات من شرفة المنزل وما ينطوى عليه من رغبة مكظومة ترمى إلى السقوط المعنوي فى الامتحان فهى كانت تشتهى فى الباطن لو أن ناظرة المدرسة أو المعلمة التى رمزت لها فى الرؤيا بالأم أسقطت جميع تلميذات فصلها فى الامتحان حتى لاتعير بالسقوط إذا ما انفردت هى به . أما تمنيها سقوط أختها الصغيرة فقد جمع بين أمنيتين إحداهما حديثة تتعلق بسقوطها فى الامتحان أيضا (بسبب ما كانت عليه أختها المذكورة من التفوق فى فصلها ولو أنها كانت فى فصل ادنى) والأمنية الثانية تتعلق بما كانت تكنه من قديم من وجدانات الغيرة والحقد منذ كانت أختها حديثة الولادة بسبب ماترتب على مجيئها فى الحياة من مزاحمتها فيما كانت قد اختصت به من العناية الوالدية والاهتمام حيث كانت البكر وبدون مزاحم

ويقول فرويد ان رغبات الاطفال قد لاتخلو من الميول الجنسية فى كثير من الحالات فالطفل يلج باب هذا العالم وهو يحتمل فى حقيبة عقله الباطن ذخيرة وافرة من النشاط الغريزى ولكن هذا النشاط يتخذ فى تلك المرحلة صوراً وأوضاعا تلائم حياة الطفل واستعداده الجثمانى . ومع هذا قد نشاهد فى سلوك الطفل أموراً تدل على توافر النزعة الجنسية فى نفسه كالغيرة التى تشاهد فى الطفل على أمه من أبيه أو على الطفلة من أمها على أبيها ، حتى قيل إن الطفل ان كان ذكراً كثيرا مايشتهى موت أبيه وان كانت بنتاً تشتهى موت أمها (والموت فى نظر الطفل معناه أية وسيلة لابعاد الطرف المزاحم) وذلك لكى يخلو له الجو بمن يحبه ويهواه ، ولكن كلما اشتد ساعد الصغير قويت ارادته على إخماد هذه الميول المحرمة وكبتها فى العقل الباطن ولكنها لاتلبث أن تظهر فى أحلامه وهو كبير بشكل رمزي لأن ضمير الانسان ووجدانه المكتسب بالتربية والآداب القومية يجعل من أشق الأمور عليه أن يرى نفسه يمارس عملية القران الجنسى مع المحارم من الأهل وذوي القربى أو موت أحدهم

ومع أن معظم الاحلام ترمى الى تحقيق رغبة أو شهوة فان من الأحلام ما يمكن اعتباره وصفاً لانفعالات أو تأثرات نفسية قائمة أو وجدانات هائمة بالنفس دون أن ترمى الي تحقيق رغبة معينة . وعلى سبيل المثال أذكر وقائع الرؤيا الآتية مع بيان تفسيرها نقلا عن مذكراتى الخاصة . أما وقائع الرؤيا التى تقدمتها فهى كما يأتى : —

« بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٧ توفيت المرحومة والدتى بنزف مخى وكان قد أصابها هذا النزف للمرة الثالثة أما المرتان الأوليان فكانت احداهما فى سنة ١٩١٩ والأخري فى سنة ١٩٢٢ ومنذ ذلك الحين كنت أشعر بقلق دائم على حياتها وأوجس خيفة من النكسة الثالثة لخطورتها وقد لازمتنى حالة القلق إلي حين وفاتها ، وبعد الوفاه بأسبوعين تقريبا رأيت الرؤيا الآتية :

وجدتنى فى ميدان فسيح يشبه ميدان عابدين فى اتساعه وان جنديا حكم عليه بالاعدام قد جيء به الى ساحة الميدان لتنفيذ الحكم فيه رميا بالرصاص . أما اجراءات التنفيذ التى اتبعت معه فهى أنه وضع فى وسط جماعة من رفاقه الجنود يبلغ عددهم نحو سبعة ، وكان الجندى المحكوم عليه من دونهم معصوب العينين ، والاجراءات تقضى بأن يسير هؤلاء فى شبه دائرة متسعة حول رحبة الميدان وبينهم الجندى المذكور

وفى وسط الميدان اجتمع عدد قليل من الجنود المكلفين تنفيذ حكم الاعدام وبأيديهم بنادقهم فبعد أن يدور جماعة الجنود الثمانية عدة دورات تعطى لهم اشارة من الضابط رئيس القوة المنوط بها التنفيذ من مقتضاها أن ينفصل باقى الجنود السائرين عن زميلهم معصوب العينين ودون أن شعر حتى يمكن اطلاق النار عليه حال انفراده ، ففى أثناء قيام الجنود الثمانية بدوراتهم الفيتهم قد انفصلوا عن رفيقهم المحكوم عليه بحيث أصبح منفردا فأدركت فى الحال ان لحظة التنفيذ قد دنت فحولت وجهى عنه حتى لا أراه عند اصابته برصاص البنادق وعلى الفور أطلق الجنود بنادقهم ، ولكن بالرغم من شدة تأثري دفعنى الفضول إلى النظر إلى الجندى عقب انطلاق النار ، فوجدته واقعاً على الأرض وهو منكفيء على وجهه يعالج سكرات الموت فهالنى المنظر وحولت وجهى عنه ثانية . بعد ذلك انتقلت بى الرؤيا فجأة إلى المنزل حيث وجدتنى فيه مع شقيقتيّ الصغيرتين ثم وجدت بيد احداها بندقية تبغى اطلاقها على رأس الجندى المحكوم عليه وهو يحتضر بقصد أن تضع حداً لآلامه ولكنها بعد أن صوبت البندقيه نحو رأسه أدارت وجهها عنه وهى فى حالة اشمئزاز وتأفف . وأذكر أنى لمتها وقتئذ لتصديها للقيام بمهمة كريهة كتلك فاعتذرت بعدم وجود من يقوم بها نيابة عنها . وبعد ذلك وجدت شقيقتها الأكبر سناً تناولني كوبا فيه سائل مصفر اللون مدمم فهمت وقتئذ انه مخ الجندي الذي أعدم ، فأفهمت شقيقتى الصغري أن مهمتها تلك

قد انتهت وفارق الجندي الحياة بدليل وجود مخه فى الكوب وقد شرب كل منا جرعة منه ولكن دون أن يشعر أحدنا بأية غضاضة ثم تيقظت من نومى وأنا فى شدة التأثر والانفعال

أما الرؤيا فقد فسرتها على الوجه الآتى : —

الجندى المحكوم عليه بالاعدام وهو رمز للوالدة حيث كنت فى أثناء مرضها إذا مررت بغرفتها أدرت وجهى عنها محزونا ، وكثيراً ما كانت تحدثنى نفسى بأن هذه غرفة شخص محكوم عليه بالاعدام وفى انتظار ساعة التنفيذ . وعصب العينين فى الرؤيا رمز لجهلها بموعد الأجل وأما الجنود السبعة فرمز لأولادها « إذ عددنا سبعة » وحكم الاعدام رمز لقضاء الله وحكم القدر وخصوصا اننى كنت رأيت قبل وفاتها بشهرين فى المنام انها توفيت وحضرت من الخارج ووجدت بعض معدات المأتم فأخذت أردد فى الرؤيا قولى « هذا قضاء الله » ولعل قضاء الله وهو فى ذهنى رمز للموت هو الذى نبه فى نفسى حكم الاعدام نظراً لما بين كلمتى قضاء وحكم من ارتباط وما بين عبارتى « قضاء الله » « والاعدام » من الارتباط فى المعنى . أما الميدان الفسيح فهو رمز لميدان الحياة . وربما كانت الدورات التى كان يدورها الجنود حول الميدان تعبر عن الدورات الحولية أو السنين التى قضتها الوالدة فى المرض انتظاراً لحكم القضاء المحتوم ، وانفصال الجنود أو الرفاق عن الجندى زميلهم المحكوم عليه رمزاً للفراق بسبب دنو الأجل . والاعدام بواسطة اطلاق الرصاص رمز لاهدار الدم وفيه معنى النزف المخى . وتحويل وجهى إلى الجندى يمثل تماما الموقف الذى كنت فيه عندما استدعانى الطبيب إلى رؤية والدتى وهى فى دور الاحتضار إذ بمجرد ان وصلت إلى باب مخدعها حولت وجهى عنها ولم أقو على رؤيتها وانما لمحتها وهى راقدة فى سريرها وكان شعورى وقتئذ يماثل تماما شعورى عند رؤية الجندى وهو واقع على الأرض عقب رميه بالرصاص

أما البندقية التى كانت بيد شقيقتى الصغري فكانت رمزاً لقوة الارادة التى اتصفت بها شقيقتى المذكورة ولاجترائها على دخول مخدع والدتها ساعة احتضارها ومواجهتها الموقف على الرغم مما كان له من أثر شديد فى نفسى . أما الكوب الذى شربنا منه فرمز لتجرع كأس الفاجعة وتحمل غضاضتها بصبر — أما مخ الجندى فرمز للصبر والتقوى وهما صفتان كانت متحلية بهما الوالدة وقد كنت عقب وفاتها أردد فى نفسى دائماً قولى « اللهم الهمنى صبرها وتقواها » ولما كان مصدر هاتين الخلتين هو العقل وان المخ هو موطن العقل والتفكير فشرب المخ كان رمزا يعبر عن الرغبة فى التهام ماكانت متحلية به من فضائل ضناً بها على الثرى أو كمن يريد أن يسوغها كما يساغ الشراب بغير جهد أو عناء وهو فيه معنى الالهام المطلوب وذلك فضلا عما بين كلمتى الهام والتهام من تشابه لفظى . وربما كان لذلك التصرف نظير بين عادات بعض القبائل فى العصور الأولى وان للرؤيا من هذه

الناحية معنى أثريا يمت لتلك العصور تأييداً لنظرية « يونج »

وقد رأيت أن أجتزىء شطراً من اجراءات التداعى التى أنتجها التحليل لتكون بمثابة نموذج صغير يدل على كيفية تسلسل الخواطر التى انتهى اليها التحليل وهى نقلا عن مذكراتى :

(جندى) نهبت (جهاد) وهذه نهبت (حياة) ثم (موت) ثم (أم)

(ورفاق) عشيرة . زمرة . أهل . أولاد

(مخ) عقل . دين . ايمان . تقوى } اللهم ألهمنى صبرها وتقواها

(كوب) كأس . شراب . حلو . مر . صبر

(ميدان) فسيح . فضاء . كون . عالم

(بندقية) قتل . اعدام . حكم . قضاء . قدر

ان تحليل الرؤيا المتقدمة قد يدل دلالة صريحة على أن هناك من الأحلام ما يعبر عن وجدانات قائمة بالنفس فعلا دون اشتمالها على رغبات جنسية مكبوتة ولكن هل لنا أن نقول ان ذلك فيه برهان كاف على خطأ النظرية الفرويدية فى تحليل الأحلام وهى النظرية التى من مؤداها أن معظم الأحلام ان لم تكن جميعها تعبر عن تلك الامانى ؟ لقد يحق لأصحاب هذا المذهب الاعتراض علينا بأن اجراءات التحليل التى اتبعت فى سبيل تحليل الرؤيا المتقدمة وما قد يماثلها هى الى مجرد التفسير أقرب منها إلى التحليل الذاتي الذي يقوم به الانسان فى سبيل تحليل خواطره الشخصية . مهما بلغ من الدقة وبعد النظر يتعذر أن يبلغ من العمق درجة تكفى لكشف المركبات الدفينة فى أعماق النفس وقرارة اللاشعور ، إذ أن التحليل العميق أشبه شيء بعملية فتح البطن وهو ما يتعذر على الانسان أن يجريه بيده فى نفسه بخلاف التحليل الذاتى البسيط الذي يقوم به الانسان إذ مثله مثل عملية فتح دمل صغير أو خراج سطحى . أفلا يحق بعد ذلك لفرويد وأصحابه القول بأن اجراءات التحليل لو سارت الى مدى أبعد غوراً فى النفس مما وصلت اليه لكشفت عن المركب الجنسى المكظوم من عهد الطفولة ؟ ألا يجدر بهم لفت النظر إلى ما تتضمنه وقائع أمثال الرؤيا المتقدمة من تعلق شديد بحب الام تعلقاً قد يشف من طرف خفى عن ذلك المركب المكظوم وهو المركب الوالدى المعروف فينا بمركب « أوديب »

لقد تكلمنا عن علاقة الاحلام بالماضى والحاضر ولم يبق أمامنا سوى كلمة وجيزة عن علاقتها بالمستقبل مستندين فى ذلك الى بعض الحوادث الواقعية والمشاهدات . غير انى لست ممن يؤمنون بصلة الاحلام بالمستقبل إلا عن طريق ارتباط المقدمات بالنتائج ، وان كل رؤيا تدل على أمر يتحقق فى المستقبل القريب أو البعيد لابد أن تكون لها مقدمات تدل على هذه النتيجة وكل ما فى الامر

ان المقدمات قد أصبحت مجهولة منا بعد أن كانت معلومة لنا ثم اختفت فى غياهب اللاشعور وظلت هنالك عاملا دفينا من العوامل التى ساعدت على الاستنتاج الباطنى . فان غفل العقل الظاهر عن كثير من شؤون الحياة التى كابدناها أو مرت بنا فى الماضى فان ذكرياتها لا تزال محتفظا بها فى جوف اللاشعور تمد العقل الباطن بكل ما يلزمه من عناصر الاستنتاج ولهذا كان العقل الباطن أصدق فى الحكم على الامور وأبعد نظرا فى استطلاع المستقبل من العقل الظاهر

وزيادة فى الايضاح نضرب لذلك بعض الامثال

المثال الاول — رأيت ذات ليلة فى منامى أن صديقا من أصدقائى حضر من الخارج فى تاريخ معين ونظراً لاشتغالى فى ذلك الحين بدراسة الاحلام واهتمامى بتدوينها فقد دونت الحلم المذكور فى مذكراتى ثم ترقبت الجرائد فاذا بى أقرأ بعد يومين نبأ قدومه من الخارج فى نفس التاريخ الذى رأيته فيه فى الرؤيا فاستفزتنى هذه المطابقة الى استطلاع سببها فدلنى الاستقصاء على أن صديقى المذكور كان أخبرنى مقدما فى يوم سفره بالذات عن موعد عودته وكان ذلك يوم ٢٦ من شهر يوليو وانه سيغيب شهرين كاملين ولكننى نسيت ما كان أخبرنى به غير ان هذه الذكرى لم تغب عن تفكيرى الباطن نظراً لاهتمامى بأمر عودته لسبب من الأسباب ولهذا ظل عقلى الباطن يعد الايام يوما بعد يوم حتى اذا ما بلغت تمام الشهرين وهو يوم ٢٦ سبتمبر رأيته فى منامى. فهذه الرؤيا لا تدل على شيء من التنبؤ بالمستقبل أو كشف الغيب بل كل ما فيها انها تدل على يقظة العقل الباطن وسهره على فكرة ماثلة فى اللاشعور

المثال الثانى — أبلغتنى سيدة من أفراد العائلة على أثر ظهور طفح جدري الماء « الجديرى » فى وجهها انها قبل ظهور أعراض المرض بخمسة أيام رأت فى منامها — ان شخصا لوث وجهه بفرجون كان قد غمسه فى وعاء به سائل ملوث بالجراثيم وفى اليوم التالى لهذه الرؤيا رأت فى منام آخر أن امرأة عجوزا ناولتها وهى على حافة بئر علبة صغيرة بها حبوب فتذوقت حبة منها ثم ألقت بها مع العلبة فى البئر فخاطبتها العجوز وقتئذ بعبارة تتضمن ان دمها « أي السيدة » قد تسمم وقضى الامر وقد طلبت الى هذه السيدة أن أبين لها وجه العلة بين هاتين الرؤيتين وظهور العلة والعلاقة السببية بين المقدمة والنتيجة . فكان جوابى لها ان لمرض الجدري دور تفريخ يختلف بين عشرة أيام وأسبوعين عادة وأنها فى التاريخ الذى رأت فيه الحلمين المتتاليين كان قد مضى على تعرضها للعدوى زمن كاف لأن يترك فى نفسها أثراً ينم على دبيب المرض فى جسمها والشعور به عن طريق الاحساس الباطن أو بعبارة أخرى عن طريق العقل الباطن ولهذا جاء الحلمان معبرين عن حالة المرض القائمة بالجسم تعبيرا رمزيا . فتلوث الوجه بالماء الملوث بالميكروب يدل دلالة ضمنية على جدرى

الماء الذي أكثر مايهم السيدة فيه وجهها . والحبوب المسمومة التى تناولتها على حافة البئر رمز للبثور الجدرية

المثال الثالث — رأى أحد أصدقائى مرة فى منامه أنه أصيب بطلق ناري فى إحدى خاصرتيه (ولا أذكر أيتهما لمضى الزمن) وبعد ثلاثة أيام أصيب بمرض كلوى حاد بلغ من شدته أن يئس من الحياة وأرسل تلغرافا لأهله بالحضور . وظاهر من هذه الحالة أن مقدمات المرض كانت موجودة وهى تحرك الحصاة قبل احتدام الألم بثلاثة أيام الامر الذى أيقظ الرؤيا ونبه المريض الى قيام أسباب المرض قبل ظهور أعراضه الثقيلة ببضعة أيام

المثال الرابع — رأت فتاة فى منامها أنها تزدرد رصاصاً مذاباً وبعد يومين من هذه الرؤيا أصيبت باختناق لوزى حاد

المثال الخامس — رأت سيدة أنها تحمل حجر طاحون على رأسها وبعد ثلاثة أيام أصيبت بالتهاب سحائى

مما تقدم من الأمثلة يتضح أن من الاحلام ماقد يظن لأول وهلة أنه من قبيل الانباء بالمستقبل فى حين أنها لاتخرج عن كونها نتائج محتومة لمقدمات توفر العقل الباطن على العلم بها فبنى عليها أسباب استنتاجه وقد عرفنا مما مر بنا عند التكلم على العقل الباطن مبلغ مايتمتع به من قوة تفكير ودقة استنتاج قد تفوق ماللعقل الظاهر بمراحل ولاغرابة فى ذلك فالعقل الباطن مستودع الذكريات والاختبارات الخاصة بالنوع والفرد معا وهو مجمع الثروات الفكرية الموروثة عن جميع السلالات من أول ظهور الحياة على وجه البسيطة حتى الآن فهو أدنى اتصالا بقوانين الله عز وجل ونواميس الطبيعة من العقل الظاهر

من هو الرجل المهذب

لسلامة موسى

كان الرئيس ولسون رجلا مهذبا درس الكتب وخبر الدنيا . كان مديرا لجامعة برنستون ينظم الثقافة لشباب الولايات المتحدة ثم كان رئيسا للجمهورية فى سنى الحرب تحاول جهده أن يصون السلم ولكنه اضطر أخيرا الى الحرب . فلما انتهت او قبل أن تنتهى وضع الشروط الاربعة عشر التى كان « تقرير المصير » للامم الصغيرة واحدا منها . وهو شرط قد انتفعنا نحن به فى حركة ١٩١٩ . ثم كان اثره كذلك كبيرا فى ايجاد عصبة الامم . بل هى من مبتكرات ذهنه الخصيب المثقف

فاذا تكلم الرئيس ولسون عن الثقافة ماهى وكيف تكون ومن هو الرجل المثقف، فانه لايتكلم باعتباره رجل القلم والدرس فقط بل أيضا رجل السياسة العالمية والخبرة الدنيوية . ثم هو رجل مثقف قد أثمرت الثقافة فيه خير ثمراتها اذ جعلته انسانا بشريا يطلب الدنيا كلها وطنا له ويسعى للسلام وينشد الحماية للامم الصغيرة من الامم الكبيرة . فاذا قسناه باختباراته الماضية ومؤلفاته فى الجامعة او بما انتهى اليه من الشروط الاربعة عشر او اختراع عصبة الأمم فاننا نجد فيه أجمل مثال للرجل الشريف المثقف . ولهذا السبب لانخطىء إذا نحن اعتمدنا عليه فى صفة الرجل المهذب وهو حين يصفه انما يصف نفسه

فقد وضع الرئيس ولسون أربعة شروط للرجل المهذب هى :

١ — ان يعرف تاريخ العالم منذ بداية الكون فنشأة الحضارة الى الآن

٢ — ان يعرف تاريخ الافكار السائدة التى يسير عصرنا على مبادئها

٣ — أن يعرف علما من العلوم فى المعنى الذي يطلق عليه اسم Science فى اللغات الاوربية

٤ — ان يعرف لغة ما وخير اللغات التى يعرفها هى لغته التى نشأ عليها

* * *

هذه هى الشروط الاربعة للرجل المهذب أو الرجل المثقف كما يراها الدكتور ولسون .

ويمكن كلا منا أن يسأل نفسه : هل أنا مهذب وهل قد استوفيت هذه الشروط الاربعة أو هل أنا نصف أو ربع مهذب لم استوف غير شرط أو شرطين من الاربعة ؟

ولكن ربما يتساءل بعضنا لماذا هذه الشروط الاربعة ولماذا لاتكون عشرة أوسبعة ؟ فالجواب ان الدكتور ولسون قد اختار الاهم قبل المهم واختار الاساس قبل الجدار والأعم قبل الأخص . ونستطيع أن نبين أهمية هذه الشروط بالشرح القليل . فان الذى يطلبه الرئيس ولسون أن تثمر هذه الثقافة التى يحددها فى هذه الشروط رجلا صالحا فى العالم بارا بالانسانية وهو يبرها فى ذهنه نير ثم يجب أن يفهم مبادىء الحضارة الحديثة ولا يعارض تقدمها . بل يجب عليه ان يكون عضوا عاملا فى تقدمها

فالشرط الاول أن يعرف الرجل المهذب تاريخ العالم . كيف نشأت الحياة الاولى على الأرض ثم تطورت رويدا رويدا حتى ظهرت فيها انواع من النبات والحيوان ينقرض بعضها ويبقى بعضها وهى فى خلال هذا التطور تنهض وتنتكس الى أن ظهر الانسان . وهو مع ذلك ليس ختام الدرامة . ثم كيف تسلط على غيره الى أن استطاع أن يخترع الحضارة الاولى على ضفتى هذا النهر المبارك نهر النيل

ثم كيف نشأت الحضارة وتطورت وهى تعانى مظالم الكهنة والمستبدين ورزايا الحروب وبلايا القحط والوباء . وفى خلال ذلك يكتشف هذا الانسان الاول أن له ضميراً وأن حبه لأمه وزوجته وأولاده يتسع حتى يصير حبا للبشر جميعهم

وجدير بهذا الذى يدرس تاريخ العالم أن يشعر أنه أبن العالم وأن البشر أخوة وأن الحرب جناية . ثم هذا العرض لتاريخ الدنيا يكسبنا فكرة التطور ثم مزاج التطور لان الدنيا لم تكن قط على حال واحدة اذ هى تتغير ويجب أن تبقى فى هذا التغير . ثم هذا التاريخ اذا بعث فى نفوسنا الاطمئنان من ناحية البر والخير فى نفس الانسان فانه يبعث الشك والتوجس من ناحية النظم الأجتماعية التى انتهت مرة ما بل مرات بالعصور المظلمة . وما أدرانا فلعلنا هذه الايام على وشك الدخول فى عصر مظلم . فلا أقل من أن نعرف علاماته ونحتاط لها بدرس تاريخ العالم ونميز بين سيادة العقيدة الحزبية وسيادة الرأى الجدلى

ثم هذا الدرس لتاريخ العالم يعين لنا سمات الحضارات المتعاقبة والوان الجمود والرقى فيها الى أن تنتهى الى الحضارة الصناعية القادمة

والشرط الثانى للرجل المهذب أن يعرف تاريخ الافكار السائدة سواءاً كانت سياسية أم اجتماعية أم علمية . فنحن فى عصرنا الحاضر نسير بقوة أراء تسوقنا وترسم لنا خططا وغايات فيجب أن

نعرف تاريخ هذه الآراء والجهود التى بذلت فى سبيل تحقيقها

فهناك هذا الرأى أو الفكرة القائلة بالديمقراطية كيف وأين نشأت وما قيمتها وما دلالتها وهل يجب أن تموت أو تعيش ؟. ثم ماهى قيمة الحرية الفكرية أو التسامح الدينى أو فكرة الدستور أوغير ذلك من الافكار والآراء التى خاض الناس من أجل تحقيقها فى بحار من الدماء وهل كانت جهودهم حسنة أدت إلى خدمة البشر؟ وإذا كان الامر كذلك فهل هى تستحق العناية من المستمتعين بها والجهد لصيانتها ام تترك للمستبدين والجامدين والرجعيين لكى يمحوها من لوح التاريخ البشرى ؟

وهذه الافكار أو الآراء التى تسود الحضارة الراهنة لاتكاد تحصى . فاننا نؤمن مثلا بفكرة الجامعة للتعليم وفكرة التعاون للعمال وكذلك بفكرة النقابة كما نؤمن بحرية المرأة . وفكرة « تقرير المصير » إحدي هذه الفكر الخصبة المثمرة

والشرط الثالث للرجل المهذب أن يعرف علما من العلوم الحديثة وذلك لأن الحضارة الصناعية القائمة فى العالم الآن تستند إلي أساس قوى من الثقافة التى أثمرت الغازات الفاتكة من ناحية كما أثمرت الاقمشة والاسمدة الصناعية لتوفير الغذاء والكساء . وهى شر وخير. ولا يمكننا أن نفهم مغزاها إلا إذا فهمنا علما من العلوم ، وميزة العلم أو صفته أنه يمكن أن يقاس سواء أكان القياس بالمتر أم بالجرام أم باللتر . وما لايمكن قياسه فهو ليس علما

وليس شيء من الصناعات الحاضرة إلا وقد أغار عليها العلم ووسع نطاق الانتفاع بها فنحن نجده على السواء فى اناء الطبخ للطعام كما نجده فى جهاز الميكروفون . ونجده فى زراعة البرسيم كما نجده فى تحليل الضوء المنبعث الينا من المجرة . ونجده فى وفيات الاطفال كما نجده فى صنع الطائرات

والرجل الذى يثقف نفسه بالثقافة العلمية ينطبع فى نفسه المزاج العلمى . فهو يعتمد على القياس والتجربة وهو لايستسلم حتى لمنطق الذهن المجرد لأنه لايقنع بالتفكير فقط بل يزيد عليه التجربة باليد . فهو يفكر بذهنه ويده . وهو لهذا السبب لا يرفض تصديق القصص عن العفاريت ومناجاة الأرواح وقراءة الكف وفراسة الوجه وطالع الحظ وما إلى ذلك فقط بل هو لايعرف كيف ينصت مستمعاً فقط الى هذه القصص والاساطير لأن مزاجه العلمى قد بعث فيه اشمئزازاً حسنا من هذا السخف . والرجل الذى يجهل أحد العلوم لايصح أن يعالج دراسة ما لأنه يعالجها عندئذ بروح الجاهل الذى يخشى خطره لأنه يعتمد على استنتاجات لاتؤيدها التجربة

أما الشرط الرابع للرجل المهذب فهو أن يعرف لغة ما معرفة متقنة . وتفضل لغته الاصلية

التى نشأ عليها . وهذا شرط لاغنى عنه لأن التفكير الحسن لايستطاع بلا مدخر كبير من الالفاظ بل نحن لايمكننا أن نفكر بدون الالفاظ حتى ان أحد السيكلوجيين وهو الدكتور واطسون يقول ان التفكير هو كلام صامت كما ان الكلام هو تفكير صائت . وهناك مايرجح صحة هذا القول . والذي يلاحظ أن لكل شخص ألفاظه التى تكثر فى حديثه أو فى كتابته وهى بالطبع تدل على اتجاه تفكيره ولونه إذ هو يختار الالفاظ التى تعبر عما يشتغل به ذهنه فاذا كان تافه التفكير كانت الالفاظ كذلك . وقد كان هربرت سبنسر يقول انه يمكنه أن يعرف وزن الرجل الذهنى عقب استماعه لحديثه لانه يعرف من الالفاظ التى يستعملها أي الموضوعات تشغله وكيف تشغله

وأحسن اللغات التى يجب أن نتعلمها ونتقنها هى اللغة التى رضعناها من أمهاتنا . وهى اللغة التى نستطيع أن نتقنها . ومن السخف أن نتعلم لغة أجنبية نصف تعلم أو ربع تعلم . لأن اللغة وسيلة غايتها القراءة والاستنارة المتوالية . فاذا لم نعرفها حق المعرفة لم ننتفع بها . ومن هنا الخطأ الفادح فى تعليم أولادنا لغتين أجنبيتين حين كان يمكن الاقتصار على واحدة ربما يستطاع اتقانها فتفيد

* * *

هذه هى الشروط الاربعة للرجل المهذب كما رآها الرئيس ولسون . وهى جديرة بان تثمر فى صاحبها أحسن الثمرات فتحركه الى العمل وتجعله داعية للحق والاصلاح والرقى . فان الرجل المثقف لايطيق الظلم ولايرضى بالجمود لأن ثقافته قد امتزجت بدمه وأصبحت جزءا من روحه وارادته . وهو لايمكنه أن يحبس فى نفسه أفكاراً عن الرقى والاصلاح قد اختزنها ذهنه بالقراءة أو التفكير فى حين يرى الوسط حوله وهو ينادي بل يصرخ بالحاجة اليها . فهو لابد مناد أيضا بها ولو اصطدم فى ذلك بالعقبات التى تؤذيه فى عيشه . وهذا الروح الشريف هو روح الاستشهاد فى سبيل الحق والشرف والرقى الانسانى

ومثل هذا الرجل المهذب لايمكنه أن يمالىء الاستبداد لأن ذهنه حافل بالجهود التى بذلت فى سبيل الحرية . ولايمكنه أن يتعصب لفكرة ما أو مذهب ماتعصب الاضطهاد والكراهة لأنه يعرف قيمة التسامح فى تاريخ البشر . ثم هو يكره الحرب لأن تاريخ العالم قد أشعره بالأخوة البشرية . ثم هو اذا كان عالى فى مزاجه التفكيرى فهو متدين فى مزاجه يحب البشر ويرجو الخير لمستقبل الانسانية

فما عندك من هذه الشروط ألاربعة ، وماذا أثمر فيك ماعندك منها ؟

ادوارد الثامن سابقا والدوق وندسور الآن

قبل ان ينزل الملك ادوارد الثامن عن العرش بشهرين فقط ظهر كتاب عنه لمؤلفه المستر بازيل مين وهو من اصدقائه الذين عاشروه مدة ولايته للعهد . ويرى القارىء هنا تلخيصا لهذا الكتاب بقلم الاستاذ عبد الملك اسكندر

نزل الملك السابق ادوارد الثامن عن العرش واختفى من عالم الحياة السياسية ، فاذا حاول العالم باسره والشعوب البريطانية خاصة تناسيه وتناسى الاسباب الظاهرة والتى دعت الى نزوله عن سرير الملك لأعظم دولة فى القرن العشرين ، فان هناك صديقا حميما للجميع لن يتناساه . فان التاريخ لم ينسه ، بل فتح له صدره وأعد له صفحة بين صفحاته ، كما فتح لغيره من الملوك البريطانيين ، فسيحسب بين من جلسوا على هذا العرش العظيم بل سيدون أنه فوجىء بسابقة لم تحدث لغيره من الاسلاف ، فوقف حائرا بين عاملين ، عامل القلب وما يصحبه من سعادة شخصية ، وعامل التاج وما يرافقه من مركز ملوكى ، حتى اختار مايحلو له . ولسنا هنا فى مجال استحسان هذا الاختيار اواستنكاره ، ولكنا نريد أن نبين ، بمناسبة مارددته بعض الصحف فى جميع أنحاء العالم أن هناك سببا حقيقيا غير الغرام بحسناء بلتيمور المطلقة مرتين ، نعم رأينا من الواجب علينا نحو الحقيقة والتاريخ أن نلخص بعض ما كتبه أصدقاء ادوارد الثامن أنفسهم عن حياة هـذا الرجل وماكانت تتوقعه بريطانيا منه وهل سيبقى متربعا على سريره الى نهاية حياته ؟ وهل هو لايؤمن بالتقاليد الملكية وما يصحبها من تقييد الحرية الشخصية ؟ وأخيرا لمَ لم يتزوج قبل تربعه على سرير العرش ؟ وأخيرا هل كان يعطف على العمال حتى اتهم باشتراكه فى النزعات الحزبية ؟

والذين كتبوا عن ادوارد الثامن أو الدوق وندسور الآن كثيرون ، إذ هو صديق الجميع ، ولكنا نذكر منهم أخص هؤلاء الاصدقاء ، فقد كتب المستر توماس مدلتون ، فى الصحف الامريكية عام ١٩٣٠ عن معرفته الشخصيه له أنه يرفض الزواج ويكره الرسميات الملكية ، وبازيل مين الذى وضع عنه أحدث المؤلفات بعد تربعه على العرش عام ١٩٣٥ ، فهو بذلك أحدث كتاب بحث تاريخ الدوق وندسور فى جميع أدوار حياته بحثا مستفيضا يشفى غليل الذين يبحثون وراء الحقيقة لذاتها وكتب مقدمة هذا السفر النفيس السير هارى بريتان

يقول السر هارى بريتان ، فى هذه المقدمة ، ان ادوارد الثامن اعتلى الاريكة البريطانية وليس فى حاجة الى مثل مايحتاجه نظراؤه من الملوك فى وقت اعتلائهم عروش آبائهم وأجدادهم اذ أنه معروف الى شعبه . فألوف بل ملايين من رعاياه فى جميع أجزاء تلك الامبراطورية الواسعة الأرجاء قد رأوه رأى العين وأصغوا الى نبرات صوته

والواقع أننا لو درسنا تاريخ ادوارد الثامن فى مؤلفات أصدقائه والمقربين اليه ، لعرفنا أن النتائج الحالية كان لها مقدمات دلت عليها منذ حقب طويلة

ففى حياته الخاصة قد تمتع ككل شاب بريطانى فى مثل سنه وصحته ، ولكن فى حدود واجبات الوارث للعرش ، كما قام بأعباء كثيرة . وهو مولع بالاطلاع ، شغوف بأن يكشف غوامض كل أمر يلفت نظره ، بل وتدعوه هذه الرغبة الملحة على أن يبذل المستحيل فى سبيل تحقيق أى غرض من أغراضه ، ولما كانت الرغبة هى الدافعة الى العمل فكان يعمل بهمة عجيبة وعزم أكيد ما ينوء بحمله من كان فى مثل شبابه . وهو يمتاز بذاكرة عجيبة نادرة ، اذ لاينسى قط الحوادث التى تقع له ، والوجوه التى يقابلها ، وعلاوة على هذه الصفات فهو وديع كريم الجانب الأمر الذي حببه وصيره عزيزا عند كل من أسعده الحظ بالتحدث معه ومعرفته

وهو مغرم بالقيام بصعاب الامور ، لاتلين له قناة ، ولا يحيد عن رأيه مادام يعتقد بصوابه . ولهذا نظر اليه بعض الشيوخ من الساسة البريطانيين بأنه متشبث برأيه إلى درجة العناد ، حتى أن هذه الصفة لازمته طيلة حياته إلى أن اعتلى العرش ، ففى أبان الحرب العظمى أراد اللورد كتشنر أن يثنيه عن عزمه ورغبته التى ابداها للالتحاق بالجيش العامل فى الميدان الغربى بفرنسا ، ولكنه لم يفلح اذ لم يعدم الامير الوسائل التى مكنته من هذا الانضمام واشترك فيها متنقلا بين ميادينها المختلفة

وكان يعمل فى هيئة أركان حرب الجنرال جون فرنش ، ومما لاريبة فيه أن رحلاته إبان هذه الحرب قد اكسبته خبرة عظيمة وسنحت له الظروف لأول مرة بأن يشاهد كثيرا من الممالك والبلاد وفى ذلك يقول عن نفسه « فى الأربع السنوات التى قضيتها قد اختلطت بالرجال ، وفى أثناء هذه الاربع السنوات قد خلقت رجولتى . وكلما أفكر فى المستقبل وفى العبء الذى ينتظرنى ، أشعر بان التجربة التى اكتسبتها قد سلحتنى بكامل الاسلحة » والواقع أننا لو اعتبرنا فترة التلمذة التى قضاها فى الجامعة فاتحة لاكتشاف ما امتاز به من مواهب فقد كانت الفترة التى قضاها بين زملائه فى المقدمة ، هى التى أكملت مابديء به اذ لم تؤثر حادثه فى مجرى حياته كما أثر التحاقه بالجيش العامل فى فرنسا

وكم من مفاجئات خطيرة حدثت له ابان الحرب، لمجازفاته رغم أوامر الجنرال هايج اليه ، ورغم اوامر القيصر غليوم الثانى الى قوته الجوية بالا تلحق ضررا بالعائلة الملكية البريطانية . فقد سبق أن خشى قواد الحلفاء عندما خاطر الملك جورج الخامس بحياته ليختبر بنفسه مدى مافيه رعيته . وقد أظهر الملك سروره أن يرى وارثه وأكبر أفراد عائلته يقاسمهم هذه المخاطر ويشاركهم عيشتهم

وفى عام ١٩١٦ الحقته السلطة العسكرية باسطول البحر الأبيض فامضى بعض الوقت فى مصر ومن ثم الى ايطاليا . ولقد ترددت الاشاعات حول زواجه وايجاد اتحاد انجلو - ايطالى . وخاصة لما رؤى فى العربة المكشوفة رفقة ملك ايطاليا وبعد ذلك انضم الى الأسرة بعد ان عاد الى لندن بقصر وندسور . ولا يتسع المقام لذكر الحوادث والمفاجئات التى حدثت له ابان هذه المدة وخاصة ما أخبر به أحد المهاجرين البلجيكيين الملكة مارى من أن ابنه قد رأى طائرة الألمان تطارد الأمير فى قرية فلاندر التى زارها دون علم قيادته لولا المفاجأة باحتمائه فى بدروم منزل كان مستعملا للصليب الأحمر ومشاركته ممرضاته العمل

ديمقراطيته

لقد كان ادوارد الثامن ديمقراطيا بمعنى الكلمة واذا قورن بغيره من الملوك والامراء حتى ببعض الساسة من الوزراء لعد متطرفا فى ديمقراطيته هذه . وقد دل على هذه الديمقراطية ابان حياته المدرسية واختلاطه بالطلبة زملائه خاضعا لقوانين المدرسة كما يخضع لها أقل تلميذ حتى أنه لو لاحظ بعض رعاية توجه اليه لأظهر سخطه وامتعاضه ، ويعد هذا خروجا منه على التقاليد الجامعية منذ ثلاثة قرون ، اذ أن أمير ويلس « ابن جيمس الأول » كان معه خدمه الخاص وغير ذلك من الامتيازات التى كانت تشعر بمركزه . وسار على منواله الجميع حتى الملك ادوارد السابع أيضا

ولقد كان حاضر البديهة يعرف كيف يتخلص من المواقف المحرجة ، فقد حدث له أن اجتمع ونفر من زملائه الطلبة وكان الحديث ، وهو ذو شجون ، فاذا بهم من متطرفى الاشتراكية ، وعقيدة الاشتراكية كما هو معروف تتعارض مع الملكية ، فسقط فى أيدي الجميع . ولكنه عمل على انقاذ الموقف بشكل لباقة وكياسة ، دون أن يشعر أحد

ولقد كانت أسعد أوقاته المسامرة مع زملائه فى الجيش ، يلعب معهم دون تكلف ، فخشيت القيادة وأنذرته بالابتعاد عن ذلك دون أن يعبأ ، ومن طريف مايذكر أنه كان يحمل سيجارا ويقف ضاحكا ، فى الطريق يطلب نارا ، أو يحمل نارا ويطلب سيجارا ، وأغلب مزاحه كان مع الجنود الاستراليين

ولما كان أميرا ، ذكر أحد أصدقائه المستر توماس مدلتون فى كتاباته « أنه موقن لو خير أمير ويلس لما اختار أن يصبح ملكا لبريطانيا » ولقد أثبتت الحوادث عام ١٩٣٦ صحة هذا اليقين . « اذ يعز عليه أن يتخلى عن كثير من مسراته ورياضته التى هى الحياة الحقة عنده » . اذ عندما تولى العرش تخلى عن المعيشة البسيطة الحرة البعيدة عن التقاليد والرسميات ، وكثيرا ما كان يردد لأصدقائه أنه كلما انتهى من بعض مهامه الرسمية ، بل وبعد جلوسه على الأريكة الامبراطورية ، عاد انسانا عاديا يسامر ويخالط دون نظر الى الطبقة التى يخالطها . وقد قيل انه لو تمكن أن يحيا حياة البساطة لما كان غير المستر وندسور، وهو ينتهز كل فرصة ليكون ذلك المستر وندسور، وشاء المصادفة أن يكون أخيرا « دوق وندسور » ولهذا كان ينظر الى تولية العرش كمشكلة من أعقد مشكلاته كما امتاز بالصراحة فى قوله وفى أعماله دون أن يخشى أحدا ، حتى أن والديه كثيرا ما نصحوا له بأن يقتصد كثيرا فى ذلك . ومما يثبت أنه يعمل بما يوحيه اليه ضميره ، تلك الحادثة التى حدثت ابان رحلته الهندية عام ١٩٢١ . اذ فى أثناء تجواله بين جموع الأهلين المتزاحمة ، رأي جماعة منهم تدل عيونهم المتطلعة اليه على ما فى وجودهم من مأساة . وكيف أنهم منبوذون من قومهم ومواطنيهم وبينما العربة تقطع الطريق ، دهشت الجموع عندما ترجل . ورآه الناس فى مواجهة تلك الفئة البائسة وحياها أحسن تحية

رحلاته واعماله الرسمية

إننا لو قابلنا المدة التى قضاها ادوارد الثامن منذ ظهوره فى معترك الحياة الاجتماعية ، بعيد الحرب فى انجلترا ، بالتى قضاها خارجها لقلنا انه كان الملك الجوال والسفير الملوكى المتنقل . وأول عمل رسمى قام به أنابته عن والده فى احتفال ايطاليا بدخولها الحرب وتوديع جيوش الحلفاء فى الرين عاد إلى بريطانيا بعد رجوع المحاربين لأوطانهم . واختلط بالعائلات الانجليزية . كما اتخذ زيارة منازل العائلات الفقيرة وجعلها من أقدس واجباته . وبعد أن أمضى كثيرا من الوقت فى الاستمتاع بمرافقة العائلات . وكان يظن أن يكون هذا بمثابة خطوة أولى لتكوين عائلته هو . وخاصة بعد أن اتخذ « بورت بلفدير » مسكنا خاصا له وخوطب فى ذلك فأمهل حتى يأتى من رحلته الامريكية . وبذلك فتحت أبواب الرحلات التى لم ينته منها حتى اعتزاله العرش ورحيله الى أواسط أوربا ضيفا على آل روتشلد . ويقال انه فكر فى هذه الرحلات لتكون له خير حام من الجاجة الذين يقولون بضرورة زواجه . وقيل أيضا غير ذلك أنه اتخذها سلوى له

ابتدأت رحلته الى كندا والولايات المتحدة سنة ١٩١٩ . ولم يوضع نظام معين لهذه الرحلة .

وصمم على أن ينتقي رفقاءه بنفسه فوصل فى ١١ أغسطس إلى الارض الجديدة . وبين مظاهر الحفاوة التى قوبل بها زار الألالاى الذى أرسلته هذه الجزيرة إلى الحرب ، ومن ثم الى كندا وخطب فيها حيث قال « .. ذلك اليوم الذي كنت انتظره بكل تلهف ولن أنساه . ثم أنى أشعر بأنى لم آت الى هذه البلاد كغريب . فقد شاركت جيوش الدومنيون فى كل ما قاسوه . كما أنى شديد الرغبة فى أن يعتبرنى الكنديون كنديا مثلهم فان لم يكن بالمولد فبالتفكير والعاطفة » ولقد سر من هذه الزيارة لأنه وجد فيها ماتطمع اليه نفسه وميوله

ولم تكن زيارة الولايات المتحدة من ضمن البرنامج . ولكن الظروف اضطرته أن يستأذن والده لزيارتها فوصل الى وشنطن . وتلك أول مرة منذ نصف قرن يطأ أديمها « دوق ويلز » . ولقد كان من سوء الحظ أن الرئيس ويلسن كان مريضا فلم يتمكن من استقباله فأناب عنه المستر لانسنج . وقابلته زوجة الرئيس وابنته . وترددت الاشاعات والأقاويل عن زواجه من أمريكا بلاد المال والجمال

وقد أظهر رجال الأعمال فى نيويورك وزوجاتهم وبناتهم « وخاصة الاخيرات » له كل اكرام واجلال

وفى ربيع عام ١٩٢٠ ارتفع صيته لرحلته الثانية لزيارة قاطنى آسيا . إذ بعد رجوعه من رحلته إلى شمال الدنيا الجديدة ، ابتدأ يضع الخطط لرحلة أخري عن طريق قناة بناما . فاقلع من بورتسموث وكانت أيام البحر مفيدة لصحته ولقد حدث فى اثناءها أن اشتد النوء فسقط أحد بحارة البارجة ؛ فأثر ذلك فيه وأرسل برقية عند وصوله الى بربادوز يعزي أسرته . ومن ثم عرج الى الأنديز وزار القبائل ومكث معهم مدة . ولقد كان سروره لا يوصف لمرافقة ومراقصة فتياتهم . ولكنه لاحظ أنهم مثلوا معه دور سندريلا

وفى اكتوبر عام ١٩٢١ يمم الى الهند . ويعوزنا الكثير من الصفحات حتى نصف هذه الرحلة حق الوصف . وأعماله التى قام بها هناك . مثل افتتاح البناء الجديد للبرلمان . والجامعة الهندية . ويكفى أن نذكر قول الملك نفسه عنها « إنى لازلت تلميذا متعطشا لأدرس أعجب الاشياء فى كتاب الهند » : أسواق . بولو . معابد . رقص وطنى . بل كل ماهو مدهش وعجيب . غير أن الرحلة كدرت بحادثة أخذت اهتماما كبيرا . ففى الطريق من دلهى الى باتيلا . قيل أن عربته قد أصيبت بمقذوف نارى . ونشطت أبحاث البوليس . وأخيرا عللت الحادثة بعد الكشف على عربات الحاشية أنه لم يكن مقذوف نارى بل يرجح أنه حجر . بل ان هذا أيضا لم يرم . بل اعترض العربة فى الطريق فاحدث من شدة اندفاعه وتصادمه مع عربة أخرى هذا الصوت . أما عن الشعوذة الهندية فنها

الكثير . إذ لما كان مغرما بالرقص فقد راقص الكثيرات . ورقص الكثير من الهنود عراة الاقدام على نار تتلظى ومن ثم تقدموا اليه ليري أن لحم أرجلهم لم يتأثر

وبعد أن قطع الهند فى جميع أرجائها ، وصل الى كراتشى ، حيث كانت « رينون » فى انتظاره فرغب فى زيارة اليابان فوصل الى يوكاهاما ومن ثم الى طوكيو حيث استقبله الامير « الوصى » وقد اعادت هذه الزيارة ذكر التحالف البريطانى اليابانى . ومن المصادفات حدوث زلزال فى اثناء زيارته هذه ولكن لله الحمد لم يحدث ضرر ما

يطلق البعض على ادوارد الثامن رجل العالم ، ويقصدون بذلك كثرة تجاريبه واختباراته التى استفادها إذ لم يكد يمكث إلا قليلا فى بريطانيا بعد رحلة الهند حتى أقلع فى ٦ سبتمبر سنة ١٩٢٣ من بورتسموث مع لورد رنفرو ، وهو جوال شهير ، وسير جود فري توماس ، وسير ولتر بيكك وغيرهم فى رحلة الى الرفيرا ومن ثم الى لندن فى ٢٤ — ٤ سنة ١٩٢٤ لافتتاح المعرض الامبراطورى فى ومبلى

وبعد أن رأى أن المعرض ، بصفته رئيسه ، قد سار فى طريق النجاح ، أراد أن يجدد رحلاته ثانية ولتوثيق العرى مع الولايات المتحدة لزيارة الرئيس كوليدج ، اذ فى أواخر أغسطس مر على نيويورك فى طريقه إلى العاصمة . فتغدى فى البيت الابيض مع الرئيس وزوجته ومكث معهما ساعتين ومن ثم إلى كندا

وفى ربيع ١٩٢٥ ابتدأت الرحلة الأفريقية وانتقل بين ربوعها متبعا الساحل الغربى فزار نيجريا . ثم السودان الغربى وفى كانو أقيم « دربار » وهو المعروف عندنا بالبرجاس حيث أتى عشرون الف خيال برياسة الزعيم المسلم وحيوه أحسن تحية . وأعدت له مدينة الرأس مهرجانا عظيما . ولقد كانت الرحلات مليئة بالمفاجآت كترانيم أطفال السكان ورقصة الزولو

وفى المدة من ١٩٢٦ الى عام ١٩٢٨ كان يستعد لرحلة كبيرة الى شرق افريقية مع دوق جلو ستر ولكن بعد اتمام الاستعدادات توفيت جدته الملكة الكسندرا . فاعتكف فى بريطانيا حتى ديسمبر سنة ١٩٢٨ فابتدأت الرحلة وبرفقته الجنرال ج . ف . تروتر « وكان يلازمه دائما فى كل رحلاته » . وكولونيل دى هن . وبيرس ولبج . ومستر ادوارد بروك ومستر ا . ف . لاسلس . عن طريق مرسيليا والاسكندرية

وفى الاخيرة استقبله المندوب السامى وأحضر له الحاوي « جالى . جالى » لأخراج الفراخ والبيض من أنف مساعديه

وفى اليوم الثانى زار الملك فؤاد فى قصر رأس التين ومن ثم المتحف المصرى ولعب

الجولف فى سفح الأهرام . ومن ثم إلى بورسودان الشديدة القيظ . وعرج على الأحراش لصيد الأسد

وفى أثناء الرحلة عند دودما . بين طهرا ودار السلام ، سمع لأول مرة بانحراف صحة الملك جورج الخامس . وسارت الرحلة فى مجراها وصيد الجاموس البرى على قدم وساق . لأن أخبار والده مازالت مطمئنة . وهو يخاطر فى هذا الصعيد . محبا للحياة البرية . ومن المغامرات التى كاد يفقد حياته فيها تلك المحاولة التى وجد فيها فيلا متوحشا اندفع من فوق الأكمة يريد افتراسه . فانذره رفقاؤه من الوحش القادم ولكنه لم يعبأ . اذ كان مهتما بالكاميرا . والفيل مسرع حتى كان على بعد أقل من خمسة عشر مترا . فأصابه رفقاؤه برصاصة سقط بعدها قتيلا . ولولا يقظتهم لفقد حياته . وإنه يعوزنا الكثير لنسرد تلك المغامرات التى تدلنا على عدم اكتراثه بها مهما كانت خطيرة . غير مهتم بوظيفته ومركزه فى الدولة

فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩ بينما هو فى الغابة يمرح وصلت رسالة عند كوندوا منبئة بخطورة مرض والده . وفى ٢٨ نوفمبر الساعة ٤ صباحا سافر بالقطار الى دار السلام . وبعد ثلاثة أيام عدن . وبعد يومين السويس ويومين بورسعيد . وهاهى السفينة « رنيون » مسرعة فى جو ردىء وبحر متلاطم الأمواج ، وصلت الى برنديزي فى ١٠ ديسمبر وهناك قابله سير جود فرى ترماس بالأخبار المطمئنة . قطار خاص من الحكومة الايطالية حتى كان يوم ١١ ديسمبر الساعة ١١ ونصف مساء فى محطة فكتوريا . اذ وجد أخبارا سارة . دخل قصر بكنجهام ، بعد فترة وجيزة أراد والده أن يسمع أخبار الفيلة

لم يكد الملك جورج الخامس يسترد بعض صحته حتى حن وريثه إلى اتمام رحلة افريقية وغيرها فأبحر فى ٣ يناير سنة ١٩٣٠ الى افريقية وأصيب هذه المرة بالحمى فى بحر الجبل . ورجع سريعا عن طريق الخرطوم واسوان فالقاهرة ثم أبحر من بورسعيد

شفى من مرضه فعاوده حنين السفر ، فيمم شطر ارجنتين لزيارتها مرة ثانية عام ١٩٣١ وكان الامير قد سافر اليها من قبل سنة ١٩٢٥ ، ثم وصل أول مارس فقابله الرئيس اريبرو . ومن ثم قصد الى برمودا وجاميكا ، وبناما ، وهافانا ، وبوليفيا وبيرو وشيلى

رياضته

إن الملك السابق ادوارد الثامن رياضى إلى أقصى حد . يطير ويركب الخيل . وكم من مرة غامر فى ذلك . فهو محب للسرعة . وقد أنبىء أن هذه المجازفات لاتليق بوارث للعرش . أما عن الرقص فحدث

عنه ولا حرج فهو نابغة فيه حتى أن كل من تراقصه تصرح بأنه فضلا عن شخصيته فانه يسر شريكته إذ يرقص بغرام وحماسة . يحب منه الفوكس تروت ويبغض التانجو وهو أول من رقص فى أوربا تقريبا رقصة « البلاك بوتوم » التى رآها فى أمريكا إبان زيارته لها . وهو صياد سمك ماهر . وعازف وموسيقى بارع

هل فى قدرته الزواج ؟

أظن أنه من رغبة كل شخص وقد عرف مامضى عن حياة ادوارد الثامن ، أن يتساءل عن أمر زواجه وهذا السؤال لايحتاج إلى كثير من المتاعب للاجابة عليه . اذ هو واضح دون شك . فالملك رجل فى قدرته الزواج . وأما لمَ لم يتزوج الى الآن وقد تولى عرش الامبراطورية ؟ ذلك لأنه لم يقابل المرأة التى يرغب فى أن تكون امرأته « وقد وقع اختياره على مسز سمبسون ونزل بسببها فى ديسمبر سنة ١٩٣٦ عن العرش » . ولقد أثير موضوع زواجه هذا عام ١٩٣٢ . وقد اتخذ أحد أصدقائه بازيل مين على عاتقه أن يخاطب الامير فى ذلك قائلا « بما أن أمير ويلس بلغ الثانية والاربعين فمسألة زواجه هذه خطرة ويجب أن تسوى الآن لأن ذلك لايتعلق بنفسه هو أو والديه أنفسهما بل يتعلق بسعادة عديد الملايين من رعاياه »

ولقد كان أمر اصراره على عدم الزواج سراً خفيا ، وحاول الكثيرون معرفته وترددت اشاعات وأقاويل وهذا الامر جد دقيق فكنت إذا أردت جرح شعوره حتى تثير غضبه ، فما عليك إلا أن تسأله « لمَ لم تتزوج إلى الآن ؟ » وظن البعض انه يكره النساء ولكن الواقع انه مغرم بصحبة السيدات والفتيات الجميلات . ولكن الواقع والحقيقة التى لا ريب فيها أن طبيعته تأبى عليه زواجا رسميا وألا يسمح له بالزواج إذا أحب ، ومتى أحب تزوج مهما كانت العقبات (وقد حدث فعلا إذ أحب مسز سمبسون)

تطلع هو وأصدقاؤه فى أنحاء أوربا فاذا بجماعة فتيات جديرات بالانتخاب ، ورغم المحاولات العائلية ، كان له رأيه الخاص . ووجد حل واحد ولو أنه ذو صعوبة على الملك لا يستطاع تنفيذه « إنه من المستحب لدى الشعب البريطانى ، بل ومما يسعد جميع الناطقين باللغة الانجليزية والشعب يرغب فيه بكل الحاح ، ولا يرغب بديلا غير ذلك ، أن يرى مليكه مقترنا بفتاة انجليزية ويعتقد كل الاعتقاد أن بين نبيلات البلاد الارستقراطيات من تستحق عن جدارة وبكل وقار أن تكون ملكة بريطانيا المقبلة »

ولقد قاوم كل محاولات لارغامه على الزواج ، فكان يرحل إلى الخارج هربا من تساؤل المتسائلين

ووساطة الآخرين ، إذ يرغب فى أن يكون هذا الموضوع فى عداد النسيان . وفى إبان رحلاته الأولى ، وكان فى مستهل رجولته ، كان موضع الاشاعات والاقاويل أينما حط رحاله . سواء أ كان فى ايطاليا أم فى أمريكا

ولقد رددت الصحف الامريكية دون سواها هذا الموضوع منذ رحلته إلى الدنيا الجديدة ، حتى دارت الايام دورتها وتزوج شقيقه دوق كنت ، فأ كثرت من الاشاعات

ويقول المقربون اليه أن « الزواج المتكافىء » لم يكن يوما ما محلا لاهتمام جدي لدى الملك إذ يعتقد اعتقاداً كلياً أن ذلك الوقت ، الذى كان تتخذ الامم أمر الزواج كمحاولة للتوازن الدولى قد مضى . أما الآن فلم تكن المحالفة لزواجه بأعظم قيمة من سائر المعاهدات . ثم يقولون أيضا انهم باستطاعتهم أن يذكروا دون مواربة أن الملك ليس فى حاجة إلى زواج لا يتصل بالحب والعاطفة

ويدافع بازيل مين عن نظريته هذه فى كتابه ، وهو فى الواقع يدافع عن زواج الملك المقبل من عامة الشعب ، (وقد صحت هذه النظرية عام ١٩٣٦) بقوله «ان بيت وندسور يوحى المحبة والاخلاص للنهاية لأمور شتى يتصف بها أفراده ، فلا يؤثر فى محبته أى زواج أو يقلل من هيبته . واستدل على زواج دوق يورك « جورج السادس الآن» من خارج نطاق الدائرة الملكية وذكر بعض أمثلة من زواج أميرات برجال عامة الشعب ثم استدل على أن العائلة المالكة تسير فى مجري منحدر الى الاوساط الشعبية وبالاختصار فهو لا يميل الى اتباع التقاليد المرعية فى هذه الاحوال وهذا كان محل اعتراض شديد من المستر بلدوين المحافظ على التقاليد المرعية

ويظهر لنا جليا من أقوال بازيل مين أنه من أنصار زواج الملك من عامة الشعب وبين الفرق بين تقاليد القرون السابقة وبين تقاليد عام سنة ١٩٣٦ « وهو عام تأليف كتابه كما أطلقت» عام الديمقراطية الصحيحة ، وبما انه كان من مرافقيه فنلاحظ بين تضاعيف سطور كتابته نظرة الملك الصحيحة الى الزواج ، الامر الذى تم فعلا فى ديسمبر سنة ١٩٣٦ « أى بعد الانتهاء من هذه الكتابة التى دونها بأشهر قليلة » . ثم دافع عن هذا الزواج من الوجهة الدينية من أنه لا يمنع أن يتزوج الملك من تعتقد على غير اعتقاده المذهبي ، وضرب أمثلة عديدة من أن أحد ملوك بيت كوبرج صار كاثوليكيا ليتزوج ملكة البرتغال ، كما أن الزواج كان يقصد منه تحطيم المحالفات العسكرية دون التفات الى الدين وأ كبر برهان على ذلك هو زواج ابنة عم الملكة فكتوريا البروتستنتية بملك سردينيا الكاثوليكى

ويحسن بنا أن نذكر مسجلين، تلك العقيدة التى سادت فى بريطانيا حقبا طويلة . وكانت الايام

كفيلة بصحتها وهى « ان أميرويلس الاعزب الذى له أخ أصغر منه ذو زوج وأطفال لن يعتلى العرش أو يمكث عليه ، إذ أن دوق يورك سينهج منهاج والده جورج الخامس ، معتليا عرشه ، بل ويعتقد البعض أن الملك لن يتزوج » ويظهر أن الكتاب جميعهم قد صحت نظريتهم فى كل شيء عدا هذه العقيدة ، فقد نددوا بالذين يؤمنون بهذه الخرافة وذكروا لهم أن الملك قد اعتلى العرش ولكن لو دري بازيل مين أن العقيدة ستتحقق قبل أن يجف مداد كتابه لما أجهد نفسه بالشماتة فى المؤمنين بها .

ولقد أظهرت الايام الماضية أن الملكة مارى كانت من المؤمنين بهذه العقيدة ايضا وهذا يعلل سبب اهتمامها بأمر تربية ابنة دوق يورك الكبرى والآن ولية العهد اليصابات

عطفه على العمال

الآن وقد انتهينا من أمر زواجه نعرج على أمر مهم له خطورته . وهو عطف الملك على الحركة الاشتراكية وحبه لمساعدة العمال ، الامر الذى أغضب أصحاب رؤوس الأموال البريطانيين ولقد ذكرت الصحف أموراً وقت حدوث التجربة المعروفة ، فمنهاما ذكرت ان أمر الزواج لم يكن السبب المباشر لنزوله بل اتخذت ستارا فقط تخفى وراءها الحقائق المؤلمة . وأنها حملته دبرها الرأسماليون لان الملك ادوارد الثامن منذ شبابه يعتقد اعتقادا راسخا أن العمال فى حاجة إلى رعايته . ويظهر لنا هذا الاعتقاد بكل وضوح لو راجعنا دفاع بازيل مين عن نظرية الملك هذه إذ يقول بعد أن تكلم عن حالة اليأس والقنوط الشاملين نفوس العمال العاطلين وبعد أن حمل حملة شعواء على أولئك الذين كانوا يقفون حجر عثرة فى طريق الملك واظهار عطفه على هؤلاء البؤساء « يجب أن نقدس كل قبس من الضوء ينير هذه الحياة المليئة بالمآسى . وما الملك الا هذا القبس اذ يقول دائما أن لاولئك العاطلين واجبا مقدساً فى عنقه لا يستريح حتى يراهم سعداء »

ولقد تضمنت كل خطبة تشجيعا لهؤلاء العمال وحثا للاغنياء وأصحاب رؤوس الاموال أن ينزلوا قليلا عن ثرائهم لمساعدة أولئك البؤساء حيث خطب ابان تجواله بينهم « . . . يجب علينا جميعاً أن نؤدى الواجب حيال هؤلاء الذين يبحثون عن عمل » إلى أن قال « هذا هو الدين الذى علينا لهؤلاء الذين أوجدوا لنا نشوة الظفر فى الحروب ، فيجب أن لا ينسوا أو يهملوا حينما نكون فى آمان وسعادة وحرية »

والواقع أن عطفه ليس على العمال وحدهم بل هو على كل فئة تحتاج إلى المساعدة كالمحاربين القدماء والذين شوهوا فى الحرب . وقد تضمنت خطبته المذكورة ذلك ، كما أنه كان يعمل على رفع

ظلم أصحاب الضياع والمزارع الواسعة عن كاهل الفلاح المسكين والعمل على رفاهيته . ويمكننا أن نفهم من خطبه العديدة انه كان يحارب عن عقيدة أولئك الذين يجمعون المال دون أن يشفقوا على البؤساء « فمن الخطأ أن نبنى المستقبل منفصلا انفصالا كليا عن الماضى ، يجب أن نفهم أن المال وجمعه معناهما الا كثار من المسئوليات »

لقد أمضى الأيام التى كانت بعد زواج دوق كنت متنقلا بين ربوع أماكن الصناعة والصناع إذ زار شركة الجرامافون وقضى خمس ساعات بين جدرانها ، كما زار درهام وفى ذلك يقول شيخ هذه الناحية المستر سمث « سألنى الأمير بكل الحاح عن الأساليب المفصلة التى نستعملها ونعالج بها البطالة وقد أخبرنى كما أخبر كل موظف أن نعمل على استخدام هؤلاء لأنهم دعامة كل شىء ، ومع أنه كان مصدقا قولى ، إلا أنه طلب الحقائق والأرقام » أليس هذا أكبر عطف ؟ »

ولقد كان ينبث بين العمال ويحادثهم وينفرد بهم إذ عند بليشوب أوكلاند وقف بعض الوقت يحادث عشرين رجلا كانوا خالين من العمل والتحقوا بفضل مجهوداته وعطفه حيث قال لهم « أؤمل أن تسير الأحوال كما ترومون أيها الاخوان ، انكم تعملون حسنا لو عملتم مثل هذا العمل ، ولو أنكم تستحقون أفضل » ولقد كانت لجولاته رنة ردد صداها مجلس العموم واستبشر بها نواب الشباب

وما فتىء يردد قوله من آن لآخر « . . . إلى المدارس والأبنية التى يقام فيها القداس عندما يكونون أطفالا ، والمستشفيات التى فيها يعالجون عند مرضهم » إلي أن قال « نحن اليوم لا نعيش فى العصر الفكتورى أو الادواردي ، إنما نحن نعيش ، بتأثير نتائج الحرب العالمية ، فى عالم أكثر تعاونا والمال الآن موزع فى جميع أنحاء المملكة خير مما مضى ، ونحن الآن ، الصانع والتاجر ، نتعاون فى تكوين المجتمع »

ولقد عمل على تكوين هيئات لبناء أمكنة واصلاح الحى الشرقى « ليدز هوسنج ترست ليمتد » من رئيس أساقفة يورك ، ورئيس الكنيسة الكاثوليكية ولورد موينهام ولورد هاليفاكس كما افتتح مشروع البناء « ر . إ . ساسون هوس » فى طريق سانت مريا - بكهام . ولقد نشطت تلك الحركات المباركة حتى أنتجت الي ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٣٤ ما يوازى ما عمل منذ ستين سنة من اعداد بناء خمسين الف بناء وفى ذلك يقول سير صموئيل هور الوزير « انها حقاً لفرصة طيبة لأولئك المخلصين والمحسنين الذين يرغبون فى تجديد تلك الأزقة »

ويعوزنا الكثير كما يقول « بازيل مين » لتعداد الاصلاحات التى كان يعملها فى سبيل راحة الطبقة العاملة والفقيرة . حتى كان حقا جاراً طيبا ومحاميا مخلصا لهؤلاء

وأما عطفه على الفلاح فيتمثل فى اصلاح وسعادة سكان دوقيه كرنوول . يزور المزارعين ويعمل على اصلاح بيوتهم ومحاربة العقيدة الراسخة لدى الملاك أنه لا فائدة من تهيئة الحمام للفلاح ما دام يستعمله مخزنا للفحم

ولقد كان مزارعا مجتهدا . يصدر الماشية ويبيع الزهور فى أسواق لندن . حتى الملكة ماري بحثت عن نوع من الزهور نادر الوجود . فلم يكن الا فى مزرعته . ومع كل لم يكن يوما ما رجلا ماليا بمعنى الكلمة وقبل أن نختتم هذا البحث يحسن أن نبين ان الملك ادوارد الثامن يبغض الحكم لد كتاتوري ويميل الى أن يرفع الحواجز التى بين الملكية ورعيتها وهو يكره الحروب ويبغضها لأنها كما يقول تترك من المآسى والذكريات المؤلمة أشدها . كما أنه يرغب فى تدعيم عصبة الامم على حالة من المساواة غير ما هى عليه وكل هذا يتمثل فى خطبه التى ألقاها ابان رحلاته العديدة من خطبة سدنى فى ١٦ يونية سنة ١٩٢٠ الى خطبة العرش التى ألقاها يوم ٢١ يناير سنة ١٩٣٦

ويقول بازيل مين عن رحلاته بعد اليوبيل الفضى لوالده عام ١٩٣٥ . أنه حن بعد ذلك الى الرحيل ثانية فذهب الى أواسط أوربا فبعد ان أقام فى اسبانيا عدة أسابيع ذهب الى بودابست وفرح المجريون لزيارته . ولقد كانت رحلاته بين ربوع القارة الاوربية دراسية محضة فى جميع الشئون وخاصة السياسية . ابان اشتداد الازمة الدولية . فلما رجع الى انجلترا كان على معرفة تامة بجميع المشكلات القائمه . وفى أثناء الاسابيع الاخيرة « يتكلم المؤلف عن أول يناير سنة ١٩٣٦ » استمر على منهاج حياته السالفة . ولقد كنا ملازمين له . اللهم الا فى فترات عيد الميلاد . التى كان يقضيها كنمرد من عائلة ساندرنجهام ومن ثم يعود الى لندن فنقضى الاوقات فى فرح وسرور متنقلين بين المسارح ودور السينما . حتى تلقى النبأ المحزن . حيث مات الملك . فاحتجب عنا

وفى هذه المحنة المحزنة فى ٢١ يناير سنة ١٩٣٦ . سمعنا بتوليه العرش ومن ثم خطبته . ولقد كانت رغبته أن يعمل على تشجيع الصداقة الانجليزية الالمانية

هذا هو مجمل تاريخ دوق وندسون الآن حتى حدثت التجربة المعروفة . وفى هذا التاريخ العبر العظات . وقد انكشف امامنا كل ما كان بعيدا عن الحقيقة . استقيناه من أوثق المصادر التى يعول على صحة كتابتها وبعدها عن التهويل والتضليل

البيت و العالم

قصة اجتماعية للفيلسوف الشاعر الكبير « رابندرانات طاغور »

. . . أما أنا فى قراءتى لهذا الكتاب تركت العالم وجعلت من نفسى عالما آخر ، ولكن ما الذى دعانى إلى ذلك ؟ سؤال خامرنى — كثيراً — الجواب عليه . وكان فى الجواب شىء غير قليل من المغالطة ناتج أحيانا من فلسفة الشباب وحدته ، وتارة من قصور الفكر لفهم آراء الفلاسفة العميقة . كان يتبادر إلى ذهنى أن أسائل نفسى لم أدع العالم الرحيب وفيه ما أريد من كتب شتى ، وفلسفات مختلفة ، ومخلوقات جمة لا عدد لها كان يمكننى ان أجد لديها ما أبتغى ثم أمضى إلى عالم صغير يضم شيئا قليلا من المعانى والأشكال ؟ هذه رعونة وحمق ! وفهم خاطىء لكنه الكون ، وهيولى الحياة ، ثم أرجع الى نفسى باللوم وأقول : يالى من جاهل أدع الحقائق واللباب واذهب أستمسك بالخيال والقشور ، دارساً بعض ما فى هذا العالم الصغير من حقائق صغيرة ، كما أنى أكرر رجوعى الى نفسى لأناقشها الحساب ، ولم هى تنعت الكتب بعالم صغير وهذا المعمور الفسيح بعالم كبير ؟ ! أفليس الصغير نتاج الكبير والكبير نتاج الصغير ! وهذه هى السنة التى اختطها الله ليسير عليها الخلق ، فاذا كان كذلك فلا غرابة أن أترك العالم الى عوالم أخرى !

أتدرى ؟ لم تركت العالم أثناء قراءتى لهذا الكتاب ؟ تركته لأدرس سفراً خالداً يتحدث عن عالمين خطيرين كل منهما وليد الآخر ولا يكمل الا بقرينه ، يتحدث عن عالمى : « اللانهائى الكبير » الذى تركته وعن عالم آخر هو « البيت » فمن هذا تكون العالم ، ولولا العالم لما وجد البيت ولما كان له شأن يذكر

* * *

يملكنى الشك كثيراً إذا درست فيلسوفا وربما يتعدى الشك الى الانكار ، ويستولى على البغض للفلاسفة والكاتبين ، وأنا أشك فى عظمتهم وأنكر فلسفتهم وأحب أن أدرس الحياة على حقيقتها فى ضوء الحرية والنور ، لا على الكتب وبطون المجلدات فى أضواء السطور ، لذا أجد فى الاتصال بالناس والمحسوسات ، أما أولئك الذين يدعون أنهم يتعمقون فى أسرار الكون وهم فى عقر دورهم فهم كاذبون ، وأنا أوافقهم اذا أرادوا بالكون هذه الجدر التى تحيط بهم فهم درسوا — حقيقة — ما فيه وتعمقوا فى أسراره ، ولكن أي فيلسوف نعنى به فى جملتنا هذه ؟

نعنى به ذلك الذى لا يعرف من الفلسفة الا التضليل والهراء ، ولا يتكلم — بل لا يقدر على التكلم — عن الحياة وأسرار الطبيعة وما فى الكون فيذهب يعبث بالتكلم على هامش الحياة ويكتفى منها بالاعراض والظواهر . أما أولئك الفلاسفة الذين سموا بفلسفتهم إلى سماء بعيدة من الرفعة كافلاطون والغزالى وابن رشد فبيوتهم لانهائية غير محدودة تتقمص الكون ،وما بيوتهم إلا هذا العالم اللانهائى ، وفيلسوفنا طاغور من هـذا الطراز ، ليس من ذلك النوع الذى درس ما فى الكون فى عقر داره ، وجعل نفسه حبيسة جداره ، بل انطلق فى الغابات الفسيحة يتأمل عظمة الله وقوته الماثلتين فيها وشاهد القوة الالهية فقعد ثمة يتلو صلواته وتسبيحاته وأخذ فى ترتيل أوراده وأناشيده وأطلق فى السماء مزاميره المشجية تصعد إلى عالم غير محدود ، يحملها الاثير اليه ، حتى صار روحيا بحتا ، ثم مضى راحلا إلى أقطار الارض يجوبها حتى يشهد صنع الله وابداعه فيتعمق فى الاعتقاد ويسترسل فى العبادة ويمعن فى الخضوع حتى وصل به الطواف الى « أوربا » صاحبة السيادة والنفوذ، والقوه والسيطرة، ورأى بها المدينة التى تتسم بالجديدة والتى ينعتها العقلاء بالحضارة المادية وخصها لخص حكيم خبير ، ثم آب وهو ساخط ثائر كثير التفكير ، مشغول الخاطر ،ينظر الى الانسانية والى مصيرها فيجد فى نظراتها أمارات التوسل خشية أن تهلك ، فيغرق فى ثورته على تلك الحضارة المادية التى أنبتتها « أوربا » وكلما سمح الوقت لطاغور يتصل بالنفوس يختبرها والحياة يبتليها وهو فى كل ذلك موفق جد التوفيق . لا يضل ولا يشط

وطاغور يمكنك أن تعرف مذهبه فى الحياة ونظره اليها بتطبيق قول الاستاذ والشاعر عباس محمود العقاد اذ يقول :

زاهد الهند نعى الدنيا وصام	أنا أنعاها ولكن لا أصوم
طامع الغرب رعى الدنيا وهام	أنا أرعاها ولكن لا أهيم !
من كل هذين لنا حد قوام	وليلم من كل حزب من يلوم

ويجب عليك أن تلاحظ فى طاغور صفة بارزة وهى التغلغل فى الاشياء التى يبحث فيها والتعمق فى فلسفته ، ويجب عليك أن تلاحظ أن تغلغله وتعمقه لا يرتكزان على الغموض والاغراب ، وفلسفته ليست معقدة متعبة ، بل هى مقرونة دائما بالبساطة والوداعة كما انها واضحة لذيذة لاتصالها بالطبيعة اتصالا وثيقا ، واذا بلوت نفسيته وفكرت فيما يكتب ألفيته يميل الى الراحة والهدوء ، وألفيت نفسه ثائرة ولكن لا تسمع صخبا وضجيجا ، بل تجد فى ثورته كل معانى الدعة والحبور . وليس غريبا منه اذا رأيته داعية من دعاة السلام يريد من المجتمع الانسانى أن ينتسبوا الى وطن واحد ، وألا تكون ثمة فوارق وصبغات وطنية ، فالارض كلها وطن الانسان . ومن تقسيمها الى

أقاليم تمخضت العصبيات والحروب ، والمناوأة والعداء ، وتعددت المذاهب والاديان ، ففى البلد الواحد تجد الاسلام حيث النصرانية تأخذ محلها وحيث اليهودية تبدأ تبرز الى الوجود ، ولو اعتنق الناس الدين الذى يمشى مع حياتهم ويوائمها ويضمن لهم سعادة الحياة لكانوا كلهم تظهر عليهم سمة « التوحيد » ولو عدمت الاحزاب ولم توجد المذاهب المتعددة لرأيت البشر فى خير شامل عميم ، ولو نظر الناس الى الانسانية نظرة انسانية والى المجتمع نظرة اجتماعية لما رأيت فى الحياة سوى السلام يسود

وهاتان النظرتان مؤتلفتان جد الائتلاف ، اذ الانسان لا يرفع له وزن ما لم يكن المجتمع ، والمجتمع نتيجة لائتلاف الناس والتكوين منهم جمعية انسانية تسمو بسموها الحياة وتنحط بانحطاطها فالاول نظرة عميقة نحو الحياة من الناحية السامية ، والحب فيها اول ما تتطلبه ، وتبادل المنافع العامة المشتركة غايتها ، اذ الانسان لا يحب لنفسه الا كل خير وسعادة ، فاذا انعكس هذا الحب فى النفوس واحتل مكانه كل قلب انسانى كان من المحتم ان يكون حبيبا له الخير بغيضاً اليه الشر ، وهو انانى اثر ، فاذا كانت الانانية الممقوتة والاثرة الخبيثة مفقودتين من نفسه فنظرته حينذاك تكون انسانية نبيلة ، وهى من دأبها الحكم على الموجودات حكما انسانيا نبيلا ، أما النظرة الاجتماعية فظرة تبادل شعور واحساس مقدسين مع اخوانه أفضل التقديس لابد أن يسود سلام شامل ، ولا نسمع للمشاكل التى تحدث بين الامم لأتفه الاسباب وأحقر الحوادث صوتا داويا يتأثر منه العالم

هذه فلسفة طاغور ، وليس غريبا أن تتوجه فلسفته نحو السلام فقد أثرت فى نفسه النباتات التى يكثر من تناولها ، والفواكه الناضجة التى يستلذها ، كما أن البقعة التى يعيش فيها بقعة ذات هواء لطيف ، وكما أن غابات الهند الرهيبة ونهر البنغال الرطيب ، كان لهما أثر بالغ فى نفسه فنشأ ذلك الفيلسوف الوديع الهادىء

أما أدب فيلسوف الهند فهو أدب عميق روحانى يتصل بالنفس من الجهة الروحية السامية ، ويعبر عنها تعبيرا روحيا يري ان اندماجه فى الكون المثل الأعلى للحياة ، إذ الكون تسمو حياته ولا نهاية لها ، أما الانسان فالحياة فيه محدودة ، فالجزء الذى هو عبارة عن « الانسان » إذا اندمج فى الكل الذى هو عبارة عن « الكون » يكون السير منتظما ، وهنالك تتمتع النفس البشرية بحياة كلها مثل عليا . إذ باندماجها فى الكون واتحادها مع الكل تضمن لنفسها السعادة والبقاء ، وبالائتلاف مع اللانهاية تنال السلام الأبدى ، وهذا هو الغاية التى تجد الانسانية فى السير لبلوغها ، وتدأب فى قطع الطريق اليها

لذا نرى أدب الهند أدبا يتصل بالطبيعة اتصالا وثيقا ، فالقارىء لكتاب « ريج فيدا » يشعر بالبساطة فيلفى نفسه بسيطة مألوفة تناجى إلهتها مناجاة المتصوف ، وتهزج بأنشودة الاعتراف بالألوهية لا تكلف ولا إغراب ، وأقل ما يجده القارىء فى هذا الكتاب هزات فى نبضات القلب تنكشف لها الحقائق واضحة جلية ، وليست هذه الهزات هزات روع ووجل . إنما شعور سام واحساس دقيق . وهذا الكتاب أناشيد دينية تتجاوز الألف وكلها من نمط الشعر العالى. وحسبك ان معنى الـ « ريج فيدا » هو « تقديس الأمور المقدسة وأطراؤها »

والـ « سادهانا » . « اثبات هيولى الحياة » محاضرات ألقيت فى البنغال وبعضها فى جامعة هارفارد الاميركية وبعضها بأوربا . يتجه الفكر فيها الى نواحى الحياة الكثيرة من تقرير النظريات واثبات البراهين والتكلم على . الحب والجمال ، والخير والشر ، والانسان والكون ، وغير ذلك من حيث احساس النفس بها وشعورها بالحياة معضداً آراءه بعبارات مقتبسة من كتاب مقدس من كتب الهند المقدسة القديمة (اليوبانيشاد) ويذهب فى تعضيدها مذهبا خاصا مع حل ألغاز الفلسفة الهندية — إذا صح ان بالفلسفة الهندية الغازا — حلا سهلا

والفيلسوف الهندى فى تكلمه عن الكون والانسان ، والخير والشر ، والسعادة والشقاء ، والحب والجمال ، ناسك متصوف ، متورع زاهد ، ولكن هذا لا يمنعه من أن ينظر اليها نظرة عصرية حادة تشف له عما وراء المادة كما تظهر أمام ناظريه الروحية البحتة

هذه كلمتنا عن طاغور. فلسفته وأدبه أوحتها الينا قراءتنا لكتابه : « البيت والعالم » وكنت قد قرأته قبل سنة ونصف سنة قراءة طالب لم يعد فهمه ظواهر الأشياء الملموسة ، وقرأته قبل سنة فى لغة طاغور مع بعض أصدقائى الذين لهم اتصال جد وثيق واطلاع كبير على الأدب الهندى الرائع وسمعناه يتحدث الينا فاه الى أفواهنا فى بشر وانشراح عن الحياة وما فيها من الموجودات ، كما وجدناه فى أناشيده يهزج بها هزجا مبدعا سكن فى الآذان موسيقاه ، حتى اننا كلما تذكرناه شعرنا برقة تلك النغمات المعسولة فى أسماعنا ، والآن قرأته تحت سماء « الطائف » الصافية المجلوة فى لغتى العربية معربا بقلم الروائى المبدع الاستاذ طانيوس عبده فوددت أن أكتب عن طاغور وعن الكتاب حتى أكون بذلك مؤديا بعض ما للأدب العربى والادباء من واجب ، وليطلع الكتاب على فلسفته الرائعة وأدبه السامى

* * *

« البيت والعالم »

تجد فيه صراعا عنيفا قائما بين العقل والعاطفة . والخير والشر ، والقديم والحديث ، وبين تقاليد

الهند — حسنها وقبيحها — التى ورثتها عن الاسلاف وبين تقاليد أوربا ، وبين البيت الذى فيه النساء محتجبات لا يعرفن الحياة الخارجية وما هو خارج عن دورهن حتى ألفن هذا الجمود والسجن وفضلنه عن الحرية ، وبين البيت الحديث وما فيه من سفور وحرية . وكانت هذه الامور تسير سيراً طبيعياً . فلم ينهزم مبدأ أمام مبدأ ، انما انتصر كل ماله علاقة بالعصرية وصلة بالجديد انتصارا طيبا . فمثقفوا الهند محافظون مقلدون . محافظون على عوائدهم الدينية وغيرها ، مقلدون للأمم الغربية فى مصالحهم وما يرقى بهم فى حياتهم ، وبالجملة حافظوا على الدين وقلدوا فى أمور الدنيا ، وأنعم بمفكر كهذا لا يتعصب لمذهب ، ولا يرفض كل رأى إلا بعد فحصه ونقده والوثوق منه ، واليك حديثا جاء فى كتاب « البيت والعالم » بين السيدة « بيمالا » تتحدث الى زوجها « الراجا نيكهل » يدلك على عمق ما جاء فى الكتاب

قالت السيدة « بيمالا » : « فلما لفحتنى هذه المبادىء الوطنية بنارها قلت لزوجى : انى أريد أن أحرق جميع ما عندى من الملابس الاوربية

قال : لماذا تحرقينها وأنت تستطيعين أن لا تلبسيها

— انى لا ألبسها وأنا فى قيد الحياة

— لا تلبسيها ، ولكن أية فائدة من احراقها

— لماذا تحاول منعى عما أريد

— وأنت لماذا لا تبنين بدلا من أن تخربى

— ان الاندفاع فى التخريب يثير همة ما فى البناء

— انك كمن يقول : لا أستطيع انارة البيت إلا اذا أضرمت فى جوانبه النار (١)

واليك أنشودة للفيلسوف الاكبر شاعر الهند العظيم طاغور يخاطب فيها تينة وقعت على شاطىء النهر ، وقع اختيارنا لها لأنها تمثل البساطة والوداعة وتنضج سلالة وعذوبة ، وفى الوقت نفسه تدل على خصب الشاعرية وعمق التفكير والجمال الفنى

وعنوان الانشودة

تينة (٢)

ما الذى يدعوك للوقوف على سيف الجدول ؟ .

* * *

أين الطفل الغرير ؟ ! ...

---

(١) من تعريب الاستاذ طانيوس عبده (٢) من تعريب كاتب هذا المقال

٥

إنك شغلت عنه بالجدول الصخاب ، كما شغلت عن آنساتك الطيور . التى قطنت أغصانك المدنة الفينانة ، ثم مضت عنك كالسحاب ...

« * »

أين الطفل الغرير ؟ ! ...

يا طالما لبث يطيل النظر من نافذته سادرا من جذورك التى غادرت فى جوف الارض

اذكريه ! اذكريه !

* * *

والآن ، قد ترفقت فرميت ظلك على الماء

والنسوة القرويات أقبلن بالجرار ليملأنها

وذكاء الرحيمة بعثت ضوءها الذهبي اللامع على صفحة الجدول الزرقاء

وثمة على الحافة الشائكة سبحت وزتان جميلتان ، والطفل الغرير هادىء يتأمل أديم النهير البراق

* * *

ودّ الطفل لو ينقلب فؤاده نسمة حلوة تقبل أغصانك الطرية . ! وظلك الدائم طيلة اليوم على وجه الماء ، ويصير الطائر الغريد . يصعد الي قمتك العالية يعشش فيها . وأن يكون تينك الاوزتين اللتين تسبحان فى الماء ، وتستلذان بمنظر السماء . ! يحفهما الشوك ويلبسهما الظل الرحيب

ليته كل هذا . ! ! ليته . ! !

القاهرة أحمد عبد الغفور عطار

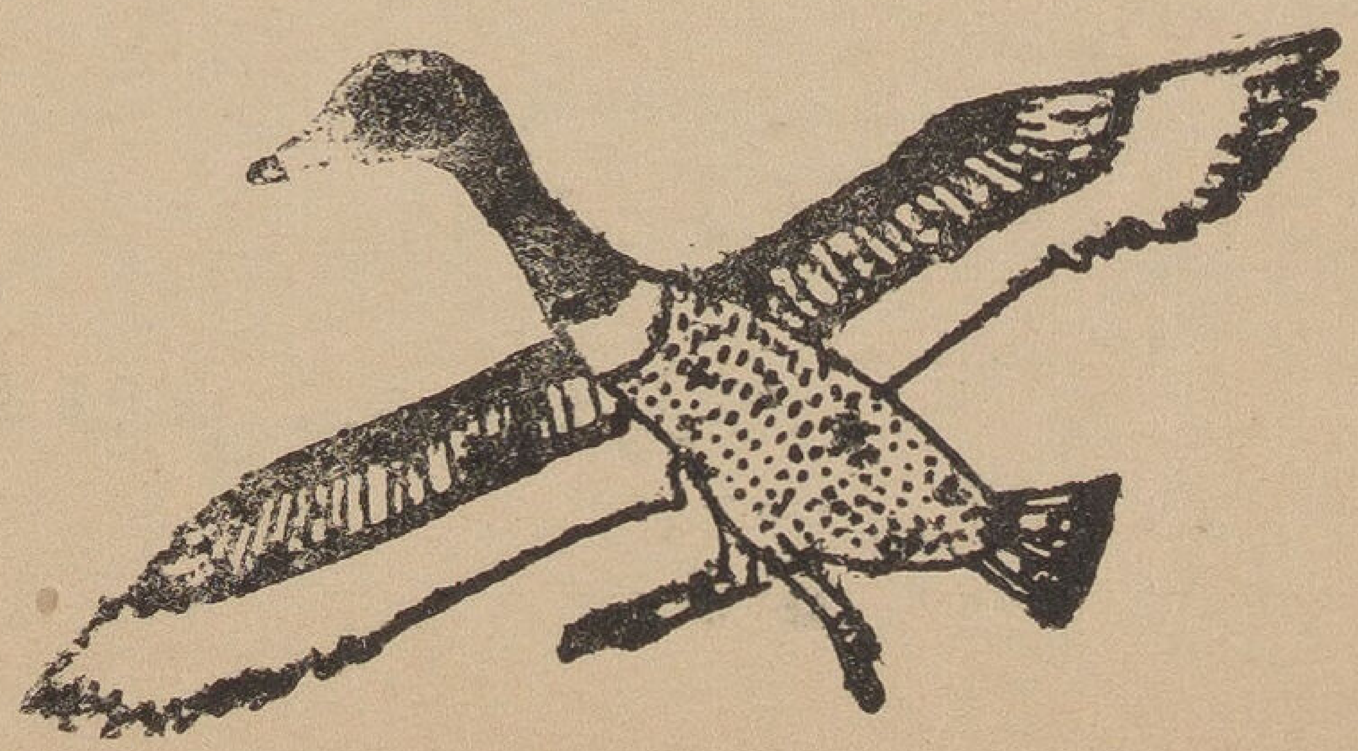

التليباثية وهل هى حقيقة

التليباثية أو تبادل الخواطر ، أو الشعور مع الغير عن بعد ، هو ذلك البحث الطريف على الدوام فمنذ الأجيال الأولى والناس لا يكفون عن ممارسته والسعى لاستدراك كهنه ، وهم يحاولون اليوم وضعه على أسس علمية صحيحة تجعله بعيداً عن شبهة الشك والارتياب

وقد توصل فعلا بعض العلماء المستنيرين الذين أرصدوا أنفسهم لاماطة اللثام عن حقيقة هذا الموضوع ، إلى قاعدة رياضية لا يتطرق اليها الشك من احدى النواحى

ومن هؤلاء الافذاذ الذين شغفوا بالتليباثية وقطعوا فى بحثها شوطا بعيدا ، الاستاذ ارنست هنت رايت . أحد مشاهير العلماء فى أمريكا فقد ذكر من التجارب التى قام بها ، انه جلس مرة عند طرف المائدة بينما جلست احدى السيدات عند الطرف الآخر وكان بينهما فوق المائدة حاجز خشبى عريض مرتفع بحيث يحول دون رؤية أحدهما الآخر . وكان أمام الأستاذ « رايت » مجموعة من أوراق اللعب « كوتشينة » مؤلفة من خمس وعشرين ورقة وجهها الى أسفل . وعند سؤاله السيدة عن هذه الأوراق ذكرتها ورقة ورقة كما لو كانت مبسوطة أمام عينيها

ثم أخذ الاستاذ الأوراق المذكورة وخلفها ببعضها « فنطها » ثم وضعها أمامه على المائدة وطلب من السيدة أن تذكرها له فذكرتها دون أن تخطىء فى واحدة منها

وأعاد الاستاذ هذه العملية عشرين مرة وأجابته السيدة فى كل منها دون أن تخطىء ، بل وبسرعة فائقة حتى ان كل هذه التجارب لم تستغرق أكثر من نصف ساعة

وهذا العمل وان بدا غريبا فى نظر الانسان العادى ، إلا أنه فى الواقع لا يدهش الشخص الذى مارس العناية ببعض هذه التجارب وتدرب عليها

وحتى نستطيع الوصول الى نتيجة إيجابية تتفق مع آراء هؤلاء العلماء يجب على المرء أن ينظر إلى الموضوع نظرة نزيهة غير مشوبة بالتحامل أو سوء التقدير . وليس معنى هذا أن نؤمن مقدما بصحة النظرية ، بل بالعكس ، فلنكن مرتابين فيها جهد طاقتنا ، ولكن علينا فى نفس الوقت أن نفتح عقولنا ونجعلها مستعدة لقبول الحقيقة متى ظهرت أمامنا . ولا يجب أن تحول الغرابة البادية فى هذه الحقيقة عن خضوعنا لها والايمان بها

اننا نستطيع أن نري العالم الذى نعيش فيه ، ونسمعه ونلمسه ونتذوقه ونشمه ، وذلك بواسطة حواسنا الخمس ، وليس لدينا طريقة أخرى لذلك سوي هذه الحواس ، فاذا فقدناها لم يعد ثم فرق

بيننا وبين الجماد . اذ نكون وقتئذ محرومين من الشعور وحاسة التنبه . فيصبح شأننا فى ذلك شأن الحجر الأصم الذى لا يحس ولا يعى

وقد أدرك البشر من تجارب القرون العديدة والأحقاب التى مرّ بها أن كل ماتعيه عقولنا قد مرّ أولا بحواسنا الخمس والتى لاطريق سواها لأفهامنا . وجميع المواد الأولية للمعرفة تأتى عن طريق هذه الحواس إلي عقولنا فتعطيها الصورة التى تلائمها

ان هناك فريقا كبيرا من الناس يقولون لنا أنهم حلموا أحلاما تحققت . سواء كان تحقيقها هذا فى الماضى أو فى الحاضر أم فى المستقبل . وقد سمعنا حكايات كثيرة عن قراءة الافكار . فى التعثر على المائدة والكتابة بيد غير منظورة ، « والشفاء بقوة الايمان » فيدخل فى روعنا أن هذه الأشياء نوع من المعجزات التى حفل بها التاريخ والأساطير . وانها خارجة عن نطاق الحواس الخمس ولكن هذا الظن خطأ محض . وانا نعود فنقول ان حواسنا هى الطريق الوحيد لكل هذا

واذا كنا رفعنا هذه الأمور إلى حد المعجزات ، فانما فعلنا ذلك لأنها تختلف عن الاعمال التى نمارسها كل يوم والتى اعتدنا أن نقوم بها من وقت لآخر

ويحسن أن نذكر هنا أن بعض العلماء الذين يشار اليهم بالبنان قاموا فى القرن الماضى بابحاث دقيقة فى بعض الحوادث فكانوا يخرجون منها أحيانا معتقدين أن بينها مالم يتوصل العلم بعد إلى ادراك كنهها . ولذلك لايمكن البت فيها بصفة قاطعة

بيد أن هناك أمورا نرويها لايمكن أن يتسرب اليها الشك اذ هى قائمة على حقيقة ثابتة هى نتيجة اختبارات طويلة . ان تكن بسيطة فهى من جهة أخرى علمية بحتة . والغرض منها معرفة ما اذا كان هناك ادراك يأتى عن طريق خلاف الحواس . أو بكلمة أخرى . إدراك فوق الطبيعى

وانا سنورد فيما يلى النتائج التى اسفرت منها عشرات آلاف الاختبارات التى أجريت لايضاح هذه المسألة . ولكن مما يجدر بنا ذكره الآن هو أن العلماء الذين قاموا بهذه الاختبارات أصبحوا يوقنون بصحة التليباثية ومعرفة الغيب . وقد زالت شكوكهم عن قيمتها . اذ رأوا انه قد توافرت لديهم الأدلة العلمية الكافية لتأييدها . وهذه الأدلة على متانتها بسيطة إلى حد أن شخصا عاميا على جانب من الذكاء يستطيع تفهمها

ومع ذلك فانا قبل الادلاء بهذه الأدلة سنورد أمورا تمهيدية لانرى مناصا من ذكرها لايضاح الطريق وللاهتداء بها عند الحاجة

١

كلنا نعلم ماذا يحدث اذا تناولنا قرشا مثلا وألقيناه فى الفضاء ثم أخذنا نتكهن عن كيفية

سقوطه . ان هذا القرش سيسقط طبعا على أحد وجهيه فتكهناتنا من كيفية سقوطه ستكون صادقة بنسبة ١ : ٢

فاذا ألقيناه مائة مرة فاننا سنصيب التقدير ٥٠ مرة ونخطىء بمقدار هذا العدد أيضا . وأن يمكن من المحتمل فى مثل هذا العدد الصغير أن تزيد أخطاؤنا الى ٦٠ أو تنقص الى ٤٠ . أما اذا زاد العدد الى ٥٠ ألفا مثلا فان نسبة الصواب تكون مساوية فى الغالب لنسبة الخطأ . وهكذا تتساوي النسبة المئوية كلما ازداد عدد الرميات

وعلى ضوء هذه الأرقام نستطيع أن نتوصل بواسطة تعدد الاختبارات وزيادتها إلى نسبة مئوية أفضل . وقد تمكن أشخاص مشهود لهم بالأمانة والصدق إلى نسبة مدهشة ، وهؤلاء الأشخاص من العلماء السيكولوجيين الحائزين لشهرة عالمية لا تنازع

٢

منذ ست سنوات تقريباً شرع الاستاذ جوزيف بانكز راين « الأستاذ بجامعة ديوك » فى القيام بطائفة كبيرة من الاختبارات بغية العلم بصفة قاطعة عما اذا كان هناك حقيقة شيء اسمه التليبائية أو معرفة الغيب . ويعاونه فى اختباراته هذه الاستاذ وليم ماك دوجال أحد كبار الأساتذه فى هذه الجامعة . ويشترك معهما كذلك كثيرون من الأساتذة . وبعض المتقدمين من الطلبة

وقد مضى الآن ست سنوات وهم يقومون بهذه الاختبارات بدون انقطاع حتى لقد أربى عددها على المائة الف . وهذه التجارب هى الآن فى دورها النهائى ولن يمضى وقت طويل حتى تعلن نتيجتها الملأ

وهى تجارب بسيطة جداً يمكن ضبطها ومعرفة نتيجتها بدقة وذلك بواسطة مجموعة من الأوراق تشبه تماما أوراق اللعب (الكوتشينة) التى نتداولها أما باطنها فيختلف عنها تماما إذ ليس فيها شيء من رسوم الملوك والملكات « الكوبة والبستونى » بل ان خمسا منها تحمل رسم دائرة . وخمسا أخري تحمل رسم صليب . وخمسا أخرى رسم مستطيل . وعلى خمس أخرى رسم نجم . والخمس الأوراق الباقية رسمت عليها خطوط منكسرة أشبه بالأمواج

وكل شخص يقوم باحدى هذه الاختبارات عليه أن يعرف هذه الأوراق واحدة واحدة دون أن ينظر اليها . وحكم المصادفة فى هذه الحالة هو أن تصيب الحقيقة مرة فى كل خمس مرات . ولكن المطلوب هو أن يصيب أكثر مما تتيحه له المصادفة . ولسنا فى حاجة إلى القول أن خلط هذه الأوراق « تفنيطها » يجب أن يتم بين وقت وآخر

وتوجد طرق متعددة لعمل الاختبار . من ذلك ان يتولى أحد الشخصين المشتركين فى هذه العملية الاطلاع على الأوراق واحدة فواحدة سائلا فى نفس الوقت الشخص الآخر عن كل منها بالتوالى . وفى هذه الحالة يستطيع أن يعرف ما اذا كان لدى هذا الشخص موهبة التليباثية أم معرفة الغيب أو أنه متمتع بالموهبتين معاً . لأنه بينما يطلع الشخص الأول على الورقة من شأن الشخص الثانى أن يعرف الورقة إما « بقراءة » عقل زميله وإما « برؤية » الورقة فى نفس عقله هو . أو انه يستعين بالاثنين معاً

وهناك طريقة أخرى تعمل فى الاختبار . هى أن يقوم الشخص الأول « المختبر » برفع الأوراق دون أن يطلع عليها حتى يذكرها الشخص الثانى « الذى هو موضع الاختبار » . فاذا أفلح هذا فى تسميتها فانه يكون لديه فى هذه الحالة موهبة معرفة الغيب إذ ليس هو ولا زميله قد اطلع على تلك الأوراق . وثم طريقة ثالثة أيضا وهى لا تستدعى أن يرفع الشخص الاول الاوراق أو يمد اليها يداً بل يطلب من الشخص الثانى أن يسميها ورقة ورقة بترتيب وضعها من أعلى إلى أسفل وهى فى مكانها على المائدة . وبالطبع يصير مراجعة ذلك على الاوراق بعد الفراغ من تسميتها . وهذه التجربة هى أيضا لمعرفة ما لدى الشخص من قوة معرفة الغيب

وتوجد طريقة رابعة تختلف عن الطرق الثلاث سالفة الذكر . وهى لا تحتاج إلى أوراق بتاتا بل يكفى فيها أن يتصور الشخص الاول « المختبر » ورقه من تلك الاوراق ثم يسأل عنها الشخص الثانى « الذي هو موضع الاختبار » . وفى هذه الحالة يكون الاختبار عبارة عن تليباثية محضة

وقد قام الاستاذ « راين » هو ومعاونوه بعشرات الآلاف من التجارب بهذه الطرق المختلفة . وقد استطاع الاشخاص الذين استخدمهم ليكونوا موضع الاختبار أن يصيبوا الغرض بعد زمن قصير بنسبة ٦ : ٢٥ . بل ان احد الطلبة فى جامعة ديوك واسمه لينابر استطاع أن يعرف ٢١ ورقة من ٤٥ فى حين انه لو اعتمد على المصادفة فقط لما أصاب أكثر من ٩ . وتمكن هذا الطالب مرة أخرى من معرفه ٢١ ورقة من ٢٥ . وكان بينها ١٥ ورقة متواليه

وهذه الارقام تدل صراحة على أن لا دخل للمصادفة فى معرفة هذه الاوراق ولكن التليباثية ومعرفة الغيب هما العامل الاساسى فى ذلك

أ

النهر المحبوس

يمكن أن نحبس مياه النهر الجارية بطريقتين . فقد نقيم بين شطيه سداً متعدد الفوهات التى نفتحها و نقفلها برائد المنفعة للرى مثلا . أو قد نقيم على المياه الساقطة من الفوهات آلات لتوليد القوة الكهربائية التى نستعملها فى اضاءة المنازل وادارة المصانع وتسيير القطرات وحرث الارض ، وعندئذ يعود هذا السد مفيدا

ولكننا قد نقيم سداً صامتا يندفع اليه التيارفيرتد على نفسه وكأنه يضرب نفسه وهوثائرهائج. ثم هو قد لا يطيق نفسه فيفيض على شطيه أو يهدمهما فيغرق ويتلف الوادى الخصيب على ضفتيه

وهذا هو ما يحدث لنا نحن البشر . فما من شهوة فى أنفسنا إلا وهى قوة تحتاج الى التنفيس . فاذا نفسنا عنها بنظام خرجت كما تخرج المياه من فوهات القناطر غايتها الخير والمنفعة . أما إذا حبسناها بسد صامت فانها تعود علينا بالضرر والتلف

فهذه سيدة قد غضبت من أحد الاشخاص هو زوجها أو ضرتها أو حماتها . وقامت فى نفسها شهوة الانتقام ولكنها حبستها . فهى وقت الشجار تضرب نفسها وتلطم خديها . أو هى تعود الى سريرها وقد انقلب التيار إلى جوفها فبطنها يهيض . أو لم تذكر اثنين يتشاجران بالكلام فقط فترتعش عضلات وجه أحدهما أو يده أو قدمه كأنه قد شل ؟

هذا هو التيار قد أقيم عليه سد صامت فهو يعود على نفسه فيضرب نفسه . وهذا فتى قد حبس الشهوة الجنسية فهو ينفجر هنا وهناك كالمجنون أو كالنهر حين تنفجر شطوطه وتنبثق مياهه فتراه يتهور ويندفع أو ينفذ الى أبواب سيئة من الرذيلة تخفف قوة التيار مهما كان فيها من التدمير لشخصه ولمن حوله من الناس

فيجب لهذا الا نحبس تيار الشهوات بسدود صامتة . بل يجب ان نقيم فى هذه السدود القناطر التى تتيح لنا استخدام التيار لمنفعة صاحبها ولخدمة الهيئة الاجتماعية . هذا اذا لم نستطع ترك التيار يسير فى مجراه بلا سدود

فاننا مثلا نشتهى السيطرة والتسلط . فاذا لم نستطعهما على الناس فليكن ذلك على الطبيعة بالعمل الجدي . ونحن نشتهى الجنس الآخر . فاذا لم يكن ذلك ممكنا فاننا يجب أن ننفس عن أنفسنا بما يقارب الحب الجنسى من ممارسة الفنون والصناعات الجميلة التى تجعلنا نشعر بالتفوق واللذة والرضا والنجاح . لأن فى معانى هذه الأشياء سيطرة مضمرة

وليست قوة النهر أعظم ولا أعنف فى نهايتها عقب حبسها من قوة الانسان . فان المياه بالمقابلة الى الشهوات جامدة هادئة . ولذلك نحن نؤذي أنفسنا بالحبس أكثر مما نتوهم . فقد يوضح لنا الزار عواقب حبس المرأة . ولكننا كلنا نمارس لونا مخففاً من الزار يبدو فى تهورات جنونية مختلفة أساسها حبس الشهوات التى لا تجيز لنا التقاليد اطلاقها ولا تجد منا تنظيما للتنفيس المفيد عنها كما يجد تيار النهر سدا قد أقيمت عليه القناطر المفيدة

س . م .

من الأدب الانجليزي

الحلم

تأليف القصصي الانجليزي و . سومرست موجام

وترجمة الأستاذ محمد عبد اللطيف حسن

فى أغسطس عام ١٩١٧ م ، كنت ملزما بالسفر من نيويورك الى بتروغراد عن طريق فلاديفو ستوك . وقد وضعت رحالى هناك فى صباح ذات يوم قائظ وأمضيت كل يومى أجول بين أنحائها المختلفة ، وسبلها المتعددة ، فى تراخ زائد ، وخمول شديد

وكان علىّ أن أسافر فى نفس هذا اليوم فى القطار الذى يقوم من هناك حوالى الساعة التاسعة مساء ، ولذلك فضلت أن أتناول عشائى فى مطعم المحطة . ولسوء حظى وجدته مزدحماً بدرجة لم أعهدها فيه من قبل ، فاضطررت أن أشارك رجلا روسياً فى مائدته الصغيرة التى كانت لا تتسع لأكثر من اثنين

وكان هذا الرجل طويل الجسم ، بدينه ، وله بطن كبير منتفخ . ولهذا السبب كان يجلس بعيداً عن المائدة بمسافة قصيرة ! !

ومن الغريب أن يديه كانتا صغيرتين بالنسبة إلى جسمه الضخم ! أما شعره فكان طويلا براقا أسود اللون ، ومرتباً بعناية ونظام بين مفرقيه ليخفى بشعراته القليلة رأسه الأصلع الكبير !

وكان وجهه الشاحب الضخم بذقنه الكبيرة المزدوجة ، يبعث الرعب والهلع فى قلب كل من يراه لأول وهلة ! أما أنفه فكان صغيراً إلى حد أنك لا تكاد تتميزه فى صفحة وجهه المنتفخ الاوداج إلا بعد طول تأمل وبحث ! ومما زاد فى قبح هذا الوجه وبشاعته وجود دمل كبير أحمر اللون فى احد جوانب أنفه !

وكان لهذا الرجل عينان سوداوان صغيرتا الحجم . أما فمه فكان كبيراً أحمر اللون مما يدل على أنه رجل قاس ، شرس الطباع . وكان مرتديا بذلة قذرة سوداء . ومع أن هذه البذلة لم تكن ممزقة إلا أنها على ما أعتقد لم تنظف ولم تعرف المكواة منذ أن وضعها على جسمه الضخم لأول مرة

وكانت الخدمة فى هذا المطعم سيئة للغاية فى تلك الليلة ، حتى لقد كان من الصعب على الانسان أن يلفت اليه أنظار احد الخدم الذين كانوا مشتتين بكثرة فى أرجاء المطعم

ولم نلبث - زميلي وأنا - أن بدأنا نتجاذب أطراف الحديث . ولحسن حظي وجدته يتكلم الانجليزية بسهولة وطلاقة كأحد أبنائها . ومع أن لهجته كانت تبدو متقطعة فى بعض الأحايين ، إلا أنها لم تكن شاقة على أى حال بالنسبة لى

وفى أثناء حديثنا ألقى عليّ عدة أسئلة عن نفسى وعن خططى ، فكنت أجيبه تارة بصراحة ، وطوراً ببعض المواربة ، لأن طبيعة عملى كانت تحتم عليّ إذ ذاك أن أكون متكتما بقدر مافى استطاعتى . ولما أخبرته أننى صحافى فكر برهة ثم سألنى قائلا :

— وهل تكتب قصصاً خيالية ياسيدى ؟

فلما أجبته أننى أفعل ذلك فى بعض فراغى ابتسم ابتسامة ضعيفة ثم بدأ يتكلم بلباقة وحذق عن حياة أشهر القصصيين الروسيين ، ويصف لى أهم أعمالهم الادبية ومبلغ أهميتها ، فاستدللت من ذلك أنه على قسط وافر من الثقافة والمعرفة

وفى هذا الوقت أخرج من جيبه زجاجة صغيرة من العرق المسمى الفودكا ودعانى الى مشاركته فيها ولم أدر إذ ذاك ما إذا كانت الفودكا أم طبيعة الروسيين التى تميل الى الهذر والمجون ، هى التى جعلته يحدثنى عن نفسه ويطلعنى على أهم أسراره

فقد نشأ من أسرة روسية نبيلة ، ومارس المحاماة زمناً ، ولكن نشأت بينه وبين رجال الحكم فى ذلك الوقت بعض متاعب ومناوشات حالت بينه وبين مزاولته لهذه المهنة فى وطنه وجعلته كثير السفر والتجوال فى الاقطار الاجنبية . وعلمت منه حينئذ أنه فى طريقه الى مسقط رأسه . ولولا بعض أعمال ضرورية اضطرته الى المكث فى فلاديفوستوك بضعة أيام ، لكان الآن كما قال لى فى موسكو التى يحبها ويؤثرها على أى بلدة أخرى . . .

وبعد أن أتم صاحبى حديثه عن نفسه التفت نحوى ثم قال :

— هل أنت متزوج ياسيدى ؟

فاستغربت فى الحقيقة لهذا السؤال الذي لم اكن أتوقع سماعه وقلت :

— نعم . .

فابتسم زميلى ابتسامة صفراء ثم تنهد قليلا وقال :

— لقد كنت متزوجا مثلك ياسيدي ، ولكن زوجتى توفيت منذ امد قريب . ولوفاتها قصة عجيبة لا أجد مانعا من سردها عليك اذا سمحت لى بذلك . .

ودفعنى الفضول والاستطلاع إلى سماع قصته فقلت :

— تفضل بسرد قصتك فكلى آذان صاغية . .

وتوقف صاحبي عن الكلام برهة كما لو كان يخشى أن يصرح بشيء لايجوز الافصاح عنه ثم اعتدل فى جلسته وقطب مابين حاجبيه قليلا وقال :

— كانت زوجتى سويسرية الاصل ، وقد ولدت فى نفس جنيف العاصمة . وزيادة على اتقانها اللغة الفرنسية ، وهى لغة بلادها الاصلية كما تعلم كانت تجيد الانجليزية ، والالمانية . والروسية والايطالية . ومن هذا يتبين لك انها كانت متعلمة تعليما راقيا . .

ونادى محدثى الخادم كان ماراً بجوارنا فى هذا الوقت وأظن أنه سأله ـ لأننى كنت لا أعرف الروسية إلا قليلا ـ عن الوقت الذى سيحضر لنا فيه طعامنا . فأكد له الخادم بانه سيذهب لاحضاره فى الحال

وبعد ذهاب الخادم التفت زميلى نحوى وقال بلهجة تهكمية مريرة :

— لقد أصبح الانتظار فى المطاعم ـ وبخاصة المزدحمة منها ـ من أثقل الاشياء على النفس ، ولاسيما منذ أن اشتعلت الثورة فى بلادنا .

ثم ضحك ضحكة هستيرية وقال بعد أن أشعل سجارته الحادية عشرة

— ولأعد الآن الى اتمام قصتى . .

ثم سكت لحظة استجمع فيها أفكاره المشتتة وقال :

— لقد كانت زوجتى امرأة عجيبة حقا . فقد كانت تدرس اللغات التى ذكرتها لك لبنات النبلاء فى إحدى المدارس الشهيرة فى بتروغراد . وقد عشنا ثلاث سنوات فى صفاء تام ، ووئام عظيم . ولكنها كانت للاسف امرأة غيورة بطبعها ، وهذا أمر بغيض الى النفس كما تعلم

وقد وجدت ان من الصعب على أن أطيل النظر فى وجهه لأنه كان من اقبح الوجوه التى رأيتها فى حياتى ، فكنت احول وجهى عنه مابين فترة واخرى

وبعد ان نفث صاحبي دخان سجارته تابع حديثه لى فقال :

— وأرجو الا تظن أننى كنت وفياً لها شغوفا بها ، لأنها لم تكن صغيرة السن حينما تزوجتها وكان ذلك قبل عشر سنوات على ما اذكر . وكانت زوجتى ـ ولندع اسمها جانبا ـ نحيفة القوام ، هزيلة الجسم ، متوسطة الملاحة . أضف الى ذلك انها كانت ذات لسان حاد سليط ، ونفس خبيثة سيئة . ولم يكن يسرها مطلقا أن أنال استحسان احد إلا هى ، ولا ان احوز اعجاب انسان غيرها ولم تكن غيرتها هذه ناشئة عن النساء اللائى كنت اعرفهن فى تلك المدة فحسب ، بل لقد كانت تغار أيضا من أصدقائى الذين كنت أديم صحبتهم ، واحيانا من قطتى وكتبى ! وفى ذات يوم بلغت بها هذه الغيرة الحمقاء الى حد انها أعطت فى إحدى مرات غيابى عن المنزل معطفا من معاطفى

الثمينة لأحد معارفها لا لشيء إلا لأنني كنت احبه وافضل لبسه على سائر معاطفي ! ! ولست انكر انها كانت تضايقني أشد المضايقة ، وتؤلمني أشد الألم ، ولكنى كنت احتمل مضايقتها لى ، ومشاكستها إياي ، كما لو كان هذا العمل برغم ارادتها ، ولم اكن اتذمر منها او أشكو سوء تصرفاتها إلا كتذمري من جو سيء او مرض مفاجيء . وكثيرا ماحاولت ان انفي عن نفسي كل التهم التى كانت توجهها إلى باستمرار ، ولكنها كانت لاتصدقني ، وتأبى أن تعيرني أى التفات . ومع ذلك كنت اكتفى بهز كتفي ولا آبه بها أو أهتم لاتهاماتها العديدة المتكررة . ولم يكن يؤثر فى نفسى هذه المنازعات الدائمة ولاتلك المناوشات المستمرة بيننا . وفى بعض الاحيان كنت افكر فيما اذا كان الحب القوى ام البغض الشديد هو الذي يدفعها الى كل ذلك . ولكن كان يخيل إلى ان الحب والبغض معاً هما الدافع لكل هذه الغيرة الممقوتة العمياء . .

وبعد ان استراح الروسى فترة وجيزة قال :

ــ وفى ذات ليلة استيقظت من نومى على أثر سماعى صرخة حادة صدرت من زوجتى التى كانت تنام معى فى غرفة واحدة . ولما سألتها عن سبب هذه الصرخة التى أقضت مضجعى وأطارت النوم من عينى ، قالت لى وهى ترتعد من شدة الخوف والرعب انها حلمت بأننى كنت احاول قتلها . ولقد كنا نقطن فى ذلك الوقت فى الطبقة العليا من منزل مرتفع شامخ البنيان . وكان هذا المنزل يطل على بئر متسعة عميقة الغور . فحلمت زوجتى أننى أمسكت بها على اثر وصولنا ــ هى وانا ــ الى منزلنا ذات ليلة ثم حاولت أن ألقى بها فيه من نافذة الغرفة التى كنا ننام فيها ، وهذا يعنى بالطبع موتها المحقق لأن منزلنا كان مكونا من طبقات ثلاث . وبالرغم من أننى حاولت تهدئتها وإبعاد هذا الخاطر المزعج عنها ، إلا انها ظلت ترتجف فى فراشها من هول ما كانت تشعر به من الفزع والرعب

وفى صباح اليوم التالى واليومين اللذين أعقباه أشارت زوجتى الى هذا الحلم حتى أيقنت تماما أنه قد استقر فى عقلها الباطن ، وحتى أنا نفسى لم اكن أقدر ان أبعد هذا الطيف عن رأسى لأنه هدانى الى شيء لم اكن افكر فيه من قبل . فزوجتى تظن اننى اكرهها وأننى احاول لهذا السبب التخلص منها ، ولاشك انها كانت تعرف ان عشرتها لايمكن ان يحتملها رجل مثلى فى الحياة وانه لابد أن يأتى اليوم الذى أفكر فيه من الافلات من قبضتها ، ومن هنا تولد فى قلبها الخوف من أننى سأقتلها فى يوم من الأيام . وأظنك تعرف ان للرجال آراء لاتعد ، وأفكارا لاتحصى ، واننا كثيرا مانخجل من التصريح ببعض الآراء الغريبة التى تستقر فى نفوسنا . ففى بعض الاحيان كنت اتمنى ان تهرب زوجتى مع أى رجل كان ، وفى أحيان أخرى كنت اتمنى أن تصاب بعلة وبيلة تقعدها عن الحركة وتشلها عن الكلام ، أو يأتيها موت مفاجيء يخلصنى منها الى الأبد . ولكنى

لم اكن أفكر مطلقا فى ان أحاول قتلها يوما ما . ولقد كان لهذا الحلم الرهيب أثر سيء فى نفسى وفى نفس زوجتى لأنه أزعجها وأقلق راحتها من ناحية ، وضايقنى التفكير فيه من ناحية أخرى . بل اننى كنت لا أملك نفسى كلما أطللت برأسى من نافذة الغرفة التى كنا ننام فيها من القاء نظرة الى البئر ثم أضحك ضحكة عصبية مخيفة حينما اتبين أن من السهل علىّ ان التى بزوجتى من هذا العلو الشاهق دون أن يرانى احد ، أو يشعر بفعلتى انسان ! وكثيرا مافكرت أن ابعد عنى هذه الفكرة فكرة قتلى لزوجتى ، ولكن بلا فائدة . .

وتوقف صاحبى عن الحديث برهة استعاد فيها رباطة جأشه ثم قال :

— ومضى على هذا الحلم ثلاثة شهور . وفى إحدى الليالى أيقظتنى زوجتى من نومى . وكنت لا أزال حينئذ تعباً منهوك القوى ، وقالت لى ان ذلك الحلم المريع قد عاد اليها فى تلك الليلة مرة أخرى . وكان وجهها وهى تقول لى ذلك يحاكى فى شحوبه وصفرته وجوه الأموات ، وقد رأيتها ترتعد من قمة رأسها الى أخمص قدميها ، وكان عرق الخوف البارد ينصب بغزارة من جسمها الذى كان يهتز كريشة فى مهب الريح . ولم تلبث أن اندفعت بالبكاء فجأة ثم سألتنى : «هل تكرهنى ؟» فاقسمت لها حينئذ بكل القديسين الذين اعرفهم أننى احبها . ولست ادري كيف خدعتها وكذبت عليها فى تلك اللحظة ولكن الذى أدريه ان بالها قد هدأ حينما اعترفت لها بحبي ثم ذهبت فى صمت وهدوء الى فراشها . وقد ظللت صاحيا طول تلك الليلة . وكنت اتخيل أمامى سقوط زوجتى من هذا العلو الشاهق الى أسفل البئر . وقد تهيأ لى اننى سمعت اولا صراخها ثم صوت اصطدام جثتها وأقول لك الحق اننى لم اقدر ان أمنع نفسى من التفكير فى هذا الأمر ، وقد أصابتنى حينئذ رعدة شديدة لم اتمكن من كبحها . .

وتوقف الروسى عن الكلام ليزيل العرق الذى كان ينصب بغزارة من جبينه القذر . وقد جعلتنى هذه القصة أرهف أذنى لسماعها وأن أنتبه اليها بشغف ظاهر واهتمام عظيم لا سيما لأن محدثى كان يرويها لى بطلاقة وحسن أداء

والتفت الروسى الى زجاجة الفودكا التى كان لايزال يوجد بها بقية ، ثم تناولها بيد مرتعشة وأفرغها فى جوفه دفعة واحدة . .

ولما وجدته قد لزم الصمت وأكثر السكوت سألته قائلا :

— وكيف انتهت حياة زوجتك ؟

فارتعد صاحبى لهذا السؤال وأخرج من جيبه منديلا قذرا ومسح به جبهته المبللة بالعرق ثم قال :

— لقد ماتت ميتة شنيعة للغاية . ففى إحدى الليالى وجدت جثتها ملقاة فى قاع البئر وكانت رقبتها مفصولة عن جسدها . .

فدهشت لهذه النهاية السيئة وحدقت النظر فى وجهه ثم قلت :

— ومن الذي وجدها ؟

فتجاهل الروسى نظرتى له وأجاب :

— لقد وجدها أحد سكان المنزل بعد وقوع هذه الكارثة بوقت قصير . .

وصوبت اليه حينئذ نظرة أحد من الأولى وقلت :

— وأين كنت فى أثناء ذلك ؟

فلمعت عيناه الضيقتان ووجه إلى نظرة قاسية وقال :

— لقد كنت أقضى الليل مع بعض أصدقائى ولم أصل الى المنزل إلا فى ساعه متأخرة من الليل أو بعبارة أخرى بعد وقوع هذا الحادث الأليم بما يقرب من الساعتين . .

وفى هذا الوقت أحضر الخادم طعامنا الذي طلبناه منه ، فاخذ الروسى يلتهم طعامه بشراهة زائدة ونهم كريه لم أعهدهما فى انسان من قبل . وكان يتناول الخبز بكميات كبيرة ويحشو به فمه الواسع حشواً . .

* * *

وكان علىّ أن أبرح المطعم بعد بضع دقائق لأن قطاري كان على وشك القيام فى تلك اللحظة . فغادرت مقعدى وتركت صاحبي فى مكانه بعد أن ودعنى وداعا حاراً ، ولم تقع عليه عيناى بعد ذلك اليوم

* * *

والآن . . هل من الممكن أن يكون هذا الرجل البدين قد قتل زوجته فى ساعة من سويعات غضبه ؟ ؟ إن مظهره كما اتضح لى لايدل على أنه مجرم بل اننى لا أصدق أنه يملك من الشجاعة مايكفى للقيام بهذا العمل الاجرامى الشنيع . .

ومهما يكن من الأمر فاننى مازلت أجهل للآن ما اذا كان هذا الرجل قد قتل زوجته أم لم يقتلها

كتب الشهر الجديدة

١ — قصة الفلسفة الحديثة . جزءان . لاحمد أمين وزكي نجيب محمود (ص ٣٢٠ و ٣٨٨ متوسط)

٢ — اللذة والالم . لاسماعيل مظهر (ص ٢٥٨ كبير)

٣ — أوراق متناثرة . لصلاح الدين كامل (ص ٨٥ متوسط)

٤ — أعلام الفكر الفرنسي . لحبيب سعيد (ص ١٨٤ متوسط)

٥ — مريم المجدلية . لمايترلنك وترجمة أنطونيوس بشير (ص ١٢٤ متوسط)

٦ — عبقر . لشفيق معلوف (ص ١١٢ متوسط)

هذه المجموعة الستة من الكتب كلها حسنة . تليق لأن يقتنيها قراء المجلة الجديدة . فان قصة الفلسفة هى خلاصة ممتعة للفلسفات الحديثة منذ عصر النهضة إلى وقتنا الحاضر . والقارىء يجد تفصيلات مفيدة عن بيكون وديكارت ومالبرانش وسبينوزا وليبنتز ولوك إلى سبنسر ونيتشة . وهذا غير الاحياء أو المعاصرين مثل برجسون وكروتشي ورسل وسنتيانا وجيمس

والأستاذ أحمد أمين عميق فى ثقافته العربية القديمة وخاصة العصر العباسى . ويعرفه القراء بكتابه العظيم « ضحى الاسلام » وتفكيره فى ايجاد مثل هذه الخلاصة الفلسفية الحديثة برهان على أنه يقدر الثقافة الحديثة ويعرف قيمتها للاتزان الأدبى فى مصر . والأستاذ زكى محمود من أحسن شباننا الذين يدرون قيمة النظر الحديث . وتكاتف المؤلفين على اخراج هذا الكتاب هو شركة بارة تزكيها حاجات الجيل الناشىء . والكتاب فى لغته وصوره وطبعه يقرأ فى سهولة بل لذة

أما « اللذة والألم » للأستاذ اسماعيل مظهر فيعالج موضوعا دقيقا لفيلسوف اغريقى يدعى أرسطبس . وقد انتقلت هذه الفلسفة إلى أثينا من قورينة (بافريقيا) ثم الى الاسكندرية . وقد قال المؤلف « شاء القدر أن يظل مذهبه أرسطبس غير معروف عند العرب الا لماما . شأن أكثر المذاهب التى تفرعت عن دوحة سقراط العظيم . وشاء القدر ألا يحاول أرسطوطاليس أن يذكر اسم أرسطبس . بالرغم من أنه ناقش فى مذهبه مناقشات طويلة فى كتاب الأخلاق إلى نيقوماخس . بل وأخذ ببعض مبادىء المذهب القوريني . فحورها وأدمجها فى مذهبه »

ويبحث الفصل الأول العلاقة التاريخية بين مصر واغريقيا . وهو بحث ممتع من ناحيتى التاريخ والفلسفة . ويبحث الفصل الثانى فورينة المدينة الافريقية التى نشأ فيها هذا المذهب . والفصل الثالث يبحث المذهب وترجمة أرسطبس واتصاله بالمفكرين الاغريق . مع التمييز بينه وبين أبيقور الذى تعزي اليه فى العادة فلسفة اللذة . ويلى ذلك فصول عن تأثير هذا المذهب فى الفلسفات الاغريقية القديمة وفى العصر الحديث . وهذا الـكتاب مجهود حسن مفيد فى تحرى الاصول لمذهب فلسفى كان له أكبر الاثر فى التفكير الانسانى أكثر من الفى سنة

والانتقال من هذين الـكتابين « الفلسفة الحديثة » و « اللذة والالم » الى قصص الاوراق المتناثرة للاستاذ صلاح الدين كامل هو أشبه الاشياء بالخروج من مكتب الدرس الى الملهى للتسلية . فان المؤلف يقص على القارىء قصصا خفيفة يدور محورها فى الأغلب على التصادم بين العوامل العصرية وبين العادات القديمة . أو بين الحرية الشخصية والنظر القديم . والمؤلف أحيانا يغلو وأحيانا يعتدل ولـكنه فى جميع الحالات لايثقل على القارىء . وقد عرف قراء هذه المجلة أسلوب المؤلف فى قصص مختلفة نشرت له وكان فيها على الدوام قصصيا لبقا خفيف الروح

واعلام الفـكر الفرنسى قد أخرجته مجلة الشرق والغرب . وقد قام الاستاذ حبيب سعيد بالترجمة فقط فى لغة سهلة رشيقة . اما المؤلفون فجملة منهم الآنسة المستشرقة كاترين هنرى . والآنسة المستشرقة بنت الحارث . وهذا غير ترجمتين للـكاتب الفرنسى اكويه

وقد تناولت التراجم ديكارت . بسكال . فولتير . روسو . كونت . رينان . برجسون . باجى

ويعجبنا قول الاستاذ العزيز زكى أبو شادى فى مقدمة هذا الـكتاب « من الاحداث الأدبية فى هذا العهد أن تقدم ادارة الشرق والغرب على اخراج هذا الـكتاب النفيس عن اعلام الفكر الفرنسى ذلك لأن العادة جرت فى مصر بقصر جهود الجمعيات الدينية مسيحية كانت أم اسلامية على الشئون الدينية الصرفة . وليس من هذه الشئون فى نظر العادة والتقاليد البحوث الادبية الفلسفية . وان خدمت الدين أو التصوف الدينى عن طريق غير مباشر »

والمؤلفون لايتراجعون عن بسط المذهب مهما كانت خطورته أو أثره فى الدين . وهذه شجاعة نادرة ولكن لا مندحة عنها لان الدين لا يمكنه أن يعيش الا بمواجهة الفلسفة والانتفاع بها . وهى الوحيدة القادرة على حل مشكلاته

ومريم المجدلية درامة تتناول قصة يسوع المسيح . والمؤلف البلجيكى مترلنك يعالج هذا الموضوع وهو بعيد عن روح التصوف الدينى . وقد استطاع ان يجعل صورة المسيح بارزة دون ان يظهره على المسرح . والحوار بارع يجرى فى كلمات قاطعة تبين الاخلاق المسيحية الجديدة امام العالم اليهودى الرومانى . والمترجم قسيس له رتبة « ارشمندريت » وهو أيضا صاحب مجلة الخالدات ولغته سهلة مقبولة

وعبقر قصة منظومة عن عالم الجن . وهى أنيقة الطبع والتصوير . وقد كتب المقدمة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عن أصل لفظه عبقر وما قاله العرب عن الجن والعرافة والكهانة . واليك مثلا من بعض الأشعار .

قلت لشيطانى آمن حالق | برزت لى أم من شقوق الثرى
فقال انى جئت من بقعة | خافية تدعونها عبقرا
تسوس فيها الجن عرافة | ترى بزجر الطير مالا يرى
الشعر ولاها شياطينه | فسادت الهوجل والهوبرا
ساحرة مطلسم مسحها | تطوى به الأجيال والاعصر
تقفو السعالى أثرها كلما | أحجبت المندل والعنبرا
جن من النور جلابيبها | فى كل سعلاة ترى نيرا
تضطرب الارض متى اقبلت | قاذفة عزيفها المنكرا!
فقم بنا صاح الى عبقر | نؤم ذاك المجهل الموعرا

فكرة الموسوعة العالمية

هذه رسالة صغيرة انجليزية وضعها المستر هـ . ج . ولز عن تأليف موسوعة يقوم بها العلماء الاخصائيون فى العالم كله لأجل شعوب العالم جميعا . وهو يرى أن المعارف الانسانية تحتشد الآن فى المجلدات على غير نظام وأن الناس لايجهلونها فقط بل هم احيانا غير قادرين على استغلالها ، ولذلك يرى المستر ولز أن تؤلف هذه الموسوعة التى ربما تكلف بضعة ملايين من الجنيهات ثم تبقى هناك هيئة دائمة من العلماء الاخصائيين لتجديدها . وهذه الموسوعة تعود مرجعا لأبناء الأمم قاطبة وتترجم الى اللغات الوطنية حتى يمكن أى انسان أن ينتفع بها . وقد سبق للمستر ولز أن ضرب على هذا الوتر ألحانا مختلفة . فانه فى إحدى قصصه الطوبوية يتخيل دارا للنشر تعمم العلوم والثقافة الحديثة . وقبل أشهر عقد فى لندن مؤتمر حضره المستر ولز وكان من الموضوعات التى عالجها الأعضاء ايجاد موسوعة للثقافة اليسارية يسترشد بها المجددون فى انحاء العالم حتى لايستغل الرجعيون الجهل العام ويتحكموا فى عقائد الشعوب . واشترك المستر ولز فى المناقشة ثم ترك الاجتماع وهو غاضب بعد أن قال ان مثل هذه الموسوعة تحتاج الى ثلاثين مليون جنيه . والذين رافقوا ولز فى جهوده الاصلاحية الثقافية منذ ثلاثين عاما لايكادون يجدون شيئا جديدا فى هذه الرسالة . فانه رجل عالمى يطلب السلام وايجاد دولة واحدة فى العالم وهو يؤمن بان العلم يمكنه أن يعمم السعادة ويحل جميع المشكلات

في الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

حماية العمال

حضارة أسوج

الفراعنة والمانيا

مصر والسلام

دار العلوم واللغة

نحن والحجاز

عصابة زكى نصر الله

زيادة موارد الحكومة

أونا مونو

حماية العمال

لما عقد المؤتمر الوفدى قبل سنتين أو ثلاث وضع فى برنامجه الاصلاحى مواد خاصة باصلاح الأحوال العامة للعمال فى الزراعة والصناعة . ثم عند ما ألفت الوزارة الوفدية عادت هذه إلى تأكيد وعودها فى خطبة العرش . وقامت وزارة التجارة والصناعة بالفعل بدرس بضعة مشروعات بغية تقديمها للبرلمان لكى تصير قوانين

ولا يشك أحد فى أننا أزاء نهضة صناعية تزداد نمواً فيجب أن ندرس جميع التطورات الحسنة والسيئة التى يمكن أن تصيب عمالنا حتى نستطيع اصطناع الحسن وتجنب السيىء

والوزارة الوفدية التى لا تستند إلى أي سند سوى رضى الجمهور عنها وثقته بأنها تخدم مصالحه وتعمل لرقيه لا يمكنها أن تهمل العمال وهم كثرة الأمة كما هم أقل طبقاتها استمتاعا بألوان الحضارة التى دخلت بلادنا منذ أكثر من مائة سنة . ولذلك يحسن بنا أن ننظر فيما تم من الاصلاحات للعمال وماذا ينتظر اتمامه

فان عندنا الآن أربعة قوانين تحمى العمال بوجوه مختلفة هى :

١ — قانون ١٩٣٣ الذي يمنع استخدام الاحداث فى الصناعة

٢ — قانون ١٩٣٣ الذي يحدد الصناعات التى لا يجوز استخدام النساء فيها

٣ — قانون ١٩٣٥ الذى يحدد ساعات العمل فى بعض الصناعات الخطرة أو المضرة بالصحة

٤ — قانون ١٩٣٦ الخاص باصابات العمل

أما المشروعات التى تنظر فيها الوزارة الحاضرة بغية موافقة البرلمان عليها حتى تصير قوانين فهى :

١ — عقد العمل الفردى

٢ — تحديد ساعات العمل وميعاد الاغلاق للمتاجر يومياً وأسبوعيا

٣ — النقابات

٤ — التأمين الاجبارى لأصحاب المصانع من الاصابات التى تقع لعمالهم

٥ — عقد العمل المشترك

٦ — التأمينات الاجتماعية

فالقوانين التى تمت أربعة . والمشاريع التى تدرس ونرجو أن تكون قوانين ستة . ولا يمكن

الا أن نغتبط بهذه النتيجة . وكل ما نرجوه زيادة السرعة فى درس هذه المشروعات حتى تصير قوانين يتمتع بها عمالنا

وهذه المشروعات تختلف من حيث الأهمية . وعندنا أن أهمها جميعا هو مشروع النقابات الذى يجب أن يعترف بها بأسرع وقت . وقد أخرج الفلاحون منها ولسنا نعارض فى ذلك . فان الفلاحين قد انتظروا القرون فلا بأس عليهم لاعتبارات مختلفة إذا انتظروا السنوات . ولكننا نظن ان اخراج الخدم من عداد العمال الذين ينتظمون فى النقابات ليس حسناً . ففى القاهرة مالا يقل عن خمسين الف خادم ليسوا دون سائر العمال فى الحقوق والسلوك . وانتظامهم فى النقابات يزيد الامن العام

والنقابة لا تكفل للعامل امناً على عيشه فقط بل هى تكفل أيضاً للهيئة الاجتماعية اطمئناناً على السلامة العامة ، والعامل الذى ينتظم فى النقابة يحترم نفسه ويفكر فى مستقبله . وهو أبعد الناس عن الفوضى والاجرام

ما سائر المشاريع فيمكن التمهل فى درسها أو الابتداء فيها بالهيكل قبل الجسم فان مشروع التأمينات الاجتماعية يمكن أن نبدأ فيه من الآن بشرط أن نأخذ منه الهيكل حتى اذا تقدم رقينا الاقتصادي فى الصناعات أمكننا أن نتوسع فيه مع التدرج . وليس كبيراً علينا أن نضع هذا الهيكل لمعاشات الشيخوخة ولتأمين العمال من العطل والمرض مع التواضع والنظر لحدود الميزانية

ولكن يؤسفنا أن المجلس الأعلى للعمال يتردد فى الموافقة على هذه المشاريع ويحسب أن قبولها يعد تطرفا . لأن رفض هذه المشاريع هو التطرف وهو تطرف خطر لأنه فى ناحية الرجعية . ولسنا نظن أن فى مصر من يعتقد أن الحال التى يعيش فيها عمالنا سواء فى الريف أو المدينة هى مما يحسن السكوت عليه سواء اعتبرنا هذه الحال فى الأجر الذى يكسبون أم فى المسكن الذى يسكنون أم فى غير ذلك . وكل مصرى يجرى فى عروقه الدم الذى يجرى فى عروق هؤلاء العمال لا يمكنه إلا أن يحث الوزارة على الاسراع فى سن القوانين التى تحميهم وتجعلهم يصلون الى القليل من متع الحضارة

حضارة اسوج

قل أن نسمع خبرا عن أسوج أو نروج أو دنماركا لان هذه الأقطار الثلاثة الاسكندناوية ، بعيدة عن الاشتباكات السياسية . وهن خلو من المستعمرات لكل منهن جيش مصغر لا يجدى فى الاعتداء بل لعله لا يجدى كثيراً فى الدفاع . ولكن هذا النشاط الذى منع من الظهور فى

الخارج انكفأ الى الداخل يعمل فى اصلاحات تجعل سكان هذه الأقطار الثلاثة فى مقدمة الامم رفاهية وثقافة و نظاما

ونحن الذين نقرأ كل يوم هذه الانباء السيئة عن التصادم بين الفاشية والشيوعية والحرب الأهلية فى اسبانيا ومكافحة الثورات التى بعثتها المطامع الاستعمارية والجشع الامبراطورى فى الهند وفلسطين والصين والازمات الاقتصادية التى لاتنقطع والاضطرابات بين العمال ونحو ذلك قلما نلتفت الى مايجرى فى قطر صغير ناء مثل أسوج . مع أن مايجري فيه من اصلاحات اجتماعية واقتصادية تستحق منا الدرس العميق . لان هذه الاصلاحات جعلته يتخطى جميع المصاعب التى تعانيها أوربا بل جعلته أنموذجا للسعادة التى تثمرها السياسة الرشيدة فى ستة ملايين من السكان السعداء

وأحسن ما فى أسوج أن الاسرة المالكة فيها ديمقراطية . وهى لاتكلف الحكومة أكثر من ثمانين الف جنيه فى العام . وهى تصون التقاليد الحسنة بين الأسر الغنية وتعمم الذوق الفنى العام فى البناء واللباس والولائم والحفلات كما أنها تحول دون الطفرات التى يبعثها من وقت لآخر النظام الجمهورى

وفى ظل هذه الملوكية الديمقراطية استطاعت أسوج أن تحقق طائفة من الاصلاحات التى تغبط عليها والتى يجد مثلها أشد المقاومات فى الأقطار الأخرى . فان الحركة النقابية متقدمة خالية من الغلو الخيالى . وزعماؤها يتوخون الرقى الاقتصادى للعمال دون التطوح فى الامانى البعيدة التى تعرضهم للمقاومة العنيفة من الأحزاب الاخري كما وقع فى ايطاليا والمانيا . وقصارى ماتطلبه هذه النقابات الضمانات الواقية أزاء المرض أو العطل أو الشيخوخة أو الاقعاد

ولكن النقابات التى تعرف أن هذه الضمانات تحتاج الى مبالغ كبيرة من المال تعرف أيضا أن الحكومة لكى تقوم بها يجب أن تكون مواردها كبيرة . وهى لهذا السبب تحض الحكومة على القيام بمشروعات مختلفة تعود عليها بايرادات كبيرة كما تحضها على فرض الضرائب حيث يكون هذا ممكنا وغير مرهق للصناعات الحرة . ومع أن الحكومة الاسوجية تقوم بصناعات مختلفة . فانها قلما تنفرد بها على طريقة الاحتكار . ولكن ليست زيادة الايراد هى الغاية الوحيدة من الاحتكار . فان الحكومة الأسوجية كانت فى أحوال كثيرة ترى أن واجبها يقتضيها انشاء المصانع أو الاشتراك فى ادارة المصانع الحرة القائمة عندما كانت تجد غلاء فى الاثمان يضر بالجمهور

مثال ذلك انها لكى تحصل على ايراد يكفى معاشات الشيخوخة للمسنين عمدت إلى الشركة المحتكرة للدخان والسجاير فاشتركت معها وحددت أقصى ربح للمساهمين بخمسة فى المائة . ولكنها لم تختر هذه الشركة بالذات الا لأنها كانت قد أرهقت الجمهور بأثمانها الفاحشة

وتحتكر الحكومة أيضا صناعة الرديوفون . وهى هناك تشترك مع المصانع الحرة التى تصنع الأجهزة كما تشترك مع الصحف . أى انها هنا كما فى صناعة الدخان والسجاير — لا تحتكر بل تشترك مع المصانع الحرة فى الاحتكار ويحدد الربح لحملة الأسهم

وهى تفعل مثل ذلك فى صناعة الخمور . وتشترك مع ١٢٠ شركة تعمل فى الصناعة والتجارة . وقد انتفع الجمهور بهذا الاحتكار لأن الرقابة الحكومية أصبحت شديدة على الخمور وأصبح لا يجوز لأي شخص أن يشترى خمراً ما لم يحمل دفتراً يراعى فيه عدد أفراد الاسرة وأعمارهم حتى لا يؤذى أحد نفسه بالاسراف فى تناول المشروبات

وتحتكر الحكومة أيضا - على طريقة الاشتراك مع الشركات - صناعات الخشب والمعادن والقوة الكهربائية من مساقط المياه . وهذا بالطبع غير السكك الحديدية والتليفونات والتلغرافات

وقد استطاعت الحكومة الاسوجية بهذه الاحتكارات المختلفة أن تزيد ايرادتها وهى فى الوقت نفسه توقت النظم البيروقراطية المعطلة لانها لا تحتكر التجارة أو الصناعة احتكارا كليا تاما . بل تقوم ببعض العمل بنفسها وتقوم الشركات الحرة ببعض آخر وعندئذ يعود كل من الفريقين رقيبا على الآخر . فلا يمكن الشركة أن تستبد بالعمال أو الجمهور كما لا يمكن الحكومة أن تهمل الربح

وبهذه الطريقة استطاعت أسوج ان تهىء لاوربا حضارة جديدة لا هى فاشية ولا هى شيوعية بل هى ليست اشتراكية . ولذلك لا نسمع عنها أخبارا سيئة كالاضرابات التى لا تنقطع وتأليف الجبهات خشية الوثبات الديكتاتورية أو نحو ذلك

الفراعنة وألمانيا

كان المرحوم اقلاديوس لبيب قد جمع طائفة من الكلمات المصرية القديمة وقابلها بكلمات انجليزية تؤدى معناها وتشاركها فى اللفظ . وكان يستنتج من هذه المشاركة وحدة الأصل بين اللغتين الانجليزية الحديثة والفرعونية القديمة

وقد استطاع المرحوم اليوث سمث الذي مات فى الشهر الماضى أن يثبت وحدة الأصل ليس فى اللغة بل فى السلالة بين مصر وانجلترا . اذ قابل بين الجماجم المصرية القديمة وبعض الجماجم الانجليزية الحديثة فوجدها تتحدان

ومعروف أن المصريين رحلوا الى اوربا فى فترات مختلفة وأفشوا حضارتهم لا بل حضاراتهم المتعاقبة فيها . بل يرجح أن أول من سكن جزيرة كريت هم المصريون اذ أن هذه الجزيرة تحلو

من آثار العصر الحجرى أى، انها لاتعرف الانسان البدائى . والحروف المصرية القديمة واضحة كل الوضوح فى هجائها كما أن حضارتها مشبعة بالتقاليد المصرية القديمة

وأمامى الآن كتاب قديم عن الآثار المصرية لمؤلف انجليزي يدعى فيليرز ستوارت . وقد عقد فيه فصلا عن الأصل المشترك بين اللغة المصرية القديمة وبين الالمانية والانجليزية واللاتينية واليونانية وفى هذا الفصل جداول عن هذه الألفاظ التى تدهش القارىء بالمطابقة بين لغة أسلافنا وبين هذه اللغات الأوربية وخاصة بينها وبين الالمانية . وليست هذه المطابقة قائمة على مشابهة صوتية فقط . فان المؤلف لايقنع بذلك اذ هو يأخذ جذرا لغويا من اللغة الفرعونية فيجد أن مشتقاته المجازية تتطابق أيضا . ولا يمكن أن تكون المصادفة هى السبب لهذا التطابق . فانه يمكن أن تؤدى المصادفة الى الاشتراك فى كلمتين أو ثلاث ولكنها لاتؤدى الى المطابقة فى المشتقات من هذه الكلمات اذ لكل أمة عقلية خاصة تجعلها تختار من المعانى مايتفق ومزاجها ويختلف من مزاج غيرها

فقد عمد المؤلف الى جذر لغوى من المصرية القديمة هو لفظة « مين » الذى يعنى الثبات والبقاء والرسوخ . فوجد لهذا الجذر مشتقات فى اللاتينية وفى اليونانية وفى الانجليزية والفرنسية . وكذلك الحال فى ألفاظ أخرى

واليك بعض الالفاظ التى تشترك بين الفرعونية وبين الالمانية

فرعونية	ألمانية	عربية
موت	موتر	أم
اشت	ناشت	نور (النون للنفى)
اشت	اشتونج	شرف
ليب	ليبا	الحب الجنسى
ساو	ساوفن	يشرب
لبو	لفو	أسد (لبوة)
نين	ناين	لا
أب	هاوبت	رأس
سام	سامت	معاً
اربا	ارب	امير
هر	هر	سيد
سيه	سى	هم
مير	مير	البحر
نيم	ناهمه	اسم

هذا بعض مانقلته من المؤلف . ويرى القارىء أن الكلمات تدل على المعانى البدائية التى تشترك فيها الأمم القديمة اذا كانت من أصل واحد . ولفظة ناشت الألمانية تعنى الليل أى الظلام وهو نفى النور اشت . ونحن نقول الآن الهر هتلر ونظن أننا نستعمل لفظة ألمانية هى هر بمعنى سيد ولكن المصرى القديم كان يستعمل اللفظة الالمانية كما هى الآن لأنها لفظته أيضا

وليس معنى هذا أن الألمان هم الذين أنشأوا حضارة مصر كما يقول بعض دعاتهم . وانما هو يعنى أن المصريين القدماء والآريين عامة سواء منهم الجرمان أو غيرهم قد نشأوا من أصل واحد . ومن هنا نستنتج أننا أمة أوربية الأصل

مصر والسلام

قبل ثلاثة أشهر افتتح فى بروكسل عاصمة بلجيكا مؤتمر للسلام العالمى حضره عن مصر ثلاثة هم الآنسة نعيمة الأيوبى والسيدة إستر فهمى ويصا والأستاذ جورج حنين وحضره مندوبون من سائر الأمم بلغوا ٤٩٠٠ مندوب ولم يجد هذا المؤتمر من الصحف المصرية الاهتمام الذى يستحق مع أن مركز مصر الحاضر قد جعلها مسئولة عن السلم فى العالم . كما أن الاستقلال الذى حققناه بالمعاهدة بيننا وبين بريطانيا قد ألقى علينا تبعات عالمية لم نكن نضطلع بها من قبل وهذه التبعات تقتضى منا أن نسأل أنفسنا هل نحن للخير أم للشر فى هذا العالم ؟ هل نحن للسلم أم للحرب ؟ هل للبناء أم للهدم ؟ وهل العالم سيزيد شراً أو خيراً باستقلالنا ؟ أو هو سيزيد ثراء أوفقراً

إننا مسئولون عن الاجابة الصحيحة لهذه الأسئلة . ولذلك يجب أن نتجه اتجاها جديدا فى درس الوسائل التى تضعف النزعات الحربية وتخدم السلم العالمى . فان مذهب الحرب الذى يؤمن به موسولينى ويجلجل به فى خطبة يجب أن يكون بعيدا عن أذهاننا وقلوبنا وان تتجنبه مدارسنا وصحفنا وان نعلم صغارنا وشبابنا أن شعار الأخلاق السامية بين الأمم ليس التنازع للبقاء بل التعاون للبقاء

ولسنا نتعامى عن موقفنا الحاضر من حيث أننا قادمون على عصر جديد يطالبنا بالاستعداد الحربى للدفاع عن الوطن . فان هذا الاستعداد هو قبل كل شىء « للدفاع » وليس للهجوم . وقد قضت الاقدار ان تجاورنا أمة يقودها زعيم يناقض دعوة المسيح إلى السلم ويؤلف لأبناء الايطاليين إنجيلا جديدا عن الحرب . وما دام هذا الزعيم فى زعامته فاننا فى حاجة إلى خدمة السلم بتقوية الدفاع عن بلادنا . ولا لوم علينا

وليست نكبة العالم هذا المذهب الحربى الذى يدعو اليه مثل هذا الزعيم فقط بل هى أعمق من

هذه الجلجلة الخطابية وهى تعود إلى مشاكل اقتصادية يجب علينا أن نتوقاها وأن ننظر بعين العطف بل الحب للامم التى وقعت فيها ونرجو لها الخلاص منها دون أن نتورط فى حروب قد يكون فيها القضاء على الحضارة ، هذه الحضارة التى نسير نحن فى موكبها وعلينا قسم من التبعة فى بقائها ورقيها

ولا يمكن أمة أن تستهين بالحروب مهما كانت بعيدة عنها من حيث الاقليم . فان الدنيا بالمخترعات الجديدة قد صغرت . وهذه الدولة العسكرية — اليابان — التى كانت تنفصل منا قبل مائة سنة بسفرة شاقة فى السفن لا تقل عن ثلاثة أشهر قد أصبحت لا تبعد عنا أكثر من يومين بالطائرات . وهذه هو الشأن فى جميع الامم فان المواصلات بينها قد قصرت وقد اشتبكت جميعها بعلاقات اقتصادية تجعل الحرب العسكرية أو الازمة الاقتصادية التى تقع فى احدي القارات تعم الدنيا كما رأينا فى الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ أو فى الازمة التى انطلق غبارها الأول فى نيويورك فى سنة ١٩٣٠

ولهذا السبب لا يسع المصري أن يقول : دعنى وشأنى . فان شأنه هو شأن العالم ومصلحة السلام العالمى هى مصلحته . فاذا كنا أنانيين فان هذه الأنانية نفسها تدعونا إلى خدمة السلم . واذا كنا غير انانيين فان الغيرية تقتضينا خدمة السلم . ولذلك يجب ان ندرس مشاكل الامم وأن نقلع عن النظر القروى للعالم وأن نتعلم كيف ننظر نظرا عالميا بحيث نهتم بمؤتمرات السلم ونبعث بمندوبينا اليها وان ندرس عصبة الامم ونعمل لتقويتها بل علينا أن ندرس المشاكل الاقتصادية لكى نعرف مدى اثرها فى السلم والحرب

وهذا المؤتمر الذى أشرنا اليه فى بداية هذا المقال قد انعقد فى سبتمبر الماضى وكانت المبادىء الاساسية التى اتفق عليها الأعضاء وتعهدوا بالدعاية لها :

١ — الاعتراف بقداسة التزامات المعاهدات

٢ — خفض السلاح وتحديده باتفاق بين الدول يحول دون الربح من وراء صنع الاسلحة أو الاتجار بها

٣ — تقوية عصبة الامم لمنع الحروب ووقفها بتنظيم الضمان المشترك والمعونة المتبادلة

٤ — إيجاد نظام وطيد فى نطاق العصبة لمعالجة المشاكل التى تنشأ بين الدول والتى يخشى أن تؤدي الى الحروب

وقد الف فى الاسكندرية « اتحاد أنصار السلام » لخدمة هذه المبادىء . وعنوان هذا الاتحاد هو ٣٩ شارع سعد زغلول بالاسكندرية . ونحن نذكر هذا العنوان لانه بعض الدعاية التى نحب أن

نخدمها . فاننا كما قلنا مسئولون من السلم العالمى ويجب أن نخدمه . ويسرنا أن تكون لنا جمعية لتحقيق هذا الغرض الشريف يعرفها قراؤنا

دار العلوم و اللغة

اجتمع فى الشهر الماضى نحو ثلاثة آلاف من خريجى وطلبة دار العلوم وطلبوا من وزارة المعارف زيادة مرتباتهم وزيادة الضمانات لاستخدامهم فى المدارس الأهليـة . ولا غبار على هـذه الطلبات فان كل طبقة يجب أن تسعى لترقية مستواها الاقتصادى . ولـكن هؤلاء المجتمعين تجاوزوا حدودهم حين طلبوا من وزارة المعارف الغاء اللغات الأجنبية فى المدارس الابتدائية كما هو الحال فى جميع المدارس الاوربية حتى يقوى التلاميذ فى لغتهم القومية

ذلك ان اقامة المشابهة بين مدارسنا والمدارس الاوربية من ناحية تعليم اللغات الاجنبية غير حقة . وذلك لأن لغتنا العربية لا تـكاد تنفعنا أية منفعة فى المخاطبات التجارية مع الامم التى تتجر معنا مثل اليابان أو انجلترا أو فرنسا أو ألمانيا . والشاب الذي يجهل الرطانة الفرنسية أو الانجليزية لا يمكنه أن يطمع فى الحصول على وظيفة فى متجر بالقاهرة أو الاسكندرية

ولو أن طلبة دار العلوم أو خريجيها كانوا يعرفون شيئاً قليلا عن الاقتصاديات المصرية لما استصغروا شأن اللغة الاجنبية . بل نحن نعتقد أن المدارس الاوليه والالزامية يجب أن تعلم اللغة الانجليزية لتلاميذها حتى يخرج منها وهو يدرى بعض ألفاظها ويرطن بها فى القهوة أو المصـنع أو المتجر إذا عين فيها خادما أو بائعاً أو صانعاً . إذ هو لا يدرى لعل زبونه الذى يعامله ويتوقف عليه بعض عيشه لا يعرف العربية ! وليس معنى الاستقلال أننا نستـكبر على تعلم اللغات الاجنبية !

هذا عن ناحية التعليم الابتدائى والالزامى ومن حيث فائدة القليل من اللغة الاجنبيـة . أما من ناحية الفائدة فى اتقان لغة أجنبية حديثة فهذا لا يمـكن أحد انـكاره . بل نحن نعتقـد ان المصرى المثقف لم يصل إلى ثقافته إلا بعد اتقان تام لاحدى اللغات الاجنبية الحديثة مثل الفرنسية أو الانجليزية . وهو حين يجهل هذه اللغة الاجنبية الحديثة لا يعد مثقفاً بل هو فى هذه الحال يخشى ضرره أكثر مما يرجى نفعه عند ما يعبر عن رأيه فى الشئون الوطنية أو العالمية . ولعل هذا هو بعض ما يعاب على طلبة وخريجى دار العلوم التى أهملت دراسة اللغات الاجنبية الحديثة

ودار العلوم تخرج للمدارس المصرية معلمى اللغة العربية . والشائع أن اللغة العربية قد تقدمت

على أيديهم . وهذا يخالف الحقيقة الواقعة . فان لغتنا لم تتقدم بتاتا فى مدارسنا . وهى من حيث الطرق التى يتبعها المعلمون فى ركود لا تخرج منه . بل يمكن أن يقال انها مادة مكروهة . وان الطالب المصرى حين يترك المدرسة لا يكاد يفتح كتابا فى الادب العربى القديم لانه قد كره هذه المادة لسوء الكتب والطرق التى استعملت فى تعليمه لها

بل نستطيع أن نسأل : من هم المؤلفون من خريجى دار العلوم وما هى مؤلفاتهم التى أثاروا بها العقول أو حمسوا بها القلوب وما هو فضلهم على الشباب الحديث ؟

ان الاجابة الصريحة على هذه الاسئلة انه ليس لهم فضل وليس لهم مؤلفات ولا يرجى أن ترتقى اللغة العربية على أيديهم أو ينتعش الادب العربى بجهودهم

والسبب لذلك جهلهم للغات الاجنبية الحديثة وأن أذهانهم لذلك غير مزودة بالثقافة الحديثة . وجميع المؤلفات العربية الحديثة انما وضعها ولا يزال يضعها مؤلفون من غير خريجى هذه المدرسة . بل المؤلفات الخاصة بالادب العربى نفسه قل أن يعرفها — ولا نقول يؤلفها — خريجو هذه المدرسة

وكان يمكن أن ترقى اللغة العربية وأن يشيع الادب العربى لو كانت دار العلوم عنيت بدرس اللغات الاوربية الحديثة درسا متقناً أو كانت ترفض دخول أحد فيها ما لم يحصل على البكالوريا . فانها كانت عندئذ ترقى الى مستوى الكليات فى الجامعة

أما الآن فلا مفر من الاعتراف بأن خريج كلية الآداب فى الجامعة يعرف من الادب العربى واللغة العربية أكثر جداً مما يعرف خريج دار العلوم . ويمكنه أن يدرس هاتين المادتين بأحسن وأدق مما يمكن خريج دار العلوم . ويجب لهذا السبب أن يعاد تنظيم هذه الدار لاستلحاقها بالجامعة

فانها اذا كانت مدرسة عليا فيجب أن تلحق فى الجامعة . وان لم تكن مدرسة عليا فيجب ألا يعين خريجوها للتدريس فى مدارسنا الابتدائية أو الثانوية . فان مدرسى الجغرافيا والتاريخ والرياضيات الانجليزية والفرنسية يؤخذون من خريجى كلية الآداب أو كلية العلوم بعد قضاء سنتين فى معهد التربية وهم بعد هذا الدرس الطويل والمرانة المتواصلة يخرجون على أحسن ما ننتظر من المعلم الكفء فى مادته وطريقته . فهل يمكن أن يقول المدافعون عن دار العلوم ان خريجيها يستوون وهؤلاء المعلمين الذين تخرجوا من الجامعة ومعهد التربية ؟

واذا لم يمكن هذا القول فلماذا لا نرقى تعليم اللغة العربية بقصر تعليمها على خريجى كلية الآداب ونشرع من الآن فى الالغاء التدريجى لدار العلوم ؟

نحن والحجاز

برز الحجاز فى هذه الأيام بروزا واضحا فى الصحف المصرية . فقد تم الاتفاق بين حكومتنا وحكومة الملك عبد العزيز آل مسعود على المسائل المعلقة بشأن المحمل وأوقاف الحرمين كما أننا أوفدنا بعثة مصرية الى الحجاز تنقل الى الحكومة الحجازية — تحيات الحكومة المصرية وتعبر عن الاخاء الذى يربط الشعبين المصري والحجازي

والواقع أنه ليس فى العالم العربى كله أمتان تتشابهان فى الأخلاق والسحن والعادت واللهجة العربية كما تتشابه مصر والحجاز . حتى السودان لايشابهنا كما يشابهنا الحجاز . فان الحجازى الذي عاش فى مكة يمكنه أن يعاملنا فى شوارع القاهرة كأنه مصرى ولانستطيع تمييزه منا الا بعد التدقيق الكبير فى الفحص عن الفاظ خاصة فى لغته ليس لنا بها الفة

وقد كانت النبوة أو الجفوة التى وقعت بين حكومتنا وحكومة الحجاز من مبتكرات المستبدين الذين كنا نكرههم ونكره مطامعهم وأمانيهم . ولم يكن للشعب المصرى شأن فيها . بل كان على النقيض من ذلك يطلب صداقة الحجازيين

ويجب أن نهتم لاخبار الحجاز هذه الأيام لظروف مختلفة . فان عاهل نجد الذى طرد الملك حسين وأقام نفسه ملكا على الحجاز بدلا منه قد بلغ الثانية والستين من عمره . وهو الآن يقضى معظم وقته فى الرياض عاصمة نجد ويترك ادارة الحجاز لاخيه وابنائه . ومع أننا ندعو له بطول العمر فان للاعمار حدودا . وقد أذيع قبل أيام فى الحجاز ان الملك أغمى عليه وبقى فى الأغماء نحو ست ساعات استفاق بعدها . وهذا انذار مىء يدعو عقلاء الحجاز ونجد الى الحيطة للمستقبل والتهيؤ للطوارىء التى قد تطرأ فى أى وقت

فمن الجهة الواحدة لايمكن أن يقال ان الحجاز راض عن حكم النجديين له . فان بيننا من يظن أن عبد العزيز ملك عربى يحكم العرب فى نجد والحجاز . ولكن هذا التعميم يتجاوز الواقع لان النجدي يختلف من الحجازى أكثر مما نختلف نحن من الانجليز . وذلك لان النجدى بدوى والحجازي مدنى . والفرق بين البداوة والمدنية أكبر من الفرق الذى ينشأ من اختلاف اللغات . فان النجدى يكره الحرير والدخان والخمر واقامة الاضرحة والحجازى يحب هذه الاشياء كلها ولا يرى فيها عيبا بل هو يرى فيها تنعما وتأنقا . ومن المناظر المألوفة فى مكة ان نرى شجارا حاميا داميا بين نجدى وحجازى لان هذا الثانى يدخن سجارة . ! ونري حجازيا قد بطح على الأرض ودارت

السياط على ظهره لانه ضبط وفى يده كأس من العرقى الفلسطينى . . وقد هدم النجديون قبور المسلمين فى ميدان معركة بدر كما مزقوا ستائر الحرير عن الكعبة

والنجدي ساذج فى طعامه يقنع بالتمر وخبز الشعير كما كان يفعل أسلافه قبل عشرة آلاف سنة ولا يزال يسكن الاكواخ والخصاص والخيام فى حين أن الحجازى يعرف المنازل الشاهقة والطبخ التركى . ومحال أن نعتقد المصالحة والاتفاق بين شعبين يختلفان فى أسس العيش كل هذه الاختلافات

ولذلك نعتقد أن بقاء الحجاز تحت سيطرة النجديين لن يدوم إلى الأبد إذ هذا يخالف طبيعة العلاقات بين الشعوب . بل طبيعة هذه العلاقات تقضى الى أن يسيطر الحجاز على نجد لكى يعلمه الحضارة ويمحو البداوة

وانما يمسك الحجاز الآن قوة السيف واذا تراخت اليد القابضة على هذا السيف فانه يخشى انتقاض الحجازيين . وهو انتقاض يجب أن يحسب له من الآن وخاصة لأن صحة الملك عبد العزيز فى شيخوخته الحاضرة ليست كما يحب أصدقاؤه وأولياؤه

وهذه حقائق قد لا يليق ذكرها وبعثة الشرف فى طريقها الى الحجاز . ولكنها حقائق يجب أن تواجه وأن تدرس . والحجازيون يتصلون بنا بأكثر من صلة ولهم حق علينا فى الدفاع عنهم . وقد نالو من الحضارة قسطاً كبيراً أيام الاتراك وبحكم الهجرة السنوية التى يقتضيها الحج الى الحرمين المقدسين . ومن أغرب ما يشكوه الحجازيون أن الملك عبد العزيز عندما لا يجد من النجديين من يليق بحكم الحجازيين يستخدم السوريين . وفى الحجاز منهم الآن نحو سبعين سوريا لا يفضلون الحجازيين فى شىء الا أنهم أجانب يعتقدون ولاءهم للملك دون الشعب الحجازى

واعتقادنا أن أعضاء بعثة الشرف يحسنون الاحسان كله اذا هم وفقوا الى افهام ولاة الامور فى مكة والمدينة أن مصر تحب الحجاز وترجو أن يحكمه حجازيون وتحب المدنية فيه وترجو الا تغير عليها البداوة بالمحو أو الانتقاص

عصابة زكى نصر الله

يجري التحقيق هذه الايام فى جناية بل جنايات ارتكبها زكى نصر الله فى زوجته وغيرها بالاشتراك مع آخرين من الاجانب والوطنيين . وكانت هذه الجنايات تقوم على أسلوب لا يختلف هو تأمين حياة الفريسة ثم قتلها للحصول على المبلغ المؤمنة به . وكان زكى هذا يمارس الصيدلة فلم يعجز عن

تقديم السم الموافق لفريسته ولو كان هـذا السم ميكروبا لمرض قاتل لايترك أثرا يدل على جناية . وقد بلغ من جشعه أنه أمن على زوجته بمبلغ ثلاثة وعشرين الف جنيه فى جملة شركات . وقدماتت الزوجة . ولما شرع فى التحقيق مع زوجها انتحر . وها نحن بعد أشهر نري تحقيقا بل تحقيقـات جديدة تعود فى الاصل الى هذه الجرثومة السيئة التى تدعى زكى نصرالله

ولسنا هنا فى مقام التحليل لهـذه الجنايات . فاننا لم نقرأ عنهـا غير النتف الصغيرة فى أخبار الصحف . لـكننا نلاحظ شيئا أو شيئين يستحقان النظر . وأول ذلك أن زكى نصرالله هذا كان مسيحيا ثم اسلم . والرجل الذى يترك دينه ـ كائنا ما كان هذا الدين ـ يطلق نفسه من الاخلاق التى ارتبط بها . والأخلاق انما تنشأ بالاجتماع ولـكل انسان روابط اجتماعية تتصل بدينه . فاذا انطلق من هذا الدين تفـكـكت روابطه الاجتماعية وتفـكـكت بذلك أحلامه . وهوعندئذ لايتقيد بقيود الحياء والضمير والشرف . لان هذه الألفاظ الثلاثة تعنى روابط اجتماعيـة لا أكثر . فالانسان يستحيى من الناس وله ضمير بشأن المعاملة مع الناس وله شرف ازاء الناس . وهؤلاء الناس هم قومه الذين يدينون بدينه . ولا يستطيع انسان أن يقول ان له ضميرا أو شرفاً أوحياء لنفسه لان هـذا الـكلام لامعنى له اذ أن هذه الأشياء تقوم على العلاقات الاجتماعية

وقد يقال هنا أن الذى يترك دينه لـكى يعتنق ديناً آخر انما يفعل ذلك عن عقيدة وايمان وحباً فى أبناء الدين الجديد . ولذلك فانه يزداد ضميراً وشرفاً وحياء ولاتنقص هذه الأشياء عنده . وهذا صحيح نسلم به كل التسليم ولـكن هل مثل زكى نصرالله الذي رأس هذه العصابة الملعونة لقتل المؤمنين عند شركات التأمين قد ترك دينه لبواعث شريفة ؟

اننا نشك فى ذلك ، وكل مانحب أن نقوله أن المسلم أو المسيحى الذى يترك دينه يمتلخ امتلاخا عنيفا من الروابط الاجتماعية التى كانت تربطه . وهو اذ لم يـكن وثيق الايمان بالدين الجديد فان اخلاقه تتزعزع . وهو عندئذ أشبه الناس بالرجل يترك قومه ووطنه ويعيش منفرداً فى وطن آخر. مع قوم آخرين . فان انقطاع روابطه السابقة قبل أن تتألف له روابط جديدة تجعله يعيش وهو فى فوضى من الاخلاق

وهذا الاعتبار بل التشبيه يجرنا الى شىء آخر . فان فى عصابة زكى نصرالله عددا غير صغير من الاجانب الذين تركوا وطنهم وعاشوا بيننا وهم ليسوا منا . وهم لهذا السبب لايستحيون أن يرتـكبوا الجريمة الشنيعة . لان الحياء والشرف والضمير هى صفات اجتماعية وهم قد انبتوا من هذا الاجتماع بانتقالهم من وطنهم الى وطننا . ويمكن القارىء المصري أن يتوهم نفسه بين الهندوكيين فى الهند وحيدا ليس له أهل من دينه أو من قومه . فانه يجيز لنفسه عندئذ ويترخص فى أمور لايرضاها لنفسه لو كان

فى مصر بين بنى قومه ودينه . وهذا هو موقف الرجل يترك دينه أويترك وطنه . اذ يعود كالمنبت من الناحية الاجتماعية . وهذا الانبتات يفكك أخلاقه تفكيكا

ويجب لهذا السبب أن نخشى هجرة الأجانب الينا . هؤلاء الاجانب الذين يرتكبون الجريمة ولا يستحيون منا كما يجب ألا نشجع أحداً على ترك دينه سواء من الاسلام إلى المسيحية أم من المسيحية إلي الاسلام . ويجب ألا ننسى ان الأخلاق هى روابط اجتماعية تتصل بالدين والقومية . وسرعان ماتتفكك هذه الاخلاق عند ترك الدين أو القومية

زيادة موارد الحكومة

تقتضى التكاليف الجديدة التى سنتحملها سواء من ناحية الدفاع أم من ناحية الترقية الاجتماعية والصحية والتعليمية أن نزيد موارد الحكومة لكى تقوم بهذه النفقات المتزايدة

وبدهى أن الطريق المفتوح أمام الحكومة لزيادة مواردها هو فرض الضرائب الجديدة ولكن هذه الطريقة التى تغرى بسهولتها قد تعود بالضرر العظيم لأنها تؤخر صناعات مبتدئة أو تنقل بعض الصناعات النابتة فتتزعزع . وهناك من يتحدثون عن ضريبة الدخل ويضربون المثل بانجلترا حيث تأخذ الحكومة من الرجل الذي يبلغ دخله مائة الف جنيه فى السنة نحو سبعين الفا ولا تترك له سوي ثلاثين الفا . وهذا صحيح ولكن كم فى مصر من الرجال الذين لهم مثل هذا الدخل؟ ثم هؤلاء الذين يذكرون ضريبة الدخل ينسون أن الحكومة الانجليزية تتدرج فيها بحيث لا يكاد يفرض منها شيء على الرجل الذي يبلغ دخله ٣٠٠ أو ٤٠٠ جنيه فى العام

ونحن مع أننا نطلب فرض هذه الضريبة نشك كل الشك فى أن الحكومة ستجبي منها شيئا عظيما وخاصة إذا راعت صناعتنا المبتدئة ولم تثقلها بأعباء تقتلها . وهو ما ينتظر منها . ولذلك نعتقد أنه إذا كنا سنشرع فى فرض ضريبة الدخل فاننا سنبدأ بها ضعيفة فلا نجبي منها شيئا كبيرا إلا بعد السنوات الطوال

وخير من ان تتجه الحكومة نحو الضرائب وتحصر مواردها فيها نظن أنه يمكنها أن تستنير بما يجرى فى الأمم الأوربية أو بعضها . فان الضرائب ليست هى المورد الوحيد للحكومات هذه الايام . وهذه حكومة فرنسا مثلا قد مضى عليها أ كثر من أربعين سنة وهى تحتكر الدخان والكبريت وتربح منهما ربحا كبيرا كل عام وهو ربح لو أنها أرادت أن تجمع مثله بالضرائب لأثقلت الجمهور وباءت بغضبه

ويمكن حكومتنا أن تقوم ببعض الصناعات وتحتكرها على هذا النحو لزيادة مواردها من جهة

ولتزويد الجمهور ببعض حاجاته التى يشتريها من الخارج أو يشتريها وهى مغشوشة تؤذيه فى صحته أو ماله . فقد ذكرنا مثلا عيدان الكبريت والدخان ونستطيع أن نذكر مصنوعات أخرى مثل الريون أو الحرير الصناعى الذى نشتريه كله من الخارج . فان الحكومة يمكنها أن تنشىء مصنعاً كبيرا أو جملة مصانع لهذا القماش وتبيع منه ما يغل لها الملايين من الجنيهات . وهذه الصناعة لم تنشأ إلى الآن بمصر فلا بأس على الحكومة من أن تحتكرها

وهذا مصنع الزجاج الذى أنشأته الحكومة للتعليم . فانه يمكن أن يحال الى مصنع لاخراج المقادير العظيمة من الزجاج حتى يستخدم لآنية الشراب وللبناء وللأثاث . ولو بيع الزجاج بأثمان منخفضة لاستهلكت البلاد منه ما يبلغ ثمنه الملايين من الجنيهات . فان الريف لا يزال يجهل الزجاج لغلاء ثمنه

ثم هناك الورق الذى يمكن الحكومة أيضا أن تحتكر صنعه وتزويد الجرائد والمتاجر والمنازل حاجتها منه . ويجب ألا نقيس ما سوف يستهلك منه على مقدار ما نستهلك منه الآن . فانه ينقل الينا اى الزجاج أو الريون من أقطار بعيدة فيتحمل تكاليف النقل وخسائره ثم يباع لنا غاليا فيقل الاستهلاك . أما حين تقوم الحكومة بانشاء هذه المصانع فانها تستطيع أن تبيع مصنوعاتها رخيصة فيزيد الاستهلاك ويزيد ربحها

لقد ذكرنا عيدان الكبريت والدخان والريون والزجاج والورق . ونستطيع أن نذكر عشرات المصنوعات الاخرى التى يمكن أن تدخل فى احتكار الحكومة ونحن أقدر على هذا الاحتكار من الحكومات الاوربية . لان هذه الحكومات تجد جميع هذه المصنوعات ثابتة فى بلادها لها أصحابها الذين يعارضون فى الاحتكار . أما حالنا فتختلف لان هذه المصانع لم تنشأ بعد فى بلادنا أو هى نشأت فى ضعف لا يستحق أن تعيره الحكومة اهتماما

لقد استطاعت الحكومة أن تجمع نحو مليون وربع مليون جنيه من تبرعات الموظفين للانفاق على الدفاع . ولكنها سوف تحتاج الى أكثر من ذلك كثيرا للدفاع أيضا

فاذا أضفنا إلى ذلك تكاليف التعليم والصحة والاصلاح الاجتماعى فاننا سنحتاج الى الملايين من الجنيهات . وللمكوس الجمركية حدود لا يسعنا تجاوزها خشية الغلاء . وضريبة الدمغة التى تقوم على المعاملات لن يحسب لها حساب كبير . أما ضريبة الدخل فتحتاج الى السنين الطوال قبل أن تعود موردا مفيدا للحكومة كما هى الحال فى أوربا حيث الامم الصناعية التى تجعل لهذه الضريبة قيمة

ولذلك ننصح للحكومة بأن يفكر رجالها الماليون تفكيراً جديا فى زيادة مواردها عن طريق الاحتكار لبعض الصناعات . فان هذا الاحتكار هو الباب الوحيد المفتوح أمامها والذى يرجى منه أن يؤدى الى زيادة الموارد الحكومية زيادة كبيرة

أونامونو

قبل أيام مات كاتب أسباني يدعى أونامونو . وهو من الكتاب الذين يعرفهم العالم الأوربي لا لأنه متفوق فى الأدب ولكن لأنه طريف فى آرائه عن الثقافة والحضارة . ونحن نختار من أقواله كلمة تدل على منحى تفكيره ووجه طرافته للقراء الاوربيين كما تدل على صميم النزاع القائم فى أسبانيا الدامية هذه الايام . وهذه الكلمة هى قوله

« إنه خير لاسبانيا أن تكون دولة افريقية من الطراز الاول من أن تكون دولة أوربية من الطراز الثالث »

وبكلمة أخرى نقول أن أونامونو كان كاتبا رجعيا يحب الملوكية التى خسرت مكانتها فى أسبانيا قبل عشرين أو ثلاثين سنة كما خسرت العرش قبل ست سنوات . وكان صوفيا يحذر أبناء بلاده من الاستسلام للروح العالمي المادى

وصميم النزاع القائم الآن فى اسبانيا هو هذا الذى أشرنا اليه : هل تعيش اسبانيا دولة شرقية « او كما يقول الاسبان دولة افريقية » عليها ملك من أسرة بوربون له أبهة وضجة وقصور وحاشية وفرسان يلعبون على جيادهم فى الشكك العسكرية الزاهية ولها مستعمرات وسفارات وكنائس تطاول السماء وكهنة يعدون بالآلاف ويفخرون بان آباءهم قد فتحوا القارة الامريكية . وهى مع هذا الفخر وهذه الأبهة لا تعرف غير الزراعة يعيش فلاحوها فى الضنك الذي لا تعرفه أوربا قاطبة أم تعيش أمة أوربية متواضعة تعلم فى مدارسها العلوم وتؤسس المصانع وتدرس تنظيم المجاري فى المدن وتكافح أمراض البرتقال فى الريف وتكلف موظفى حكومتها بترقية طعام الناس وملابسهم ومساكنهم ؟

ان أسوأ ماورثته اسبانيا هو تقاليدها . فانها كانت قبل ٤٠٠ سنة اكبر امبراطورية فى العالم تملك قارة امريكا وتجهل مدى ماتملك وكان لها كما هو الشأن فى الامبراطوريات جيش قوى وكنيسة قوية . فكانت الكنيسة تفرض العقائد والجيش يقتل المخالفين لها . فمات فيها الرأي الحر وانفصلت الحكومة من الأمة لأنها أي الحكومة لم تعد فى حاجة اليها . واذا عاشت حكومة دون رقابة الأمة فلابد أن ينخرها السوس وقد نخر السوس . الحكومة الاسبانية حتى اذا كانت سنة ١٨٩٨ رأينا البقية الباقية من امبراطوريتها الضخمة تذهب بانتصار الولايات المتحدة عليها وانتزاعها جزر فيليبين منها وكانت هذه الهزيمة التى لقيتها اسبانيا بمثابة اللطمة التى تنبه السكران أو النائم فانها استيقظت وتساءلت : هل أنا أمة شرقية ؟

وأجابت بالايجاب . وقام بعض أدبائها ممن يبهرهم التاريخ والتقاليد مثل أونامونو فدعوها الى استبقاء شرقيتها أو كما يقول هو « افريقيتها » ويدعوها الى صوفية الشرق والى كراهة المادية الغربية

Widener Library
3 2044 114 055 130

al-Majallah al-jadidah